



المشروع القومي للترجمة

الأنباط الولاية العربية الرومانية

تأليف: جلين وارين بورسوك

ترجمة: آمال محمد الروبي

مراجعة: محمد إبراهيم بكر

1063

الولاية العربية الرومانية

الأنباط

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١٠٦٣
- الولاية العربية الرومانية " الأنباط "
- جلين وارين بورسوك
- آمال محمد الروبى
- محمد إبراهيم بكر
- الطبعة الأولى ٢٠٠٦

هذه ترجمة كتاب

Roman Arabia

by : G.W. Bowersock

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

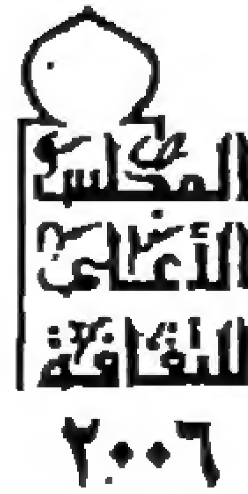
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Te. 7352396 Fax : 7358084.

المشروع القومى للترجمة

الولاية العربية الرومانية
"الأنباط"

تأليـــف : جلين وارين بورسوك
ترجمة وتعليق : آمال محمد الروبى
مراجعـــة : محمد إبراهيم بكر



٢٠٠٦

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بورسوك ، جلين وارين

الولاية العربية الرومانية / تأليف : جلين وارين بورسوك ؛
ترجمة : آمال محمد الروبى ؛ مراجعة : محمد إبراهيم بكر .
– ط ١ – القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٦
٣١٦ ص ؛ ٢٤ سم

رقم الإيداع ١٦٤٧٥ /٢٠٠٦
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-305-996-0
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

مقدمة المترجمة 9

مقدمة المؤلف 13

الفصل الأول : الإقليم 19

الفصل الثانى : وصول الأنباط 35

الفصل الثالث : بومبى وخلفاؤه 59

الفصل الرابع : المرحلة المبكرة من حكم المواطن الأول 85

الفصل الخامس : ازدهار الأنباط 105

الفصل السادس : الولاية الجديدة 127

الفصل السابع : الحدود والدفاعات 147

الفصل الثامن : تأثير عصر سبتيموس سيفيروس 173

الفصل التاسع : من فيليب إلى زنوبيا 191

الفصل العاشر : ملك الغرب 213

الملحق الأول : نقش براقش الجديد المدون بلغتين 227

الملحق الثانى : أنباط ورومان فى وادى سرحان 237

الملحق الثالث : حكام ولاية العربية 245

الملحق الرابع : الخرائط القديمة لولاية العربية الرومانية 253

الإهـداء

إلى ذكرى العميد فى علمه .... وفى منصبه

الفريد فى أستاذيته وأبوته

إلى صاحب فضل لا ينسى

إلى أستاذى سعادة الدكتور عبداللطيف أحمد على

تغمده الله بواسع رحمته وطيب ثراه بما علمنى جزاءً وفاقًا

مقدمة المترجمة

لم يكن عندى فى البداية سوى اهتمام طفيف بموضوع الأنباط ، نظراً لكونه يقع على هامش تخصصى فى دائرة التاريخ اليونانى الرومانى ، وبتحديد أدق فى "تاريخ مصر خلال العصر الرومانى"؛ لأن الإشارات إلى الأنباط نادرة فى أوراق البردى المسجلة باللغتين اليونانية واللاتينية ، وبدأ الموضوع يدخل دائرة اهتمامى بالتدريج من خلال قيامى بتدريس مادة "العرب قبل الإسلام". جاءت القراءة فيه متواضعة، ثم جذبنى الموضوع، وتلاحقت المصادر والمراجع فيه حولى ، كان من بينها هذا الكتاب الذى كان من أهمها وأدقها توثيقًا وتحليلاً ، والذى صدرت طبعته الأولى عام ١٩٨٣ والثانية عام ١٩٩٨ ، لذلك فكرت فى تقديمه إلى القارئ العربى مترجمًا، واتصلت بمؤلفه الأستاذ بورسوك مستئذنة وتفضل ووافق مشكوراً ومشجعًا على القيام بالترجمة.

يغطى الكتاب تاريخ الأنباط لفترة امتدت حوالى سبعة قرون ، تناصفت بين قبل الميلاد وبعده ، منذ بداية دخول الأنباط إلى مسرح الأحداث التاريخية فى الربع الأخير من القرن الرابع ق.م. إلى منتصف القرن الرابع الميلادى . قسّم المؤلف الدراسة إلى عشرة فصول ، وأضاف إليها أربعة ملاحق ، زودها بعدد من اللوحات والخرائط والصور.

نسج المؤلف سطور الكتاب من المصادر الأصلية التى تأتى النقوش التى دونت بالكتابات النبطية والصفوية ، وباللغتين اليونانية واللاتينية فى مقدمتها ، سواء تلك التى اكتشفت فى مملكة الأنباط وشمال غرب المملكة العربية السعودية وشبه جزيرة سيناء واليمن أو فى بعض جزر البحر الإيجى وليون فى فرنسا، وأكمل الصورة بتجميع

المعلومات التى تناثرت عن الأنباط فى كتابات الإغريق والرومان وعند الطبرى بالإضافة إلى المصادرالأخرى. استطاع المؤلف بمهارة فائقة أن يخرج المصادر من دائرة الظل وجعلها تنطق بتاريخ وحضارة شعب عربى تمكن من الانتقال من طور البداوة إلى أطوار أكثر تقدماً، وأضحى قوة لها وزنها فى المنطقة الواقعة جنوبى سوريا وشمال غرب المملكة العربية السعودية ، وتواصلت حلقات سلسلة الحكم الرومانى فى الشرق الأدنى واكتملت بإضافة مملكة الأنباط إلى الإمبراطورية الرومانية عام ١٠٦ ميلادى تحت اسم الولاية العربية الرومانية.

إن الأستاذ بورسوك غنى عن التعريف لمكانته العلمية المتميزة ، فهو أستاذ التاريخ القديم فى جامعة هارفارد ، وعمل رئيساً لقسم الدراسات الأوربية ، وعميداً لكلية الآداب والعلوم فى الفترة من ١٩٦٢-١٩٨٠ ، وأستاذ التاريخ القديم للدراسات المتقدمة فى جامعة برنستون فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٨٠ وحتى الآن، له مايزيد على مائة بحث وكتاب منشور، ;قد تناول موضوع الأنباط الذى يرتبط جزء كبير منه بالعلاقة بين الأنباط واليهود، وهى تلك العلاقة الشائكة والمضفورة بالحساسية البالغة ، فى إطار محايد بعيداً عن الهوى والتحيز ، تاركًا المصادرالتاريخية بعد تحليلها تتحدث بنفسها ومستخلصاً النتائج التى تنطق بها.

حرصت فى ترجمتى أن يصل الكتاب إلى يد القارئ بالصورة التى قدمها المؤلف ، لذلك جاءت تعليقاتى التى أضفتها - والتى استهدفت منها توضيح بعض الجوانب التى قد يكون القارئ العربى فى حاجة إليها - فى حواشى منفصلة فى أسفل الصفحة وأشرت إليها بالعلامة (*) تمييزاً لها عن حواشى المؤلف وهى التى نقلتها فى نهاية كل فصل مرتبط بها ، حتى يسهل الأمر على القارئ عند حاجته للرجوع إليها .

لما كان أى عمل لا يخلو من هفوات ، لأن الكمال صفة مقصورة على الرحمن وحده سبحانه وتعالى ، فقد قمت بتصحيح بعض الأخطاء فى المصادر البردية ، وناقشتها فى تفسير الجوانب الخاصة بوضع سيناء الإدارى خلال القرن الثالث الميلادى من

خلال النقوش التى اعتمد عليها ، وتلك التى أضفتها عليها وتم الكشف حديثًا عنها ، بالإضافة إلى الوثائق البردية .

أوردت النصوص اليونانية باللغة نفسها ، وقمت بكتابتها على الكمبيوتر بنفسى ، وأعتذر مسبقًا للقارئ الذى يعرف اللغة اليونانية القديمة لعدم وجود تشكيلات على بعض الحروف ، نظرًا لخلو الجهاز منها ، وهو أمر ثانوى إلى أبعد الحدود ، وعلى الرغم من ذلك ، أرجو منه قبول الاعتذار .

كانت استفادتى كبيرة من دراسات الجيل الجديد من المتخصصين السعوديين فى النقوش النبطية والصفوية ، والذين يعدون مدرسة واعدة بكل تأكيد ، فى التعليقات التى أضفتها على الكتاب ومنهم الأستاذ الدكتور سليمان عبد الرحمن الذيب ، سواء فى رسالة الدكتوراة التى قدمها إلى جامعة دُرهام ببريطانيا أو فى أبحاثه ومؤلفاته التى تواصلت بعد ذلك .

ويرجع الفضل فى إخراج العمل إلى حيز التنفيذ إلى سعادة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم بكر أستاذ التاريخ القديم والعميد الأسبق لكلية الآداب جامعة الزقازيق ، ورئيس هيئة الآثار المصرية السابق ، الذى يعمل دائمًا فى صمت ، لتشجيعه المتواصل مما كان حافزًا لى على إتمام هذا العمل ، إضافة إلى تفضله بالمراجعة الدقيقة للترجمة ، وترجمة النصوص الألمانية.

وأتقدم بالشكر إلى زميلاتى جيل المؤرخات السعوديات المتميز فى جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، لدفعى دفعًا على الانتهاء من العمل لرغبتهم الشديدة فى الاطلاع على الكتاب باللغة العربية ، على الرغم من انشغالى فى العمل الضخم المرتقب فى موسوعة جدة التاريخية فى المجلد الخاص بالوثائق . وعرفانى بالشكر والجميل إلى الزميلة العزيزة سعادة الأستاذة الدكتورة جيهان يسرى ، بقسم الإعلام جامعة القاهرة والمعارة حاليًا بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، لما قدمته من مساعدة كبيرة فى الكتابة على الكمبيوتر ، ومعها ابنى مهندس الكمبيوتر شادى أحمد قريش الذى وقف وراء تقديم العمل بهذا الشكل.

وفى الختام أدين بفضل أرجو أن يعيننى الله على رده لأهله ، وأتوجه بالشكر إلى القائمين على المشروع الناجح للترجمة فى المجلس الأعلى للثقافة بقيادة سعادة الأستاذ الدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس ، ونائبه المتميز سعادة الدكتور عماد الدين أبو غازى ، وسعادة الدكتورة شهرت أمين العالم التى تعد بلا جدال دينامو قسم الترجمة ، وإلى جميع أفراد الجهاز الفنى والعاملين فى طباعة الكتاب للجهد المشكور الذى بذلوه فى الطباعة نظراً إلى كثرة اللغات القديمة والحديثة التى يتضمنها .

وما توفيقى إلا بإذن من الله العلى القدير .

آمال محمد الروبى

القاهرة ذو الحجة ١٤٢٧

يناير ٢٠٠٧

مقدمة المؤلف

اختمرت فى ذهنى فكرة هذا الكتاب منذ بدأت العمل فى موضوع الولاية العربية الرومانية منذ أربعة عشر عاماً مضت . وكنت أدرك تماماً توفر المادة المطلوبة سواء من خلال المصادر الأثرية أو النصوص الكلاسيكية ، التى تضع الباحث أمام التحدى ؛ لذلك أيقنت أن العمل سوف يستغرق وقتًا لأتمكن فيه من السيطرة على اللغات الضرورية التى يحتاجها البحث ، إلى جانب التعرف الجيد على الأرض التى سأقوم بالكتابة عنها . ومما أثار دهشتى وإعجابى اللامحدود أن البحث المبدئى الذى نشرته عن وضع الولاية العربية فى مجلة الدراسات الرومانية عام ١٩٧١ كانت الاستجابة له واسعة بين عدد من شباب الباحثين حيث وضعتهم على طريق البحث والتنقيب الأثرى فى المملكة الأردنية الهاشمية. فبدأت مجموعة من المؤرخين فى مجال التاريخ القديم من المهتمين بالإدارة الرومانية للولاية العربية تتقدم بثبات . وعقدت صداقات ، وتعلمت الكثير من فريق المثقفين فى المنطقة . واستفاد هذا العمل من الأعمال المعاصرة ، وآمل أن يكون عوناً لهؤلاء الذين سوف يتابعون الكتابة فى التاريخ العربى المرتبط بالتاريخ الرومانى فى السنوات القادمة.

انصب اهتمامى الأول على الوجود الرومانى فى مملكة الأنباط والولاية الرومانية التى تكونت من تلك المملكة بعد ذلك . وختمت البحث بعهد قنسطنطين بعد تتبع أصول نشأة الولاية العربية . وبطبيعة الحال تتابعت قصة روما والعرب . ولم يكن قصور المادة السبب الذى دفعنى بعيداً عن متابعة تناول الفترة المتأخرة فى العصر القديم ، ولكن يرجع السبب فى ذلك إلى إدراكى لأهمية المجلد الخاص بالموضوع الذى يقوم عرفان شهيد من جامعتى دمبرتون أوك وجورج تاون بكتابته الآن . ويتناول المجلد الأول

البيزنطيين والعرب فى القرن الرابع الذى سيكون فى متناول اليد قريبًا ، وأود التعبير عن شكرى إلى الأستاذ شهيد لكرمه وإعطائى جزءًا كبيرًا من عمله للاطلاع عليه قبل نشره . كما استفدت من مناقشاتى معه بالقدر نفسه الذى استفدت فيه مما كتبه.

كما أقدم شكرى بالقدر نفسه من الحرارة إلى العديد من المثقفين من الجيل الجديد من المتخصصين فى الدراسات العربية الذين ظلوا على اتصال دائم بى ، وتفضلوا بإطلاعى على نتائج مايقومون به من عمل . مثل رسالة الدكتوراه التى قدمها س. توماس باركر عن تحصينات الدفاعات العربية والتى من المفترض أنها الآن فى مرحلة الطباعة ، ولما كان توماس يقود الآن عمليات تنقيب هامة فى موقع معسكر الفرقة الرومانية فى الليجون فى الأردن ، فقد جعلنى على علم دائم بنتائج العمل فى كل مرحلة . أما د. ل. كيندى الذى ظهر مجلده الأثرى الرائع عن الحدود الشمالية من الأردن حديثًا، فكان كريمًا فى إشراكى معه فى بحثه وإطلاعى على نشاطه (الذى يتضمن الآن إعداد أرشيف قيم للصور). وأمدنى موريس سارتر مخلصًا برسالته للدكتوراه عن بُصرى ، وأبحاثه الرائدة فى نوعيتها عن العربية الرومانية ، وأشكره على حسن ضيافته لى فى منزله . وقام دافيد جراف من جامعة ميتشيجان بدراسات مميزة عن الولاية العربية الرومانية ، وهو يتمنى الانخراط قريبًا فى مشروع التنقيب فى الحُميمة. فقد أشركنى معه فى النتائج الهامة التى توصل إليها فى المسح الذى قام به فى الأردن. وهنرى ماك أدم المتواجد الآن فى الجامعة الأمريكية فى بيروت لكرمه معى وإمدادى برسالة الدكتوراه القيمة عن الولاية العربية الرومانية فور انتهائه منها عام ١٩٧٩ . كما أننى فى انتظار كتابه عن نظام القرية والقبيلة فى الولاية العربية الرومانية ، وهو المجال الذى يحتاج إلى مزيد من الدراسة المُكثفة . ويقوم الآن و.س. كيليك من المدرسة البريطانية فى عمان بالتنقيب فى معسكر أذرح، وأتقدم له بالشكر لإرساله نص تقريره الأول عن الحفائر.

وأدين بالشكر لزملاء آخرين قدموا لى المساعدة بطرق مختلفة : د.ر. هاريس على استضافته الرائعة لى خلال زيارتى الأولى للأردن منذ سنوات مضت ، ومازلت

أرى أهمية المواقع الضخمة فى هذا البلد بالقدر نفسه من الحماس الذى اشتركنا فيه سويًا ، وميكل سبيل من هونولولو ، الذى كان على اتصال دائم بى وأمدنى بمسودات عن عمله فى كل من العربية وموضوعات أخرى ، نجحت فى تحقيق الفائدة منها ، وجون إيدى من جامعة ميتشيجان الذى قدم الكثير فى الوقت الحالى لتشجيع دراسات الحدود فى الشرق الأدنى ، وأود التعبير له عن العرفان بالجميل ليس فقط لاهتمامه الودود بعملى، ولكن أيضًا التشجيع الذى أبداه للطلبة للاهتمام بهذه المنطقة، وكان من بينهم ستيفن سيدبوثهام، الذى أرسل لى منذ فترة وجيزة أطروحته للدكتوراه عن البحر الأحمر ؛ لذلك فهو يستحق منى الشكر .

إننى على ثقة بأن الصلة الوثيقة والود فى تبادل البحث والأفكار بين مجتمع المثقفين المهتمين بالعربية الرومانية والذى كان باعثًا على الإلهام سيؤدى إلى مزيد من العمل الجاد والمثمر . لقد تقدم العمل تقدمًا مذهلاً منذ انتقالى إلى معهد الدراسات المتقدمة فى برنستون ، والذى لم أجد فيه فقط تسهيلات البحث الخيالية ولكننى وجدت أيضًا فوائد الاتصال بالقاعدة العريضة من المعلومات وبالمثقفين المحفزين عند إعداد النسخة الخطية للطباعة ، كان لدى خدمات السكرتيرة المميزة ن. ا .س. ليڤين ، التى كانت معرفتها اللغات الكلاسيكية والتاريخ القديم لاتقارن إلا بمهارتها الفائقة فى الكتابة على الآلة الكاتبة والكمبيوتر . وقام كل من ديڤيد باكارد ، وماريلن ماك إليستر ، وسارة جورج ونانسى مور بإتاحة الفرصة لطباعة الكتاب طبقًا لنظام إبيكوس فى المعهد.

إننى أدين ببالغ الشكر لديڤيد جراف ، وكريستوفر جونز وهنرى ماك آدم الذين تفضلوا بقراءة الكتاب بعد اكتمال نسخته الخطية ، وإبداء التعليقات والتصويبات والإضافات القيمة عليه .. وبالغ شكرى لباولو كوستا لتكرمه بإمدادى بالصور الفوتوجرافية لنشرها ، وأليسون فرانتز ، ومحمد چول وديڤيد جراف وديڤيد كيندى ووليم متكالف وروبرت رينهولد وجورج رينهارت وجيمس سوير و.ر. بوسكارينو الذى قام برسم الخرائط وتخطيط المدن .

أما بخصوص كتابة الحروف العربية فقد قمت بتحويلها إلى الحروف اللاتينية لسبب وهو أن تتاح الفرصة لمن يعرف العربية فى القيام بتحويلها إلى نصها الأصلى . ولابد من أن أعترف أننى لم أفعل ذلك فى حالة الأسماء المعروفة. وكل مايمكننى القيام به هو استعارة ملاحظة لورنس T.E.Lawrence المشهورة بالسمعة السيئة عن حق المؤلف الذى يتمسك على الدوام بالأسماء التى ظهرت فى الأعمدة السبعة للحكمة . وأخيراً ، فإننى آمل فى أن تستخدم كلمة "مستشرق" المثيرة من حين لآخر بدون أن تشير إلى اتهام المثقفين المتخصصين فى تاريخ العرب قبل الإسلام، وإننى على ثقة من أن الاتهام الذى يُلقى على الكلمة لاعتبارات سياسية فى الدوائر الإسلامية ليس له علاقة بدراسات عرب ماقبل الإسلام .

ولم يكن فى الإمكان أن يكتمل هذا الكتاب لولا حسن نية وتعاون الأصدقاء فى عدة دول فى الشرق الأدنى، وأنتهز الفرصة لأتقدم بالشكر إلى عدنان بونونى فى دمشق وعدنان حدادى فى عمان للتشجيع الخاص الذى قدماه لى . وأتمنى أن يشعرا ببعض الرضى عن هذه المحاولة التى تغطى حقبة هامة من تاريخ العرب الماضى قبل الإسلام . كما أننى آمل فى الوقت نفسه أن يتفهم زملائى وأصدقائى فى التاريخ الرومانى السبب فى اعتقادى بأحقية هذه المنطقة التى أهملت فى الإمبراطورية الرومانية أن تأخذ منى هذا الوقت الطويل .

ج. و. بورسوك

معهد الدراسات المتقدمة

برنستون نوفمبر ١٩٨٢

الفصل الأول

الإقليم The Region

اصطلاح العربية Arabia اصطلاح مبهم غير واضح يعنى فى هيئته الظاهرية " بلاد العرب"، وحيث إن السكان العرب بما فيهم البدو قد انتشروا فى كثير من مناطق الشرق الأدنى ، فإن تحديد موطنهم الأصلى أصبح صعبًا تبعًا لذلك . وعُرِفَ القدماء العرب بأنهم هم الذين يتواجدون فى المنطقة الممتدة من شمال بلاد ما بين النهرين إلى الشواطئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية التى تقع بين البحر الأحمر والخليج الفارسى . وكان بعضهم بدوًا يعيشون فى خيام ، بينما استقر آخرون وتمتعوا بحياة مستقرة مزدهرة بسبب ما حققوه من خلال تجارتهم الناجحة .ويدخل فى إطار هذا التحديد المنطقة الممتدة بين جانبى الصحراء السورية والمناطق الزراعية لشرق الأردن. وهى تضم جبال الحجاز والممرات الداخلية فى شبه الجزيرة العربية. وعلى الرغم من أن قلب أمة العرب هى الدولة المعروفة الآن باسم المملكة العربية السعودية ، فإن الرومان أطلقوا اسم العربية على إحدى ولايات إمبراطوريتهم التى تقع جنوب وشرق فلسطين ، فى ذلك الجانب من عالم البحر المتوسط بين سوريا ومصر . وهى تضم صحراء النقب Negev الحالية ، وجنوب سوريا ، وجميع أنحاء الأردن وشمال غرب المملكة العربية السعودية .

عندما قام الإمبراطور تراجان Trajan بإعلان تكوين الولاية العربية بإلحاقها بالإمبراطورية فى فترة مبكرة من القرن الثانى الميلادى أصبح أقل من نصف حدود الإمبراطورية يطل على الصحراء ، وكانت روما قوة بحر أوسطية على الرغم من أن

الجزء الأكبر من الحد الجنوبي والشرقي لعالم البحر المتوسط محاط بالصحراء . وهي تلك الظاهرة الجيولجية الشاسعة المتصلة التي تضم صحاري Sahara سيناء والنقب والعربية السعودية وصحراء سوريا الكبرى . والمعروف أنه بعد الاستيلاء على مصر التي تقع على الساحل الشرقي للشمال الإفريقي على يد أغسطس ، ثم على موريتانيا في الجانب الغربي في عصر كلوديوس Claudius ، أصبح الساحل الممتد من أعمدة هرقل إلى حافة صحراء سيناء يكون جزءًا من الإمبراطورية الرومانية .أما الجانب الشرقي من شاطئ البحر المتوسط فقد سبق أن قام بومبي Pompey بإلحاق سوريا الكبرى (بما في ذلك لبنان الحالي وأنطيوخ وما يتبعها) بالإمبراطورية . وعلى ذلك فعندما قام أغسطس بإضافة مملكة يهوذا(فلسطين) السابقة إلى دائرة نفوذه كولاية يحكمها حاكم روماني من طبقة الفرسان Procurator equestrian(*) ، لم يعد متبقيًا خارج فلك الولايات الإمبراطورية إلا الأقاليم الواقعة على طول حافة الصحراء من المساحة الممتدة فقط عبر سيناء من مصر وتلك التي تطوق صحراء النقب مع كل منطقة شرق الأردن من حوران السورية حتى خليج العقبة ، تلك كانت المنطقة الحيوية التي قام تراجان بإلحاقها بالإمبراطورية الرومانية باسم الولاية العربية province of Arabia عام ١٠٦ م . وقام الرومان بإطلاق اسم العربية على تلك الولاية تمييزًا لها عن أرض التوابل والبخور والطيوب في جنوب شبه الجزيرة العربية ، والتي عرفت باسم مملكة سبأ، وللرومان باسم العربية السعيدة Arabia Felix . إن أهمية الولاية العربية الرومانية بالنسبة للهيمنة الإمبراطورية في منطقة البحر المتوسط أمر لا ينبغي التقليل منه ، فهذه المنطقة التي تعد في الغالب موحشة كانت تتحكم في منافذ البحر المتوسط من خلال مرافئ مثل موانئ غزة ورينوكولورا Rhinocolura (العريش) ، وكذلك من خليج العقبة إلى عمق شبه الجزيرة العربية . كما أنها تحيط بالجانب الجنوبي من سوريا وفلسطين وتتحكم في الطريق من دمشق إلى العقبة .

(*) طبقة مالية إدارية يحتل أفرادها المناصب التالية للمناصب العليا (المترجمة)

إضافة إلى كونها حافة رئيسية للتجارة التى تعبر وادى الأردن بين المراكز المدنية فى فلسطين وشرق الأردن والتى تعد بدورها بمثابة حلقات اتصال مع المجتمع البدوى الذى يقع خلفها ، وكانت الأهمية الاستراتيجية للمنطقة عظيمة فى حين أن الحياة فيها كانت صعبة . وباستثناء مراكز مدنية بعينها فى شمال شرق الأردن ، والتى تؤدى إلى وادى الأردن وإلى المدن التى تقع فى غربه، فإن أغلب أنحاء الولاية العربية لم تكن مأهولة بالنسبة للرومان .

إن ولاية لها مثل ذلك الوضع الخاص ، بوقوعها متداخلة مع كثير من دول الشرق الأدنى التى لم تكن فيها الأوضاع عادة مستقرة ، جعلت مهمة استكشاف الآثار القديمة عملاً محفوفًا بالتحدى والمخاطر، ونتج عن ماقام به كثير من المكتشفين المغامرين فى القرنين التاسع عشر والعشرين أن وضع الأساس الراسخ لتاريخ تدخل الرومان فى هذه المنطقة وإدارتها كولاية ، هذا على الرغم من أن المؤرخين الرومان لم يظهروا سوى اهتمام طفيف بهذه المنطقة الهامة .

عندما قام وود **Wood** بنشر تقريره عن زيارته إلى تدمر **Palmyra** وهى تلك الزيارة التى قام بها مع دوكنز **Dawkins** عام ١٧٥١، أشار فى بحثه إلى إهمال المواقع الأثرية الكبرى فى سوريا الكبرى فى كتابات مؤرخى الفترة حيث قال :"إن الأمر الجديد بالاعتبار أن آثار كل من بعلبك **Baalbek** وتدمر ، وهى التى يمكن أن تعد من بين أكثر الآثار القديمة التى لا تزال رائعة حتى الآن قد أُهملت تمامًا فى المصادر التاريخية"(٢)، وكان من النتائج المباشرة لما قام به كل من دوكنز، ووود فى سوريا أن شجعا القيام بإجراء أبحاث مثمرة عن الحضارة التدمرية والتى قادت إلى فكِّ رموز اللغة التدمرية ، وعلى الرغم من ذلك فلم يفطن أحد فى القرن الثامن عشر إلى أنه ما زال هناك وجود لمزيد من الآثار الرائعة لبقايا المجد القديم تقع جنوبًا ، حيث لم يكن أى أوروبى قد وطأ بقدمه البتراء بعد.

تلك هى المدينة المُحتفى بها "التى يبلغ عمرها نصف الزمان"(٣)، فهى بلا منازع المكان العتيق الذى يُعد أكثر الأماكن إثارة فى ولاية العربية الرومانية ، وهى بالتأكيد

أكثر المناطق الجديرة بالزيارة فى منطقة الشرق الأدنى القديم ، وعند قيام المكتشف السويسرى لودفيج بوركهارت Johann Ludwig Burckhard باختراقه السريع للبتراء عام ١٨١٢ ، بدأ مرحلة جديدة ليس فقط لاستكشاف عالم الغرب (الأوروبى) لمنطقة الشام ، ولكن أيضًا لفهم الغرب لتاريخ المنطقة [٤]، وأصبح من الواضح وجود كثير من الآثار التى تنتمى إلى العصر الرومانى والعصر السابق عليه فى نطاق الولاية . وقدم الرحالة الأكثر ثقافة تقارير مُفصلة وضعت أساسًا راسخًا لعملية إعادة البناء التاريخى لها . وقام المكتشف الفرنسى ليون دى لابورد Léon de Laborde بإجراء دراسة مستفيضة عن البتراء فى تاريخ مبكر يرجع إلى عام ١٨٢٨[٥]، وفى منتصف القرن (التاسع عشر) أكمل فيتزشتاين J . C. Wetzstein الدراسات التى قام بها لابورد فى الجنوب ، ثم قام فى الوقت نفسه بإجراء دراسة مساوية فى دقتها عن المناطق التى تقع أكثر شمالاً فى الولاية العربية الرومانية[٦]، وحصل العالم اللغوى وادنجتون W.H Waddington على مجموعة من النقوش السورية ، بما فيها القطاعات الشمالية الأكثر بعدًا من الولاية العربية [٧]، وأعاد الرحالة البريطانى ألفريد شارلس دوتى C.Doughty الذى كان لايكل[٨] كشف المنطقة الجنوبية بالتفصيل ، وفى الوقت نفسه بدأت البتراء فى جذب آخرين من غير المغامرين والدارسين إليها ، فقام إدوار لير Edward Lear فى عام ١٨٥٨ بعمل رسم للمدينة العجيبة[٩]، بينما استطاع فرانسيس فيرث Francis Firth أن يمدنا بأولى الصور التى رآها المرء لأول مرة عن الآثار[١٠] ، وقام المؤرخ الكلاسيكى دوماسزفيسكى Domaszewski والمستشرق برونو Brunnow بسلسلة كشوفهما فى شرق الأردن، والتى قاما بنشرها فى ثلاثة مجلدات ضخمة بعنوان" الولاية العربية[١١] " Die Provincia Arabia، وهكذا بلغ الموضوع الآن سن الرشد .

إن معرفة ظروف المنطقة الطبيعية أمر ضرورىّ لفهم كيفية اتصال الرومان بعرب الولاية . لكن المصادر القديمة لم تقدم تاريخًا مرويًا للمتخصصين الغربيين يُعتمد عليه كبديل للقيام بعملية الاستكشاف والدراسة. فلم يرد ذكر للعرب لدى المؤرخ بوليبيوس

Polybius(*)، والوضع نفسه بالنسبة (للمؤرخ) يوسيفوس Josephus(*) لذلك كان من الضرورى بناء تاريخ المنطقة من خلال الإشارات المتناثرة فى مصادر الكتاب الكلاسيكيين ، إضافة إلى مايمكن جمعه من الآثار والنقوش الباقية، وفهم العلاقة بينها وبين المكان الذى وجدت فيه ، من أجل ذلك عاد عدد متزايد من المتخصصين فى القرن العشرين للبحث عن مصادر جديدة ، ومن أجل زيادة التعرف على المكان . واستطاع مستشرقون فرنسيون مثل ديسو Dussaud، وجاسن Jaussen، ، وسافينال Savig-nac، ، ودونانDunand (١٢) القيام بإضافة كم هائل من المعلومات إلى معرفتنا عن المناطق المتطرفة والتى لم يسبق استكشافها .إن ماقام به هؤلاء ومعهم كل من بروناو ودوماسزفيسكى كان بمثابة قوة دفع مباشرة لهؤلاء الذين قاموا باستئناف الكشوف التاريخية لمنطقة شرق الأردن فى السنين المعاصرة.

لم يتوافر لأية ولاية فى الإمبراطورية الرومانية على الأرجح ذلك التنوع فى الشكل الجغرافى ومظاهر المناخ الذى توافر فى الولاية العربية ، ويرجع السبب فى هذا الوضع الفريد لموقع الولاية فى الركن الجنوبى الشرقى من البحر المتوسط ، حيث تواجه الولاية من جانبها الغربى البحر، وتتقاطع مع صحراء سيناء المقفرة – كما عرف فى التاريخ الحديث ذلك بوضوح – التى تقوم بمهمة الربط بين كل من مصر وشمال أفريقيا من جهة، وبين الأراضى التى تقع على جانبى وادى الأردن من جهة أخرى ، وهى المنطقة التى جرى العرف على تسميتها بفلسطين وشرق الأردن . ويدخل أيضًا فى إطار الولاية العربية الرومانية الشريط الساحلى بما فى ذلك غزة باعتباره ميناء الولاية

(*) بوليبيوس Polybius مؤرخ يونانى ٢٠٠–١٢٠ ق. م. كتب "التاريخ الرومانى" باللغة اليونانية عن نمو واتساع مدينة روما وتحولها إلى إمبراطورية مترامية الأطراف منذ تأسيس النظام الجمهورى فيها عام ٥١٠ ق. م. حتى عصره. عن أفضل الدراسات عنه راجع: Wallbank (f.) ,A.Historical Comme-ntry on Polybius, 3vols. - Oxford 1957-79

(*) يوسيفوس Josephus : مؤرخ يهودى عاش فى روما بعد أن قام الرومان بهدم معبد اليهود فى فلسطين عام ٦٩ م، كتب عن تاريخ اليهود وحروبهم باللغة اليونانية .

الرئيسى ، كما تشمل أيضًا صحراء النقب فى الداخل مكونة الامتداد الطبيعى لسيناء والصحراء ، وعلى الرغم من أن كلاً من البتراء وعدداً آخر من مدن الإقليم الرئيسية تقع عبر نهر الأردن على الهضبة الواقعة إلى الشرق من البحر الميت ، فقد كان لها منفذ مباشر على كل من البحر المتوسط ومصر .

وتنفرد صحراء النقب بجفافها وقسوتها ، ولكن أمكن باستخدام قدر من تكنولوجيا الرى التى كانت معروفة للقدماء تحويل أجزاء منها إلى مناطق خصبة وصالحة للإقامة والعيش[١٣].إضافة إلى إنشاء محطات للطرق على الساحل ، وكمثال على ذلك محطات طريق الحج إلى دير سانت كاترين St.Catherine فى سيناء [١٤]. وتدل مناطق الاستقرار فى الأماكن القديمة فى نيسانا Nessana، وشيفتا Shivta، وخالصه Khalasa، وعقدات Avadat ومامبسيس Mampsis على أن صحراء النقب كان يقيم فيها فى العصر القديم عدد من السكان أكبر مما كان يُظن .

تتمثل الظاهرة الجغرافية الواضحة فى الشام فى ذلك الانخفاض الطويل لوادى الأردن الذى يتجه من الشمال إلى الجنوب فى خط موازٍ لشاطئ البحر المتوسط، ويَعبر هذا الانخفاض المرتفعات اللبنانية ومنخفضاتها التى تواجه الواحدة فيها الأخرى وهو المنخفض الذى يربط البحر عند الجليل Galilee والبحر الميت ، ويقع وادى الأردن تحت مستوى البحر وكذلك البحر الميت نفسه، ويكاد الشكل العام يمثل منظراً لأحد التكوينات الطبيعية لأعماق البحار فى العصور السحيقة لما قبل التاريخ .ثم يواصل الانخفاض جنوبيًا فى اتجاه خليج العقبة مكونًا شكل حوض نهر عريض تتصاعد منه الأبخرة يعرف باسم" وادى عَربة ".Wadi 'Araba ويسبب الحرارة فيه كانت حركة المرور شمالاً من وادى عربة نادراً ماتصعد الوادى نفسه ، ولكن بدلاً من ذلك تتجه نحو أحد جوانبه ، فأما من الشرق فإنه كان من الضرورى العبور حتى يمكن مواصلة التقدم عبر النقب إلى الساحل، أو مواصلة السير شمالاً فى اتجاه دمشق ، وكانت القاعدة المعمول بها لفترة طويلة فى العصور القديمة عبور وادى عربة من غرب البتراء التى كانت تُعد المحطة الرئيسية قبل الاتجاه إلى غزة .

تنقسم منطقة شرق الأردن التى تقع إلى الشرق من البحر الميت إلى قسمين كبيرين ، والقسم الشمالى هو الأكبر مساحة فيها ، ففى الجانب الشرقى من وادى الأردن ترتفع هضبة الأردن بارتفاع يتراوح بين ٢٥٠٠ إلى ٥٠٠٠ قدم فوق سطح البحر .وتقطع الهضبة سلسلة من الأودية التى تتجه من الشرق إلى الغرب ، مكونة بذلك نظام تصريف للمياه داخل الوادى. وفى أقصى الشمال يقع وادى اليرموك Wadi Yarmuk الذى يفصل سوريا عن جيرانها فى الجنوب، ويأتى فى أقصى الجنوب قَطع مستعرض هو وادى زرقا Wadi Zerqa فى شمال عمان، وتمتد الهضبة جنوب الزرقا عابرة منطقة مؤاب Moab، التى ذكرت فى التوراة، وهى نفسها يقطعها منخفض وادى مُجيب Wadi Mujib العميق ، وينتهى فى أقصى جنوب منطقة مؤاب بوادى الحَسا Wadi Hasa الذى يكون الحد الشمالى لإيدوم Edom التوراتية. أما المنخفض القطعى التالى الذى يقع فى الجنوب فهو ليس إلا نهاية الهضبة نفسها ، التى تهبط بالتدريج أسفل مدينة معِان Ma'an الحديثة لتنتهى إلى صحراء منبسطة تتكون من تربة طينية صلبة ينبثق منها أحجار رملية مُسننة ، أما هضبة الأردن برمتها بما فيها من أودية مستعرضة مثل أودية اليرموك ، والزرقاء ومجيب ، والحَسا فهى تكون الجزء الأكبر والشمالى الذى يشكل المنظر العام .

تتكون الصخرة الرئيسية من الحجر الجيرى ، مما يُكوّن تباينًا ملحوظًا مع الحقول التى تكونت تربتها من بقايا الحِمَمْ البركانية التى تقع مباشرة شمالى الجزء الجنوبى من سوريا ، ومن الجدير بالذكر هنا أن نوضح وجود إقليم فى شمال وشرق اليرموك تكوّن نتيجة نشاط لبركان قديم ترك آثاره فى كل مكان ، وتتكون الصخرة الرئيسية هنا من البازلت ، وجبل الدروز وهو أهم مرتفع فى المنطقة عبارة عن جبل بركانى ، ويقع فى الجانب الشمالى الغربى من جبل الدروز إقليم الليجا Leja الذى اشتهر عبر العصور التاريخية بوجود قُطاع الطرق والإرهابيين فيه . وكلمة " ليجا" تعنى "المخبأ"أو "الملجأ"، وتتكون هضبة الليجا من الحمم البركانية .

كان هناك ثمة تعايش تقليدى طوال العصور القديمة والحديثة بين سكان هضبة الأردن والمقيمين فى الحقول البركانية التى تقع فى الشمال ، ويرجع السبب الرئيسى

فى استمرار هذا التبادل إلى الطريق الذى يتجه نحو الجنوب الشرقى من الحقول البركانية إلى داخل المنخفض الكبير فى الصحراء والمعروف باسم وادى سَرحان . ويمثل هذا المنخفض الطويل، بما يقع فيه من واحات كبيرة فى طرفه الشمالى والجنوبى، الطريق الذى كان يُفضل استخدامه لفترة طويلة بين المنطقة المؤدية إلى داخل المملكة العربية السعودية وجنوب سوريا . ولما كان طريق وادى سَرحان يتجه إلى جنوب سوريا بالقرب من نقطة التقاء خطوط الاتصال مع الأقسام الحضرية لهضبة الأردن فإن المنطقة الشمالية أصبحت مركزًا مهمًا للمواصلات بين كل من الساحل الجنوبى والمناطق الداخلية فى الجنوب ، بالإضافة إلى طريق وادى اليرموك الذى يهيئ وسيلة الوصول إلى الجانب الآخر من وادى الأردن .

كانت الضفة الغربية من هضبة الأردن ، التى تطل على وادى الأردن والبحر الميت عادةً هى أكثر المناطق التى يُفضل الاستقرار فيها حيث يتوفر لها قدر كافٍ من الأمطار لزراعة المحاصيل الزراعية ، أما مدن المنطقة التى تقع بالقرب من الطريق الرئيسى الكبير الذى يربط بين خليج العقبة ودمشق فكانت تتيح لها فرصة معقولة للنمو التجارى ولهذا ليس من قبيل المصادفة أن أكبر ثلاث مدن من الولاية العربية الرومانية وهى جيراسا Gerasa، وفيلادلفيا Philadelphia(*)، والبتراء Petra كانت كلها تقع فى القسم الغربى من الهضبة (١٥).أما المدينة الكبيرة التى يمكن أن تقارن بالمدن السابقة ولكنها تقع خارج هذه المنطقة فهى مدينة بُصرى Bostra، التى كانت تتحكم فى الطرق المتقاطعة فى الشمال، حيث توجد الحقول الحممية ، وهضبة الأردن وانحناءة وادى سرحان ، وتقابل الآن الصخرة التى تقع فى الجزء الجنوبى من الهضبة ، فى منطقة البتراء ومعان ، وقد تحولت طبيعتها من الحجر الجيرى إلى

(*) فيلادلفيا Philadelphia : حملت إحدى قرى الفيوم فى مصر الاسم نفسه ، نسبة إلى ثانى الملوك البطالمة. وكثيراً ما وقعت منطقة سوريا الخالية فى يد بطالمة مصر فى صراعهم المسلح ضد سوريا أثناء الحكم السليوقى ، وشارك هذا العامل مع عوامل أخرى فى إضعاف البيتين المقدونيين أمام قوة الجمهورية الرومانية التى كانت تنمو فى الجانب الغربى من البحر المتوسط وانتهت بالقضاء عليهما . (المترجمة)

مزيج من الجرانيت والحجر الرملى . وتغير تبعًا لذلك منظر الأرض . ويدا هذا النسيج الجديد من الألوان المشرقة للصخرة عند البتراء التى ربما كانت من أهم أسباب شهرة المدينة .

إن الجزء الجنوبى من الهضبة هو أكثر مناطقها ارتفاعًا حيث يبلغ ارتفاعه أكثر من ٥٠٠٠ قدم ، ولكنه ينحدر بعد ذلك بشدة داخل سهل الحَسمى الذى يقع أسفله . وتسمى قمته باسم الشارة Shara[١٦]. ويبدو أنها أعطت هذا الاسم للمعبود" دو شرى Du Shara" وهو أكثر المعبودات المحلية انتشاراً فى العصور القديمة (ودو الشارات Dou Saraes) يعنى رب الشارة Shara . ويعد منظر الانحدار من الشارة إلى الحسمى من أبرز المناظر الجغرافية المميزة فى الشرق الأدنى . إن مشاهدته من المنطقة المرتفعة عند محطة درب النقب – عشتار ، يظهر منها منظر الحَسمى الطبيعى كما لو أنه ينتمى إلى كوكب آخر . فهناك الأرض المكشوفة والقاحلة ، ومُسطحات الطين الجاف والرمال المنبسطة على طول المسافة والمنقطة برءوس الصخور الرملية ، وبشكلها الذى لا يغرى بزيارتها، إلا أنه كان ينبغى اجتيازها للتقدم إلى خليج العقبة وإلى الطريق البحرى المتجه إلى المحيط الهندى، وكان يُفضل فى العصور القديمة كما هو الحال فى الحاضر استخدام الطريق عبر الحَسمى من وإلى العقبة للمرور إلى منخفض وادى عَربة ، فعلى الرغم من أنه كان ملائمًا ، فإن حرارته كانت غير محتملة ، ولكن عند غروب الشمس من على الرمال ومسطحات الطين فى حسمى ، تهب الرياح الباردة المعروفة فى الصحراء ، وتمنح الفرصة للمسافر ليتمكن من قضاء عدة ساعات من النوم المريح .

ينبغى أن نضع فى اعتبارنا دائمًا الروابط الجغرافية بين شبه الجزيرة العربية الممتدة من العقبة إلى الجنوب الشرقى وإلى الأقاليم التى يستقر فيها السكان فى شرق الأردن وجنوب سوريا ، ويقدم وادى سَرحان صورة عن التكامل بين الأقاليم . وبالمثل هناك روابط قوية بين حسمى والساحل الداخلى لشبه الجزيرة العربية ، خلف الجبال التى تواجه البحر مباشرة . أما بالنسبة للأفراد الذين لا يستخدمون السفن فى

العقبة فكان يمكنهم الانحراف قليلاً جنوبى شرق الأردن عند قدومهم عبر الحَسمى من الشمال ، حتى يهبطوا إلى داخل الحجاز (فى الركن الشمالى الغربى من المملكة العربية السعودية)على الطريق الذى يعرفه الحجاج المسلمون باسم طريق الحج، وكانت الحجاز تعد جزءاً من مجموعة مُركبة من الأقاليم التى تتضمن سيناء و النقب وشرق الأردن، وهى التى كونت ما سُمى بولاية العربية الرومانية .إن ما قام به القدماء من ربط بين هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية والأراضى الواقعة شمالاً وغرباً قد أصبح واضحاً الآن خلال فترة الخمسين سنة الأخيرة أو ما يقرب من ذلك ، وهو الأمر الذى لاشك فيه كما سنرى الآن .

كان لهذا الإقليم من شبه الجزيرة العربية أهميته القصوى فى تاريخ العرب منذ البداية . ويعرف الجميع أن أصول محمد (صلى الله عليه وسلم) ترجع إلى هذه المنطقة(*) ، كما نعرف بدرجة أقل أن العرب الذين تحركوا شمالاً إلى البتراء وكونوا مملكة هناك – ما زالت آثارها تشهد على عظمتها – ربما كانت أصولهم ترجع إلى الحجاز (١٧). إن معرفة حركة البدو والضرورة التى تفرضها ظروف الأرض على حركتهم يعد أمراً جوهرياً لفهم تاريخ الإقليم (١٨). وإذا تجاهلت أى قوة خارجية لديها الرغبة فى التدخل فى المنطقة هذه الحقائق تُعرض نفسها للخطر. أما الرومان فكانوا عمليين كعادتهم دائمًا ، وكما سوف نلاحظ ، فقد أحسنوا تقدير أثر الضغوط الجغرافية على سكان الإقليم الذى خططوا للسيطرة عليه . وعلى الرغم من توفر ظروف الاستقرار لسكان الهضبة الغربية لشرق الأردن Transjordan، وكذلك بالنسبة

(*) يرجع ذلك إلى أن قُصى (زيد بن كلاب) الجد الأكبر للرسول صلى الله عليه وسلم كان قد أقصى عن عشيرته كنانة التى كانت تقيم فى مكة عندما توفى والده ، وتزوجت أمه رجلاً من قضاعة ينتمى إلى قبيلة عذرة فحملته معها على ديار زوجها بأطراف الشام . لما شب قصى وعرف أصله عاد إلى مكة وتزوج من ابنة حليل بن حبشية وكان على رأس مكة ، وعندما مات حليل قامت حرب بين خزاعة وقريش أدت إلى تغلب قصى على أمر مكة والبيت حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى . راجع :ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عطا ، بيروت ١٤١٠/١٩٩٠، ص٥٥ . (المترجمة)

لشمال النقب عن طريق الرى ، فإنه لا يزال هناك أماكن شاسعة تُركت مفتوحة أمام البدو الرُحل – كما هو معروف عنهم فى العصور القديمة وحتى العصر الحديث – وهم لايزالون يتميزون بالعيش فى الخيام أثناء حركتهم من مكان إلى مكان آخر . وكان هذا هو النموذج المألوف لهجرة الأفراد أو النزوح من مكان إلى آخر ، وتكونت حركة هجرتهم أثناء الدورة الموسمية من وحدات صغيرة ملتحمة متلاصقة ، أو من قبائل على شكل قافلة كانت تسعى إلى منطقة منخفضة الحرارة فى الطقس الحار ، ومنطقة دافئة عند برودة الجو ، والمعروف أن البدو هم أصلاً مجموعة من الغجر ، أو هم مجرد جوالة مرتحلون. لقد كانت حركتهم منتظمة ومنطقية(١٩). وأثناء حركتهم كانوا يبحثون عن المراعى لإطعام الأغنام والماعز التى تتحرك معهم . ويترتب بالتالى على ذلك أن المناطق التى تركوها لن تكون على حالتها نفسها عند عودتهم إليها، وهذه الخطوات فى الحركة لم يتم اتباعها تمامًا على الصحراء السورية، وارتبط مع هجرة البدو الموسمية بين حين وآخر حركتهم داخل مناطق جديدة تمامًا، كانوا ينتظرون الحصول فيها على مراعٍ ومصادر أفضل للمياه . لقد كانت القبائل عديدة ، وحياة الصحراء قاسية وخطيرة ، لذلك كان من الطبيعى حدوث تغيير فى إيقاع حركة هجرة القبيلة من مكان إلى آخر . إن تاريخ العرب قبل الإسلام عبارة عن قصة طويلة لتحرك القبائل .إن عدداً غفيراً من العرب ومن بينهم أولئك الذين حكموا فى البتراء خرجوا من شبه الجزيرة العربية ، سواء نتيجة لضغط القبائل المعتدية عليهم أو ربما نتيجة لبحثهم الدائم عن حياة أفضل فى مكان آخر .

لذلك تكون الفرصة متاحة دائمًا لنشوب الصراع بين المجتمعات المستقرة فى المناطق الزراعية وبين بدو الصحراء ، ويلاحظ مرونة مجتمع الشرق الأدنى بصفة عامة فى المواءمة بين إيقاع حركة البدو وطموحات الجماعات المستقرة فى تأمين الصحراء . إن قُطاع الطرق فى منطقة الليجا يمكن أن يكونوا أكثر خطورة من البدو الذين يفدون إلى منطقة شرق الأردن أثناء ارتفاع درجة الحرارة ، وينبغى علينا أن نضع فى اعتبارنا دائمًا أنه عندما تقوم قبيلة بشن حرب على قبيلة أخرى ، أو عندما تقوم أمة

مستقرة بإرسال جيش ضد منطقة أخرى ، فليس هناك دليل على أن البدو كانوا يقومون بصفة منتظمة بانتهاز الفرصة وإثارة المشاكل أو مهاجمة المجتمعات المستقرة، أو أن المجتمعات المستقرة قامت أبداً بالثأر من البدو (٢٠). وليس هناك داع للظن بأن ميثاق شرف البدو كان يختلف فى العصور القديمة عن ذلك المعروف الآن . إن البدو ظاهرة طبيعية فى الصحراء مثلهم فى ذلك مثل الواحات وزهورها ، ولم يكن البدو يمثلون مشكلة كبيرة بالنسبة لحكام المناطق التى يقومون بعبورها إلا عند قيامهم بالاستقرار أو تجمعهم فى اتحاد فيدرالى بزعامة قادة سياسيين .

على الرغم من أن شكل الولاية العربية الرومانية غير متجانس على الخريطة ، فإن جغرافية الإقليم تجعل منه وحدة طبيعية متجانسة، ونتج هذا التماسك أساساً من انحراف الصحراء عبر سيناء وخلال النقب وصولاً إلى داخل سوريا من ناحية ، وعن طريق حلقة اتصال الشمال بالجنوب فيما بين سوريا وخليج العقبة من جهة أخرى. وهى المنطقة التى تظهر بوضوح كحلقة تربط الغرب بالشرق والشمال بالجنوب . وعلى الرغم من اعتبارها موطناً للبدو ، فإنها كانت لها أهميتها الحيوية فى النمو الاقتصادى من خلال النشاط التجارى ولتوفير الحاجات الضرورية لحياة مدن الهضبة . ولا شك فى أن شعباً قوياً مُصمماً كان يمكنه السيطرة على هذا الركن من البحر المتوسط . حقيقةً لم يكن الرومان هم أول من قاموا بذلك ، فقد ! ستولوا على ماكانوا يطلقون عليه اسم العربية من شعب آخر سبق أن قام بتطوير الإقليم بمهارة مذهلة ، وهؤلاء كانوا ينحدرون من نسل العرب البدو الذين أسسوا البتراء واتخذوها عاصمة لهم وهم الذين عرفوا فى العالم باسم الأنباط(*) Nabataeans

(*) راجع : أحمد أمين سليم وأبو العيون بركات : جوانب من تاريخ وحضارة العرب فى العصور القديمة الإسكندرية ، ٢٠٠٣، ص١٧٣–١٨٠ .

مصادر الفصل الأول

(١) عن المملكة العربية السعودية راجع J.Pirenne,Le royaume Sud-arabe de Qatabān et sa datation (1961),and H.von Wissmann,"Die Geschichte des Sabäerreichs und der Feldzug des Aelius Gallus "ANRW II.7.1(1976),308-554 R.Wood.The Ruins of Palmyra (1753),p.1.

(٢) R.Wood.The Ruins of Palmyra (1753),p.1

(٣) تم اقتباس هذه العبارة من أشعار العميد جون وليامز بورجون كما وصفت المدينة بأنها "وردة حمراء" . وعندما قام بزيارة البتراء بعد فترة طويلة من تأليف أشعاره عنها ،أدرك أن الوردة الحمراء هى أفضل وصف للونها .راجع أيضًا I.Browning,Petra (1973),p.118.وقد يكون لون الخوخ تشبيهًا أفضل .

(٤) J.L.Burckhardt,Travels in Syria and the Holly Land (1822).

(٥) L.de Laborde, Voyage del'Arabie Pétrée(1830).

(٦) J.G.Wetzstein,Reisebcricht Ueber Hauran Und die Trachonen (1860) وقام لابورد بنفسه بمسح لأغلب المدن العربية التى تقع فى أقصى الشمال: القنوات Qanawāt، والسويداء ، 'Sweidā وبُصرى Busrā فى عام ١٨٢٧ Voyage de la Syrie: (1837) .

(٧) Waddington,IGLS(1870)

(٨) C.M.Doughty,Travels in Arabia Deserta,2vols.(1888).

(٩) إن التقرير الذى كتبه لير Lear عن زيارته للبتراء جدير بالقراءة: "A leaf from the Journals of a Landscape Painter," Macmillan's Magazine, 75 (April 1897)410-30. وعن الصور راجع P. Hofer,Edward, Lear as a Landscape Draughtsman (1967),plates57 and 109.

(١٠) راجع للصورة الفوتوجرافية التى تم إعادة نشرها فى اللوحة رقم ٥ بموافقة من مالكها جورج رينهارت George Rinhart .

(١١) R.E.Brunnow& A.von Domaszewski,Die Provincia Arabia.3vols. (1904-1909).

(١٢) See esp. R.Dussaud &F.Macler,"Rapport sur une mission scientifique dans les régions désertiques de la Syrie moyenne,"Nouvelles archives des missons scientifiques et littéraires 10 (1902),411-744. والبحث التالى لا غنى عنه : A. Jaussen &R.Savignac, Mission archéologique en Arabie I (1909) &II (1914). For M. Dunand,note" Rapport sur une mission archéologique au Djebel Druze,"Syria 7 (1926), 326-35,&" La voie romaine du Ledja ,"Mém.Acad. des Inscr. et Belles –Lettres 13.2 (1930). 521-57.

(١٣) راجع، مع العناية الخاصة بالوسائل القديمة ، M.Evenari,et al., The Negev:The Challenge of a Desert(1971),rev.ed. 1982).

(١٤) P. Mayerson,"The Desert of Southern Palestine According to Byzantine Sources,"Proc. Phil.Soc .107.2 (1963),160-72; "The Clysma-Phara-Haila Road on the Peutinger Table,"Coins,Culture,and History in the Ancient World: Studies in Honer of Bluma Trell (1981),pp. 167-76;"The Pilgrim Route to Mount Sinai and Aremenians,"IEJ 32 (1982),44-57.

(١٥) Amm.Marc. 14.8.13:Haec(sc.Arabia quoque civitates habet inter oppida quaedam ingentes, Bostram et Gerasam atque Filadelfiam. وفى عصر أميانوس (القرن الرابع) فقدت البتراء كثيرًا من أهميتها السابقة، وعن تقرير تفصيلى عن أحوال الإقليم فى الوقت الحالى راجع : David J.Burdon, Hanandbook of the Geology of Jordan(1959).

(١٦) راجع عن دوشرى ، D.Sourdel , Les cultes du Hauran à l'époque romaine (1952),pp.59-68,&J. Teixidor,The Pagan God(1977),p.83."دو شرى يعنى "الذى ينتمى إلى دوشارة". إن اسم الهضبة شرى Shara ، يجعلنا نستحضر الجذر(شرى šr')الذى يعنى" يبيع "أو "يشترى". ومن المحتمل أن حرفة التجارة التى يمارسها السكان قد أضافت اسمها إلى المكان ، وظهر الإله (دوشرى Dousares فى اللغة

اليونانية في العصر المسيحي في شكل القديس زيوس دوساريس St.Zeus
Dousaresراجع: J.T.Milik in C.-M.Bennett,ADAJ 24 (1980),211.

(١٧) عن أصول الأنباط فى شبه الجزيرة العربية راجع -P.C.Hammond,The Nabataeans
Their History,Culture, And Archaeology(1973), p.11. وعلى أى حال فقد قام ميليك J.T. Milik بمناقشة كون الخليج الفارسى (العربى)هو موطن الأنباط الأصلى فى المؤتمر الأول لتاريخ وآثار الأردن الذى انعقد فى أوكسفورد فى مارس ١٩٨٠ بينما فضل كل من بروم وونيت أن يكون موطنهم فى المنطقة التى تقع جنوب الجوف (لقد تفضل ديفيد جراف مشكورًا بإمدادى بهذه المعلومات).

(١٨) راجع : M. Awad,"Nomadism in the Arab Lands of the Middle East,"The Problems of the Arid Zones,UNESCO public (1962). راجع أيضًا المجلد الرائع When Nomads Settle (1980).ed.Philip C. Salzman، الذى نبهنى إليه ديفيد جراف .

(١٩) أحالنى ستيفن همفريز Stephen Humphreys إلى هذه الدراسة الهامة عن البدو السودانيين Talal Asad ,"Seasonal Movements of the Kababish Arabs of Northen Kordofan[Sudan], "in Peoples and Cultures of the Middle East, ed. Louise E. Sweet,I (1970),346-62.

(٢٠) راجع: B.Isaac,"Bandits in Judaea and Arabia,"HS CP، تصدر تباعًا

" الفصل الثانى "

وصول الأنباط

"THE COMING OF THE NABATAEANS"

تكونت الولاية العربية الرومانية فى تلك المنطقة الشاسعة التى قامت عليها مملكة العرب الأنباط فى عصر القيصر أغسطس فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد(*) . تمكن هؤلاء العرب فى أثناء دورة النجاح الرومانى من تحقيق النجاح فى مجالى الثقافة الرفيعة والاحتكار المحكُم لتجارة الطيوب والتوابل(**)، ويمكن الحكم عليهم من خلال المعلومات التى قدمها عنهم وعن مراحل شغلهم لذلك الجزء من الأراضى الواقعة جنوب شرق البحر المتوسط من خلال تقريرين لاثنين من الكتاب المعاصرين لأغسطس :الأول المؤرخ ديودورس Diodorus الذى كتب تاريخًا باللغة اليونانية عندما كان أغسطس لا يزال صبيًا ، وقدم الأنباط وهم فى طور البداوة (١). والتقرير الآخر هو ما قدمه استرابون فى جغرافيته Geography بعد عدة حقب زمنية لاحقة ، وفيه ظهرت صورة الأنباط مختلفة اختلافًا كبيرًا ، وظهروا كشعب مستقر(٢).

وعلى الرغم من اقتراب هذين المؤرخين كل منهما زمنيًا من الآخر ، فإن كلا من ديودور واسترابون قد استمد معلوماته من مصادر مختلفة، ومن هنا يتضح السبب فى التناقض فى الحقائق التى قدمها كل واحد منهما، فبينما يبدو أن ديودورس

(*) حمل أوكتافيانوس لقب قيصر والده بالتبنى ، ومُنح لقب أغسطس أى صاحب الجلالة بمناسبة فتح مصر عام ٣٠ ق.م.

(**) راجع : كرون (باتريشيا)، تجارة مكة وظهور الإسلام ، ترجمة ودراسة : آمال الروبى، مراجعة : محمد إبراهيم بكر، القاهرة ٢٠٠٥، ص ١٠٩ .

اعتمد فى روايته عن سنوات الاضطراب التى أعقبت موت الإسكندر الأكبر اعتماداً كبيراً على رواية شاهد عيان تاريخى والتى قدمها هيرونيموس الكاردى Hieronymus of Cardia[٣] (*) ؛ حيث وجد فى هذا العمل أقدم إشارة تاريخية إلى الأنباط ، بالإضافة إلى وصف تفصيلى عن طريقة معيشتهم فى ذلك الوقت. أما استرابون فهو على العكس من ذلك ، فعلى الرغم من معرفته للمعلومات التى قدمها الكاتب الهللينيستى المتأخر أجاثارخيديس Agatharchides of Cnidus، فإنه قد حالفه الحظ لأنه قدم تقريراً معاصراً عن هذا الشعب من خلال مشاهداته الشخصية عندما قام بزيارة عاصمتهم البتراء[٤]. لقد قُدر لنا من خلال ما قدمه كل من ديودور واسترابون، الذين كان من الممكن أن يقابل الواحد منهما الآخر فى أحد شوارع روما أصبح لدينا تقريران عن الأنباط : الأول يعكس أحداث تاريخهم أثناء القرن الرابع ق.م.، والثانى يتحدث عن أواخر القرن الأول ق.م. بمعنى أنه أصبح فى إمكاننا ليس فقط أن نرى كيف كانوا ، بل أيضاً وكيف أصبحوا .

وطبقًا لما ذكره ديودورس عام ٣١٢ ق.م. فقد قرر أنتيجونوس Antigonus "الأعور" القائد السابق للإسكندر الأكبر ، والذى كان واحداً من بين أكثر خلفائه طموحاً ، أنه من الطبيعى حتى يستكمل غزو سوريا وفينيقيا أن يقوم ببسط نفوذه "على أرض العرب الذين يسمون باسم الأنباط" (٥) . لذلك قام – أنتيجونوس – طبقًا لما ذكره ديودورس بإرسال حملة يقودها أثينايوس Athenaeus، وكانت تتكون من (٤٠٠٠) من جنود المشاه ، و (٦٠٠) من الفرسان لمفاجأة البرابرة(*) كما كانوا يطلقون عليهم – ولسرقة حيواناتهم.

(*) هيرونيموس الكاردى Hieronymus of Cardia هو أحد ضباط الإسكندر المقدونى ، الذى وردت كتاباته لدى الكاتب ديودور الصقلى ، وهو موثوق به فيما كتب فى الفترة التى أعقبت وفاة الإسكندر عام ٣٢٣ق.م.، وحتى وفاة الملك بيروس Pyrrhus ملك إبيروس الشهير فى بلاد اليونان عام ٢٧٢ ق.م. ، وربما فى الفترة التى تمتد حتى عام ٢٦٣ م. راجع : Diodorus Siculus، Bibliotheca Historica، Edited and tran.by C.H.Oldfather and Others ،12vols ،London ،xix ،.5.

ونُصح أثينايوس بأن هؤلاء العرب كانوا يجتمعون سنوياً فى احتفال قومى وكانوا يتركون ممتلكاتهم وكبار السن لديهم والنساء والأطفال على صخرة معينة επι τινος πετρας توصف بحصانتها الاستثنائية على الرغم من كونها بدون أسوار وهو الوصف الذى يتلاءم تماماً مع موقع البتراء . لذلك انتظر أثينايوس حلول موعد الاحتفال ثم اتجه بعد ذلك إلى الصخرة πετρα" بمصاحبة جيشه إلى الجانب الغربى من الأردن، وتمكن من الوصول إلى الصخرة فى منتصف الليل ، وقام بمفاجأة العرب الذين كانوا موجودين هناك ، وقتل بعضهم ، وأسر آخرين ، وتمكن من جمع كمية كبيرة من اللُبان الذكر frankincense والمُر myrrh والفضة(**)، ورحل سريعًا قبل بذوغ الفجر مع قواته إلى الغرب عائداً لأنه كان متأكداً من سرعة تعقب الأنباط له .

لكن قوات أثينايوس أصبحت مُجهَدة ومتوانية، لذلك أقاموا معسكرهم فى المنطقة التى ظنوا أنهم بعيدون فيها عن الخطر ، عندما علم الأنباط بغارة الإغريق قاموا فوراً وبدون إضاعة الوقت بملاحقة قوات أثينايوس، وهجموا عليهم عندما كانوا متجمعين فى معسكرهم، وتمكنوا بالفعل من القضاء على جميع المشاة وغالبية الفرسان ، وعاد الأنباط بعد ذلك إلى صخرتهم، وكتبوا رسالة إلى أنتيجونوس "باللغة السورية (*)"لإلقاء اللوم على أثينايوس(٧). أجاب أنتيجونوس إجابة رجل دولة ماكر ،

(*) كان الإغريق يطلقون اصطلاح البرابرة على الأجانب جميعاً الذين لايتحدثون اللغة اليونانية على اختلاف ألوانهم وثقافاتهم ، ولمزيد من المعلومات عن حملة أنتيجونوس ، راجع : آمال الروبى "الجزيرة العربية فى كتابات الإغريق والرومان "، دراسة استشراقية من القرن الخامس ق. م. إلى أواخر القرن الرابع الميلادى"، مجلة جمعية التاريخ والآثار، الرياض، العدد (٦) ، عام ٢٠٠٥ ، ص٧ وما يليها، وإحسان عباس ، تاريخ دولة الأنباط ، عمان –الأردن ١٩٨٧ص١٠٧–١١٣. (المترجمة)

(**) عن وصول أغلى أنواع البخور ومنتجات بلاد العرب السعيدة وطرق نقلها إلى الشمال، وقيام الأنباط بتوصيلها إلى عالم البحر المتوسط راجع آمال الروبى " الجزيرة العربية فى كتابات الإغريق والرومان "، مجلة جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون ، العدد السادس ٢٠٠٥ ، ص٧٢ وما يليها والمصادر المذكورة فيها .

وصرح أن أثينايوس قام بهذا العمل على عكس رغبته هو شخصياً ، وحاول الملك بهذا التفسير صرف نظر الأنباط عن الإحساس برغبته فى الاستعداد لشن اعتداء جديد. وعلى الرغم من أن الأنباط شعروا بالرضى من هذا الرد ، فإنهم لم يتوانوا عن حراسة المكان بوضع مراقبين على تلال مختلفة فى الإقليم ، وعندما اقتنع أنتيجونوس بأن الأنباط اعتبروه صديقًا لهم ، أصدر أوامره إلى ابنه ديمتريوس Demetrius، الذى عرفه العالم الإغريقى بلقب "مُحاصر المدن" بالسير إلى أرض العرب والانتقام من هزيمة أثينايوس. لكن المراقبين من الأنباط كانوا متيقظين ، وكانوا يتبادلون أخبار الغزو الإغريقى عن طريق سلسلة من الإشارات النارية ، وعندما كان الإغريق لا يزالون فى طريقهم ، أعد الأنباط جيشًا للدفاع عن البتراء ، وفى الوقت نفسه قاموا بتقسيم قطعان حيواناتهم بطريقة ماكرة إلى مجموعات منفصلة ، حيث دفعوا بعضها إلى داخل الصحراء ، بينما قادوا البعض الآخر إلى أماكن بعيدة

(*) أى باللغة الآرامية التى كانت منتشرة فى المنطقة فى تلك الفترة وقام الأنباط بتطوير أشكال الكتابة الآرامية ؛ وتم العثور على عدد كبير من النقوش وصل عددها إلى أكثر من خمسة آلاف نقش داخل مملكتهم والمناطق التى وصلها تجارهم فى دمشق والرقيم والنقب شمالاً إلى صحراء سيناء وصحراء مصر الشرقية غرباً وإلى العلا وقرية الفاو جنوباً وإلى حوران فى الشمال الشرقى . وهى نقوش تكتب وتقرأ من اليمين إلى اليسار (مخالفة بذلك منهج الكتابات العربية الجنوبية التى تكتب وتقرأ من عدة اتجاهات)، وتطغى عليها لهجتهم العربية كاستخدامهم ال"التعريف" وأداتا الألف والواو للترتيب ، والاستثناء باستخدام كلمة "غير"كما هو الحال الآن فى اللهجة العامية السعودية ، واستخدام الماضى للدعاء، وظهور بعض المصطلحات العربية الخالصة . قام الأنباط بتطوير الكتابة الآرامية بوصل حروف الكلمة الواحدة مع بعضها ، والتفريق بين شكل الحرف فى أول الكلمة أو فى آخرها . أما إذا أتى الحرف فى وسط الكلمة فهو يتشابه إلى حد كبير مع شكل الحرف فى أول الكلمة . والنقوش خمسة أنواع :تذكارية – جنائزية – معمارية – وقفية – تكريمية ، راجع الذيب (سليمان عبد الرحمن)، نقوش نبطية قديمة ، دراسة تحليلية ، الرياض ١٤١٥/١٩٩٥م، ص٢١ وما يليها ، وموضوع الدراسة عن النقوش التذكارية ، ومن الحِرف التى ظهرت فيها : الحداد – الصائغ – الموظف المسئول عن العبيد . وعن الموضوع راجع : المؤلف نفسه ، نقوش الحجر النبطية ، الرياض ١٤١٩ /١٩٩٨ م، والمعجم النبطى ، دراسة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية ، الرياض ١٤٢١/٢٠٠٠م؛ Al-Theeb Solaiman Abdal -Rahman)، Aramaic and Nabataean Inscriptions، Riyadh، 1414AH/1993A

لايستطيع الإغريق الوصول إليها . لذلك لم يكن فى استطاعة ديمتريوس الاستيلاء على الصخرة النبطية .

أرسل العرب رسالة إليه ذاكرين فيها الحقائق الواضحة : إنه ليس هناك معنى لشن الإغريق حرب ضد شعب ليس لديه مياه أو نبيذ أو قمح ، حيث إن طريقة حياة العرب مختلفة عن الإغريق ، كما أنهم ليس لديهم استعداد لأن يصبحوا عبيداً لهم ، وبعد أن تبادل ديمتريوس الرأى مع ممثلى الأنباط ، وافق فى النهاية على الانسحاب ، مكتفياً بالحصول على بعض الرهائن والهدايا .

تمثل حقبة أثينايوس وديمتريوس بداية دخول الأنباط فى التاريخ المسجل .ومن الصعوبة بمكان معرفة طول المدة التى قضاها العرب فى ذلك الإقليم قبل أن يقابلهم القادة الإغريق . ولا يوجد أسس ثابتة يمكن بها مطابقتهم مع نبايوث Nebaioth الذين ورد ذكرهم فى العهد القديم ، أو الشعب الذى حمل اسمًا مشابهًا فى سجلات الأشوريين ، ويبدو أن تاريخهم كان بالتأكيد مظلمًا قبل عام ٣١٢ قبل الميلاد .وعلى الرغم من ذلك ، فإن ماذكره ديودوروس فيما أخذه عن شهادة هيرونيموس الكاردى أحد ضباط الإسكندر الأكبر المعاصرين يقدم صورة حية عن حياة الأنباط قرب نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ، وتوضح الرواية العسكرية مع أمور أخرى أن الأنباط كانوا على قدر من معرفة القراءة والكتابة ، ولهذا كان لديهم على الأقل كتبة قادرون على "الكتابة بحروف الكتابة السورية "، التى كانت أغلب الظن شكلاً من أشكال الآرامية ، وتوضح النقوش وأوراق البردى من عصور تالية أن الأنباط كانوا يتحدثون عادة لهجة آرامية وكانوا يكتبونها بخطهم المميز(٩)، وليس هناك سبب يدعونا إلى القول إن هذه هى الكتابة التى ذكر ديودورس أن هيرونيموس كان يشير إليها . إضافة إلى ما تقدم فإن الأنباط كانوا فى القرن الرابع شعبًا رعويًا وكانت لديهم القدرة على تحريك قطعانهم داخل الصحراء ، وكانوا يجتمعون كأمة واحدة مرة واحدة فى العام ، وظلت صخرتهم الكبيرة بدون أسوار كموقعهم الحصين عند تركها فى مناسبات هذا

الاجتماع القومي . من خلال ما تقدم يمكن القول فى النهاية بأن شعب الأنباط كان فى مجمله شعبًا بدويًا . ومن حسن الحظ لم يتركنا ديودورس وثمة شك لدينا بخصوص هذا الموضوع حيث يمكن رسم وصف تفصيلى من مصدره عن طريقة معيشة الأنباط .

لقد كانوا يعيشون فى الخلاء كما ذكروا لديمتريوس ، فى منطقة قاسية خالية من المياه الكافية ، حيث كان من الصعوبة إمكانية الزراعة أو البناء . وتتمثل عاداتهم التى حافظوا عليها بإصرار فى عدم وجود منازل لهم على الإطلاق ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الذين يقيمون فى المنازل من السهولة بمكان إخضاع الآخرين لهم (١٠). وقام بعض الأنباط بتربية الجِمال ، بينما قام آخرون بتربية الأغنام . وفوق كل ذلك استطاعوا تحقيق قدر كبير من الثروة ، حيث اعتاد عدد غير قليل منهم على إحضار اللبان الذكر والمُر وأغلى أنواع التوابل التى كانوا يحصلون عليها من القادمين من المنطقة التى يطلق عليها بلاد العرب السعيدة (١١)، وهذا يعنى أن تجارة التوابل والطيوب القادمة من بلاد العرب الجنوبية ومن الشرق كان يتم نقلها بالاعتماد على الوسطاء من الركن الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية حتى تصل إلى الأنباط الذين يقومون بنقلها بعد ذلك إلى البحر المتوسط، ونظراً للموقع الذى أقام فيه الأنباط فى الفترة المبكرة من عهد أنتيجونوس ، فيمكن أن يكون هناك قليل من الشك من أن ذلك الطريق كان يمر فى اتجاه الشمال إلى شرق الأردن ثم بعد ذلك يتجه غربًا عبر عَربة إلى غزة ورينوكُلورا(١٢) .

يؤكد تقرير ديودورس عادات الأنباط بصفة عامة ، وبالنسبة لموضوع غزو كل من أثينايوس ودمتريوس لهم بصفة خاصة ، على مدى حبهم للاستقلال ، ونبعت قدرتهم فى الانسحاب إلى الصحراء وإمكانية معيشتهم فيها من مهارتهم فى إنشاء خزانات مياه تحت الأرض لايستطيع الغرباء كشف مكانها ، وهى تلك المهارة الاستثنائية التى استخدمها الأنباط فى ابتداع نُظم للرى فى مرحلة تالية من تاريخهم ، إن هذا التقرير صادق صدقًا كاملاً(١٣).

عمل الأنباط فى ميدان آخر غير تربية الجمال والأغنام واستطاعوا أن يحققوا منه مكاسب كبيرة وهو مجال توابل وطيوب الشرق ، ويبدو أنهم انخرطوا كذلك فى تسويق القار من البحر الميت . وأغلب الظن أنهم شرعوا فى هذا العمل نتيجة لحملة ديمتريوس الفاشلة التى قام فيها بالهجوم على موقع الأنباط الحصين . فعندما قام بمحاولة الحصول على بعض القار من البحر الميت ، فى محاولة منه للحصول على بعض المكاسب لعملياته الفاشلة فى الإقليم ،"وقام بإنزال رجاله فى القوارب ، وتولى العرب مهاجمتهم على الفور بقوة بلغت(٦٠٠٠) رجل "[١٤]، وقضى على أغلب رجال ديمتريوس تحت وابل من السهام .

وظهر الأنباط من خلال صفحات كتاب ديودورس كشعب بدوى يتمتع بحيوية غير عادية . أما الصورة التى رسمها استرابون لهم ، والتى كتبها بعد عقود قليلة من تقرير ديودورس فهى تعكس الظروف التى تغيرت خلال ثلاثة قرون من الزمان ، لذلك فهى تلغى الصورة السابقة لأنها أصبحت مختلفة. هذا على الرغم من أن الأنباط كما يُرى عند استرابون كانوا يشغلون إقليم شرق الأردن نفسه ، وأصبحوا شعبًا مستقراً تمامًا . وأصبحوا يهتمون كثيراً بحيازة الثروات الضخمة ، كما يقول استرابون إنهم فرضوا غرامات مالية على أى فرد تنقص ثروته ، وكانوا يقومون فى الوقت نفسه بتكريم هؤلاء الذين يضاعفونها[١٥] ، ويخضعون لملك يعيش حياة مترفة ، وشيدت منازلهم من الأحجار وكانت فخامتها غير عادية [١٦]. كانت مدينتهم الرئيسية البتراء ذات الصخرة ، والتى نال نظام حكمها إعجاب صديق استرابون ومصدر معلوماته . وكانت البتراء مدينة عالمية ، كثيراً ما كان يُشاهد فيها رومان وأجانب آخرون . وفى الواقع فقد امتلأت المحاكم القضائية فى البتراء بعدد كبير من الأجانب ، ولما كان الأنباط شعبًا مسالمًا ، لذلك فنادراً ما انخرطوا فى منازعات قضائية ، وذكر استرابون أنه تم تزويد الجزء الأكبر من الإقليم بالفاكهة ، بل لقد وجدت حدائق فى داخل البتراء . ويبدو أن الأنباط كانوا لا يزالون يعملون فى ميدان التجارة ، إذ علّق استرابون على وفرة البضائع الواردة إليها من الأماكن الأخرى[١٨]. من الواضح

أن حياة الأنباط تبدلت تبدلاً جذرياً فى الفترة ما بين القرن الرابع وأواخر القرن الأول الميلادى .

من الصعوبة بمكان تتبع مراحل هذا التحول ، فليس لدينا أى نصوص تصف تاريخ الأنباط خلال فترة التحول الطويلة ، فيما عدا عدة أخبار متفرقة متفاوتة يمكن جمعها مما سبق كتابته من التاريخ القديم . أما الأمر المؤكد عنهم فيتمثل فى انتشار ثقافة الأنباط خلال العصر الهيللينستى . لقد تأكدنا من خلال عمليات أنتيجونس العسكرية إقامة الأنباط فى شرق الأردن فى نهاية القرن الرابع ، وأصبح هناك إمكانية فى تتبعهم فى المنطقة الشمالية من حوران حوالى منتصف القرن الثالث ، وهى المنطقة التى ستصبح لها الأهمية نفسها فى مملكة الأنباط مثل البتراء فى الجنوب ، ويقدم أرشيف بردى زينون Zenon دليلاً على تواجد الأنباط فى الشمال ٢٥٩ق.م.(*)

لقد أصبحت المنطقة تسمى بوضوح باسم حوران (Aurana) وهو الاسم الذى استخدمه الأنباط أنفسهم(١٩). ويشير نص آخر من الأرشيف نفسه إلى ظهور شخص يدعى رابيلوس (Rabbel (Páββηλος وهو اسم نبطى مميز ظهر ضمن قوائم ملوك الأنباط (٢٠). وعلى الرغم من افتراضات حديثة بأنه لايوجد دليل على توغل نبطى لحوران خلال القرن الثالث ، فإن أوراق بردى زينون قطعت الشك باليقين وأكدت على وجود العرب فى واحدة من المناطق الرئيسية التى سيكون لها أهميتها الكبرى(٢١). يبدو أن الأنباط قاموا فى الوقت نفسه بالتحرك عبر وادى عربة نحو الغرب فى الدروب الصحراوية للنقب ، والتى سوف يُقدر لها الازدهار فى القرون التالية ، وترجع أقدم النقوش النبطية إلى موقع إلوسا Elusa فى النقب ، وعلى الرغم من فقدان الوثيقة

(*) كان زينون يعمل وكيلاً لأعمال أبولونيوس وزير مالية الملك بطلميوس فيلاديلفوس ثانى ملوك الأسرة البطلمية التى حكمت مصر ٣٢٢-٣٠ق. م وتم الكشف عن كم هائل من أوراقه التى كان يحتفظ بها فى الفيوم وتلقى النقوش وأوراق البردى شعاعاً من الضوء على مهام الوزير الرسمية ، وتقدم كثيراً من التفصيلات عن إدارة أعماله الخاصة . راجع :إبراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، القاهرة الطبعة الخامسة ، ج٣، ص١١٧ ، ومايليها. (المترجمة)

الآن ، فإنه يتضح من صورتها الفوتوجرافية أن شكل حروفها يرجع إلى تاريخ مبكر جدا ، ويُقْرأ النص كالآتى :"هذا هو المكان الذى أقامه نوثايرو Nuthairu لتخليد الملك الحارث Aretas ملك الأنباط" [٢٢]، وإذا كان هذا النقش يرجع إلى النصف الأول من القرن الثانى كما يرى أغلب المتخصصين ، فيصبح لدينا هنا دليل على وجود شكل من أشكال النظام الملكى البدائى .

وحوالى التاريخ نفسه ظهر اسم الحارث وهو أحد الحكام العرب فى الفترة المبكرة فى أحداث تاريخ المكابيين Meccabees . فعندما فر ياسون Jason الكاهن الأكبر السابق من شعبه عام ١٦٨ ق.م.ظهر أمام طاغية يدعى الحارث (o των Αράβων τυ- pavvoς) ومن المحتمل أن يكون هذا الحارث المذكور هنا هو الملك نفسه الذى جرى إحياء ذكراه فى نقش إلوسا ، ربما كان ملكًا حكم فى فترة مبكرة ، وعلى ذلك يمكننا أن نشير إلى الحاكم المذكور فى كتاب المكابيين على أنه الحارث الأول ، ولا شك أن القيام باستخراج اسم حاكم للأنباط لم يكن قد حمل بعد لقب ملك من أحد المصادر الخاصة بالمكابيين فى العصر الذى ظهر فيه ياسون أمام الحارث يعد دربًا من دروب المخاطرة ، ولكن ليس هناك ثمة تناقض بين لقب (الطاغية)الذى ورد ذكره فى كتب المكابيين وبين لقب (ملك) الذى ورد ذكره على النقش نفسه .

فى عام١٦٣ ق.م. سار الأخوان جوداس Judas وجوناثان Johnathan فى الأحراش لمدة ثلاثة أيام لمقابلة الأنباط ، وذُكر أن الأنباط عاملوا الأخوين اللذين أخبروهم عن ثروات اليهود المقيمين فى أرض جالاد Galaad معاملة طيبة [٢٤]. إن المكان الذى تم فيه اللقاء بين الأخوين والأنباط كان حوران بالتأكيد ، حيث كان الأنباط قد استقروا فيها بالفعل منذ قرن من الزمان على أقل تقدير. تلك هى النتيجة التى يمكن الخروج بها من سياق الحديث عن السير ثلاثة أيام والمعلومات الخاصة بيهود جالاد فى الجزء الشمالى من شرق الأردن .[٢٥]

ولمدة طويلة كان ينظر إلى اللقاء بين المكابيين وبين الأنباط فى حوران كما ورد فى الكتاب الأول للمكابيين أنه قد كُذب بواسطة تقرير مناظر فى الكتاب الثانى [٢٦]،

وتذكر الرواية الثانية تعرّض الأخوين لهجوم مفاجئ قام به العرب الذين وصفوا ببساطة بأنهم رعاة يعيشون فى الخيام ، وعلى الرغم من التناقض الواضح بين هاتين الروايتين فقد مال المتخصصون إلى المطابقة بين قطّاع الطرق من العرب المذكورين فى الكتاب الثانى للمكابيين وبين الأنباط المذكورين فى الكتاب الأول[٢٧]، فبينما جاء فى الكتاب الأول اقتراب الأنباط من المكابيين فى سلام ، ذُكر فى الكتاب الثانى أن العرب كانوا أشراراً ، لذلك لا يمكن وصفهم بأنهم الأنباط وعلى الرغم من ذلك فإنه من الصعوبة بمكان معرفة المدة التى استغرقتها عملية استيطان الأنباط فى الفترة التى أعقبت عام ١٦٢ ، يمكن القول إن المغيرين كانوا يختلفون عن الأنباط المسالمين الذين استقروا فى حوران قبل مائة سنة تقريبًا قبل ظهورهم هناك لأول مرة . إن منطقة حوران كانت ولا تزال حتى اليوم المأوى المفضل لدى قطاع الطرق[٢٨]. لقد كان على الأنباط أنفسهم أن يتأقلموا مع قطاع الطرق الذين يسكنون مرتفع الليجا والأراضى الجبلية لجبل الدروز ، ويُعزز الرأى القائل بالفصل بين قُطاع الطرق من العرب الذين ذكروا فى الكتاب الثانى للمكابيين وبين الأنباط المسالمين المذكورين فى الكتاب الأول استمرار العلاقات الحسنة التى رأيناها قائمة بين جوناثان والأنباط بعد ثلاث سنوات على وجه التحديد. ثم وقع اعتداء مرة أخرى من قبل قُطاع طُرق من العرب على قافلة مكابية فى منطقة مأدبة Madaba وكان من الواضح أن قطاع الطرق لم يكونوا من الأنباط، بل تم تصنيفهم على أنهم من قبيلة العمرى Amrai [٢٩] . إن استخدام الدليل المذكور فى كتب المكابيين وتطبيقه تلقائيًا على الأنباط على اعتبار أن كل إشارة إلى العرب فى المناطق المعروف أن الأنباط قد استقروا فيها يُعد خطأً واضحًا . وعلى العكس من ذلك ظلت عدة قبائل عربية محتفظة ببداوتها ، وكانت تتحرك داخل وخارج مملكة الأنباط . إضافة إلى ذلك كان هناك عدد من الجماعات العربية التى اعتمدت فى معيشتها على السطو والنهب ، وكان على الأنباط التعايش مع هذه الجماعات ، وهو الوضع نفسه الذى كان يجب أن تقوم به الجيوش الغازية ، ومنهم الرومان بطبيعة الحال [٣٠] .

إن الحالة الواضحة والموثقة التى تدل على قيام الأنباط أنفسهم بعملية القرصنة وقعت فى أعالى البحار ، فقد ذكر ديودورس فى تقريره الذى يبدو أنه اعتمد فيه على أجثار خيديس Agatharchides of Cnidus عن مرحلة غير مؤرخة وكذلك لا يمكن تأريخها فى نمو الأنباط الاقتصادى ، حيث كان الأنباط فيه يقومون بعمليات قرصنة فى البحر الأحمر ، وذكر ديودورس فى تقريره أنه بعد فترة من تحقيق النجاح فى مشروعهم "تم القبض على الأنباط فى أعالى البحار بواسطة سفن لها أربعة صفوف من المجدفين ونالوا ما يستحقونه من العقاب"[٣١]. ويبدو أن استرابون أشار إلى هذه اللحظة فى تاريخ الأنباط عندما كتب قائلاً، "كان هؤلاء الأنباط يعيشون عيشة مسالمة ولكنهم أخذوا بعد ذلك يستخدمون طوافاتهم للقيام بسلب سفن الأفراد التى كانت تخرج مُبحرة من مصر، وقد نالوا عقابهم عندما قام أسطول بتدمير بلادهم "[٣٢] .

يبدو أن السبب الذى أدى إلى ضرورة قيام الأنباط بعملية القرصنة يرجع إلى ميلاد القوة البحرية التى كان المصريون يقومون بإنشائها نتيجة لاكتشاف الرياح الموسمية [٣٣]، عندما أصبح فى إمكان السفن المُحملة بالطيوب والتوابل أن تواصل سيرها مباشرة إلى الموانئ المصرية فى المواسم المناسبة ، ومنها تُنقل البضائع بعد ذلك إلى البحر المتوسط، وفطن الأنباط إلى أن خط النقل البحرى الجديد كان يعنى الاضمحلال التدريجى لخط التجارة البرى الذى كان سبب ازدهارهم واستقرارهم. وبالفعل تحققت مخاوفهم ، إذ لم يحل منتصف القرن الأول إلا وقد جف إلى حد كبير الطريق البرى الذى كان يمر عبر البتراء(*) [٣٤]، وينبغى أن ينظر إلى قيام الأنباط بعمليات القرصنة فى إطار نمو تجارة التوابل والطيوب بين مراكز الشرق وبين الموانئ

(*) منذ أن استقل بطلميوس بمصر عام ٣٠٦ق. م. عن مملكة مقدونيا أخذ يعمل على الاستفادة من السواحل المصرية على البحر الأحمر ، ثم تابع خلفاؤه سياسته من بعده ، وتمكنوا من الخروج من البحر الأحمر والوصول مباشرة إلى الهند فى أواخر القرن الثانى ق.م.ونتيجة لهذه السياسة التى أضرت بتجارة الأنباط كان لابد أن يقع الصدام بينهما . راجع : الروبى (آمال)، " الجزيرة العربية "، البحث السابق، ص٧٧ وما يليها .

المصرية على الساحل الغربي من البحر الأحمر . ويتضح من خلال التقارير التى قدمها كل من ديودورس واسترابون نجاح الأسطول البطلمي في كبح محاولات الأنباط في التدخل لإيقاف الطريق المصرى فى التجارة العربية . كما أننا نلمح قدراً من الدسائس والمؤامرات بين القوتين الكبيرتين المتنافستين فى القرن الثانى ق.م. سبق الاشتباك المسلح الذى وقع بين الأنباط والبطالمة، ويمكن توثيق مدى أهمية وقوف مملكة الأنباط إلى جانب البطالمة فى الجزء الأخير من القرن الثانى ق.م. من خلال عدة مصادر . فهناك عبارة كثيراً ما أهملت وردت في أحد نقوش بيرين Priene في آسيا الصغرى وفيها تم الثناء على سفيرها موسخيون Moschion لجهوده الدبلوماسية التى بذلها فى أنحاء متفرقة من عالم البحر المتوسط ، من بينها سفارات إلى الإسكندرية والبتراء فى العربية (٣٥) .

لم يذكر لنا السبب فى هذه السفارات ، كذلك ليس هناك ما يوضح ما تم إنجازه نيابة عن بيرين ، والذى وجد فيه من الضرورى القيام بزيارة لكل من البتراء والإسكندرية فى ذلك الوقت الحرج. والمعروف أنه في عام ١٢٩ق.م. لم يكن مضت مدة طويلة على وفاة آخر ملوك بيت أتالوس Attalos(*)، الذى سميت مملكته باسم ولاية آسيا بعد أن تم إلحاقها بالإمبراطورية الرومانية حديثًا، والتى كانت بيرين تمثل جزءًا منها .

وطبقًا لتقرير المؤرخ يوسيفوس الذى ذكره فى كتاب الآثار اليهودية Jewish Antiquities، كان سكان غزة يتوقعون من شخص يدعى الحارث ملك العرب إنقاذهم عند محاصرة الإسكندر جَنايوس Alexander Jannaeus، لهم حوالى عام (١٠٠) ق.م.(٣٦)، وعلى الرغم من خيبة الأمل التى أصيب بها سكان غزة ، فإنهم فيما يبدو

(*) تنازل الملك أتالوس الثالث ملك مملكة برجامون عن مملكته للرومان عام ١٤٦ ق.م لعدم وجود وريث له يخلفه فى الحكم . (المترجمة)

كان لديهم سبب وجيه لتوقع تدخل الحارث فى الموضوع ، ليس فقط بسبب استقرار الأنباط فى النقب ، ولكن لأن غزة كانت على وجه التحديد أحد الموانئ الرئيسية التى كانت تتحرك إليها قوافل بضائع الأنباط إلى سفن البحر المتوسط . لذلك قام الحارث الثانى فى أواخر القرن الثانى بنشاط توسعى ضخم(٣٧)، ويبدو أنه كان أول ملك من ملوك الأنباط يقوم بضرب عُملة ، وجاءت هذه العملة قريبة الشبه بالعملة التى ضربها كل من إسكندرجنايوس والهاشمونيين .

أصبحت لدى الدول الصغيرة المتعددة فى منطقة الشرق الأدنى الجرأة الكافية الآن لضرب عُملة خاصة بها بعد التدهور الذى أصاب السلوقيين والبطالمة(٣٨). إن قطع العملة التى وصفها روبنسون E.S. G.Robinson فى عام ١٩٣٦ للحارث الثانى ، والتى تم قبولها بعد مناقشة هامة ، لاتحمل نقوشًا عليها ولا أى علامة تشير إلى ارتباط الأنباط بها (٣٩)، وتم العثور على أعداد وفيرة منها فى كل من غزة والبتراء ، وصُور على وجه العملة (obverse) رأس ترتدى خوذة ، وعلى الظهر (reverse) صورة ربة النصر تحمل شيئًا فى اليد اليسرى وإكليلاً (من الزهور) فى اليد اليمنى . وأمكن تمييز حرف غامض وجد على بعض قطع العملة وهو ربما يكون حرف اللام أو حرف الألف (Λ) أو (A) ، ومن الممكن أن هذا الحرف يمثل اسم الحارث ، وظهرت طرز هذه العملات المبكرة فى شكل عملات الأنباط الأخرى ، وعُثر على كنز حديث يتكون من ٨٠٠ قطعة برونزية للملوك الأنباط من بينها عدد كبير من هذا الطراز المبكر ، وبمعنى آخر غير المحدد إصداره ، ويقدم الكنز الجديد نموذجين على كل منهما الحرف العبرى (π) فى مكان الحرف (A)، (A) فى الشكل السابق والذى يمكن أن يشير إلى اسم الحارث فى الكتابة الآرامية π π π (Haritat)(٤٠).

تقدم قصة غزة أول الأدلة على النزاع الذى نشب بين البيت اليهودى من الهاشمونيين وملوك الأنباط ، وكان الحارث كما سبق ورأينا شخصية هامة فى المنطقة ، ويمكن أن نشبهه جدلاً بشخصية الملك العربى الغامض هيروتيموس -Heroti mus الذى ذكره جستين Justin فى كتابه المختصر Epitome عند حديثه عن بومبيوس

تروجوس Pompeius Trogus [41] (*) ، ذلك الملك الذى قيل إنه كان يتزعم عنصرا من العرب كان دورهم سلميًا حتى ذلك الوقت.(وهنا نتذكر الأنباط الذين ذكروا فى كتب المكابيين) ، ولكنهم بعد ذلك أصبحوا يهددون بجيوشهم كلاً من مصر وسوريا . لقد جرت العادة التى تتفق تمامًا مع المنطق على المطابقة بين الملك هيروتيموس وبين الحارث الثانى . وهناك احتمال أن يكون هيروتيموس يمثل الشكل الإغريقى فى كتابة الاسم المقابل لاسم الملك الآرامى حاريتات(Haritat)، [42] ، وجاء تمييزه بلقب الفاتح مطابقًا لما عرف عنه.

بعد سقوط غزة مباشرة فى يد الإسكندر جنايوس يبدو أن ملكًا نبطيًا جديداً خلف الحارث وهو الملك عبادة الأول[43] ، والذى واصل الحرب بين الأنباط والهاشمونيين . وفى عام ٩٣ق.م. أو حولها اشتبك الإسكندر فى حرب مع عُبادة فى معركة فى مكان ما فى الجزء الشمالى لملكة الأنباط عند مدينة جَرادة Garada بالقرب من الجولان [44]. وتمكن عُبادة من الانتصار فى هذه الجولة ، وكاد القائد اليهودى أن يفقد فيها حياته ، وكشف يوسيفوس بعد فترة غير طويلة عن اضطرار الإسكندر إلى التخلى عن انتصاراته التى حققها فى شرق الأردن بسبب الضغوط التى وقعت عليه من أماكن أخرى ، وذكر أنه قام بتسليم ملك العرب بعض المناطق كان قد سبق له فتحها فى مؤاب وجلاد Galaaditis والحصون هناك ، " حتى يحول دون أن يقوم بمساعدة اليهود لشن حرب ضده "[45].

يُعد ذلك أول دليل ضمن قرائن أخرى عديدة فى آخر قرن من حياة الجمهورية الرومانية، الذى يدل على أن ملك الأنباط كان يرى فرصًا سياسية فى الخلافات

(*) عاش بومبيوس تروجوس فى القرن الأول قبل وبعد الميلاد خدم والده مع يوليوس قيصر ، كتب فى النباتات والحيوانات استفاد بلينى الكبير منها ، أما مؤلفه فى التاريخ Historiae phlippicae فيقع فى ٤٤ جزءاً ، يبدأ بتاريخ الشرق و بلاد اليونان (الكتب ١-٦)، مقدونيا (الكتب ٧-١٢)، الملوك الهللينستيين (١٣-٤٢)، وتغطى الكتب ٤٣-٤٤ فترة حكم الإمبراطور أغسطس حتى انتصاراته فى إسبانيا . وقام جستين بعمل مختصر غير متتابع له فى القرن الثالث م ، يمكن من خلاله تتبع الخطوط الرئيسية فى المؤلف الأصلى OCD . (المترجمة)

الداخلية بين اليهود في أورشليم وكان يمكنه بمساندة حزب أو آخر من الأحزاب المنافسة المحافظة على رسوخ الاستقرار في يهوذا(فلسطين) Judaea مما يؤدى إلى تقوية أركان مُلكه . ويبدو أن حصول عُبادة على أقاليم شرق الأردن من الإسكندر قد ساعده في زيادة مصادر ثروته في بلاده . كما ترتب على نمو مملكة الأنباط أن أصبحت سببًا في إضعاف الحكم السلوقي في سوريا شمالاً.

قام الملك الجديد أنطيوخوس Antiochus الثاني عشر بإرسال حملتين منفصلتين ضد العرب عام ٨٨ – ٨٧ (٤٦) ، وهُزم في المعركة الثانية هزيمة فادحة على يد عُبادة نتج عنها مصرعه . ولا نستطيع أن نحدد بدقة تاريخ الانتصار النبطي العربي الكبير الذي حدد يوسيفوس مكانه في محيط قرية قانا Cana، ومع ذلك فهناك سبب وجيه(٤٧) يدعونا إلى تحديده بعام ٨٧ فقد توفى عُبادة بعد المعركة مباشرة ، وأغلب الظن بسببها ، وخلفه في الحكم ملك يعرف اليوم باسم عُبادة الثالث ، الذي لم يُضِع وقتًا في متابعة سياسة الأنباط التوسعية . واستجابة لنداء مواطني دمشق الذين وجدوا أنفسهم مهددين من قبل قبائل الإيتوريين Ituraeans الشرسة التي تعيش على السلب في المنطقة المقابلة للبنان ، تحركت قوات عُبادة إلى داخل العاصمة السورية (٤٨)، وظلت دمشق تُحكم لمدة خمسة عشر عامًا من قِبل ممثل عن حكومة الأنباط ، وَضرب عبادة في دمشق سلسلة نادرة من العملة النبطية تخليداً للحكم الجديد (٤٩).

شعر الحارث في عام ٨٢ أنه من القوة بمكان بحيث يمكنه القيام بشن هجوم ضد الإسكندر جنايوس ، لذلك قام بغزو فلسطين ، واستطاع هزيمة الإسكندر وفرض شروطًا على ملك اليهود (٥٠)، ولكن الإسكندر عاد بدوره إلى شرق الأردن واستطاع أن ينتزع من الحارث دستة من القرى على الأقل ، إضافة إلى الموانئ التي كان قد نجح في فتحها على البحر المتوسط في المرحلة المبكرة من انتصاراته (٥١). قام الحارث الذي كان قد تعلم من والده عُبادة أهمية التدخل في الصراع الداخلي القائم بين اليهود ، وتمكن عقب موت الإسكندر من صرف نظر إلكسندرا أرملة القائد الهاشموني عن شن مزيد من الاعتداءات عليه ، عندما قام بمنح اليهود المعارضين للفَارسيين Pharises في

بلاطها حق اللجوء السياسي إليه ليستغلوا تحالفهم مع الأنباط في إرغام ألكسندرا على التعاون معهم ضد أعدائهم (٥٢).

جعل الحارث من نفسه خليفة للملوك السلوقيين في دمشق وتدل العُملة التي ضربت هناك على أنها ضربت لكي يتم تداولها في تلك المدينة ، وكانت ذات طراز سلوقي ، وعليها أشكال إغريقية أكثر منها نبطية آرامية ، وعلى أي حال فقد كانت أول العملات التي قام بضربها الأنباط وتحمل اسم ملكهم وصورته، وحمل الحارث إضافة إلى ذلك لقب "صديق الإغريق" "philhellene"، معلنًا عن رغباته في الظهور بمظهر المعضد للثقافة الإغريقية (٥٣). استمر صكّ هذه العملة حتى عام ٧٢ وبعدها قام تيجرانيس Tigranes ملك أرمينيا بالاستيلاء على المدينة ، والمطالبة بعرش السلوقيين من جديد .

وضع تيجرانيس صورته على العملة في دمشق بدلاً من الحارث ، وارتدى عباءة السلوقيين ، وظلت العملة تُضرب هناك باسمه حتى عام ٦٩، ولكنه غادر سوريا لعلمه بغزو لوكوللوس Lucullus لأراضي مملكته(٥٤)(*). ولم يظهر الأنباط في أثناء ذلك أية رغبة في استعادة دمشق ، ووقعت المدينة مرة أخرى ضحية عمليات نهب الإيتوريين الذين قادهم هذه المرة شخص يدعى بطلميوس بن مينايوس Ptolemaeus son of Mennaeus ، وحاولت ألكسندرا ، أرملة الإسكندر جنايوس، تحويل تلك الأزمة لصالحها بالطريقة نفسها التي سبق وفعلها الحارث في حالة مماثلة عام ٨٧ق.م.(٥٥)، ولكن الحملة التي أرسلتها لحماية دمشق فشلت في تأدية مهمتها ، وظلت المدينة في حالة فراغ كبير في الفترة الواقعة بين رحيل تيجرانيس ووصول جيوش القائد الروماني

(*) أحد ضباط سلا، وقنصل ، عام ٧٤ق.م. تولى قيادة الجيوش الرومانية في آسيا الصغرى ضد مثراداتيس وصهره تجرانيس، وتمكن من إخضاع بونطوس وأرمينيا الصغرى، وقام بتنظيم شئون آسيا الصغرى . راجع : علي (عبداللطيف أحمد) ، التاريخ الروماني ، بيروت ١٩٧٣، ص١١٢– ١١٥.

بومبى الكبير Pompey (*) ، وأصدر الدمشقيون عُملة عام ٦٩ق.م. باسمهم معلنين الاستقلال ولكنها كانت مرحلة هشة وقصيرة (٥٦).

ماتت ألكسندرا أرملة جنايوس عام ٦٧ . وكانت العواقب حاسمة فى منطقة الشرق الأدنى ، فلقد دوى صوت المنافسة بين ابنها الكبير هيركانوس الثانى Hyrcanus وبين أخيه الأصغر أرستوبولوس Aristobulus واشتبكا معًا فى معركة عند أريحا Jericho . وأُرغم هيركانوس على التنازل عن العرش وعن منصب الكاهن الأكبر لصالح أخيه الأصغر ، ولجأ إلى الحارث الثالث فى البتراء بإلحاح من شخص أدومى يدعى أنتيباتير Antipater (٥٧) ، ومرة أخرى لابد أن الملك النبطى وجد فرصًا سانحة لشعبه فى خلافات اليهود . تزوج أنتيباتير الأدومى من سيدة من الأنباط لها مكانة كبيرة ، وأصبح مقربًا من بلاط الحكم النبطى (٥٨)، وقام كل من أنتيباتير وهيركانوس بالإيعاز إلى الحارث بمدى أهمية غزو واستعادة مجموعة مدن شرق الأردن التى كان جنايوس سبق واستولى عليها من الحارث قبل خمس عشرة سنة (٥٩)، وأدى قرار الحارث بالتدخل إلى إيجاد صورة من التدخل السياسى الخارجى التى سبق وقام جده الحارث الثانى بصياغتها من قبل ، ولكنه ترتب عليها الآن أن وضع شعب الأنباط فى مواجهة مباشرة مع فرق روما العسكرية .

(*) جنايوس بومبيوس Gnaeus Pompeius (١٠٦ – ٤٨ ق.م.) : القائد والسياسى الرومانى الشهير وزعيم الحزب الأرستقراطى فى روما ، لعب دورًا خطيرًا فى الإمبراطورية الرومانية فى مرحلة من أهم مراحل تحولها من النظام الجمهورى إلى النظام الإمبراطورى ، ودخل فى صراع مع يوليوس قيصر القائد والسياسى الكبير ، الذى استخدم الحزب الديمقراطى الذى تزعمه لخدمة طموحاته السياسية على الرغم من أصوله الأرستقراطية العريقة ، وانتهت حياته بمصرعه على شاطئ مدينة على الإسكندرية بعد هزيمته فى معركة فرسالوس فى اليونان أمام قوات قيصر.راجع الروبى (آمال) ، مصر فى عصر الرومان ، دراسة اقتصادية –اجتماعية فى ضوء الوثائق التاريخية ، ٣٠ق. م. –٢٨٤م ، ص ٢٦ – ٢٧ .

هوامش الفصل الثانى

(١) تحدث ديودور Diodorus بتفصيل عن الأنباط فى الأجزاء التالية : الكتاب الثانى (٤٨-٤٩)، والكتاب التاسع عشر (٩٤-١٠٠).وقد صنفهم بأنهم" عرب رحل يسكنون الخيام ويقومون بالرعــى فى أماكن بعيـدة ، ويحتفـظون بالمـياه فى خـزانـات تحـت الأرض

Όμενοι χώραν την μεν Αραβες ους ονομάζουσι Ναβαταίους νεμ- ομ ενοι χwpav τγν μεν `ερημον την δε άνυδρον (2.48).

(٢) Strabo 16.4.21-26,C 779-84.

(٣) Diod.19.100.1:"'Ιερώνυμον τόν τάς ίστορίας συγγρά-.ψαντα (تاريخ هيرونيموس وهو شاهد عيان).وعن دراسة جديدة لهذا الكاتب عن الأنباط راجع عن الأنباط Jane Hornblower,Hieronymus of Cardia (1982),esp.pp.44-50 ،

(٤) عن أجاثارخيدس Agatharchides راجع Strabo 16.4.20.C 779. ، وعن استرابون وهو شاهد عيان معاصر راجع: 16.4.21,C779 (حيث قابلت هناك الفيلسوف أثينودوروس الذى كان يعيش فى البتراء γενομενος γουν παρά τοις Πετραίοις Αθηνοδωρος ἀνὴρ φιλοσοφος καὶ 'ημιν έταιρος).

(٥) " أراضى العرب الذين يطلق عليهم اسم الأنباط

επί τὴν χώραν των Αραβων τών καλουμένωνΝαβαταίων".Diod.19.941

(٦) Diod.19.95.I.

(٧) Diod.19.96.1 ": كتبوا خطابًا بالخط السورى ἐπιστολὴν γράψαντες Συρίοις γράμμασι.

(٨) Diod.19.98.1.

(٩) إن أفضل معالجة شاملة للغة والخط النبطى تظل هى ما قام بها كانتنو : J. Cantineau ,Le nabatéen, I(1930),II(1932) ، علـى الرغـم مـن أن المجلـد الثـانى القـادم مـن مجموعة CIS II الذى قام به كل من ستاركى J.Starky وميليك J.T. Milik سوف يكون له أهميته عند ظهوره.وعن التعارض بين كلمتى نبط nbt والنبيط nbyt المذكورة فى العهد القديم راجع : Starky,SDB,900-3&F.V.Winnett&W.L.Reed,Ancient Record from No- rth Arabia (1970),p.99.

(١٠) Diod.19.94.4.

(١١) (من تلك التى تسمى العربية السعيدة ἐκ της Εὐαιμονος καλουμένης'Αραβίας).راجع : Diod.19.94.5;Cf.N. Groom, Frankcsense and Myrrh(1981).

(١٢) راجع : A. Negev,"The Date of The Petra –Gaza Road ",PEQ 98 (1966),89-98. لاحظ ما ذكره استرابون فى: 16.4.24,C.781 (من البتراء بعد ذلك إلى رينوكلورا - 'εἰς Πετραν εντευθεν δ εἰς Ρινοκόλουρα ؛ وذكر بلينى NH: 6.144 " أن الأنباط الذين كانوا يقيمون فى البتراء ......كانوا يحملون المتاجر عبر ممر يخرج إلى سوريا عبر تدمر ومنها إلى غزة - ...Nabataei oppidum incolunt Petram ...Huc convenit utrumque bivium, eorum qui ex Syria Palmyram petiere et eorum qui a Gaza venerunt.

(١٣) لاحظ خزانات مياه الأنباط فى أم الجمال التى تقع فى الشمال (G.Lankester Harding,The Antiquities of Jordan[1967] .p.149) والحُمَيمَة فى الجنوب (D.Graf.Damaszener Mitteilungen, تأتى تباعًا).

(١٤) (لقد ذهب إلى المناطق التى يوجد فيها الأسفلت بكميات كبيرة- λίμην τε μεγάλη φέρουσα πολλὴν ἄσφαλτον,ἐξ ἧς λα- μβάνουσιν 'οὐκ ὀλίγας προσόδους: راجع : Diod.2.48.n.2.48.6; P.Hammond,"The Nabataean Bitumen Industry at the Dead Sea,:BiblArch 22(1959),40-48.

(١٥) Strabo 16.4.26,C 783.

(١٦) A.Negev,in PEQ 114(1982),119-20 الذى أثبت حديثًا أن الأنباط كانوا لا يزالون يعيشون فى الخيام حتى بعد عام ٧٠م.وهو الرأى الذى لايمكن الدفاع عنه أمام شهادة استرابون.

(١٧) Strabo 16.4.21,C779.

(١٨) Strabo 16. 4.26,C784.

(١٩) G. Vitelle,Papiri greci e latini IV (1917),no.406,col. I,1.17، حيث ذكر فى حوران εἰς Αὔρανα، وفى المرجع نفسه II.21-22, ذكر الأنباط τούς Ναβαταίους (بينما ذكرت البردية ἀναβαταιους،وهو خطأ يلفت النظر ويستحضر الخطأ الذى ورد فى كتاب الطواف فى البحر الأحمر 19 Periplus of the Red Sea، حيث استبدلت كلمة ἀνβαταιως بدلاً من كلمة Ναβαταίων فى الجملة التى تقول(فى البتراء حيث يوجد ماليخوس ملك الأنباط εἰς Πέτραν πρὸς Μαλίχαν βασιλέα Ναβαταίων).

(٢٠) C.C.Edger,Zenon Papyri 1(1925).no 59004,11.27-29 dated t0 259 b.c. :τοις παρα Ραββήλου.A.Negev ,"The Nabataeaeans and Provincia Arabia," ANRW,11.8(1977) 530.وترجم النص خطأ لأنه لم يكن يعلم بالمصادر المذكورة فى الحاشية رقم ١٩ أعلاه.

(٢١) Cf. F.E.Peters,"The Nabataeans in the Hauran," JAOS,97(1977),263-77 وتم وصف الوضع وصفًا صحيحًا . وعن رفض وجود الأنباط المبكر فى الحوران راجع Negev (above ,n.20).

(٢٢) يمكن الاطلاع على النص وشكل الحروف فى : J.Cantineau,le nabateen II (1932),p.44&in Negev(above n.20),545-46 ،وهناك نسخة من صورة فوتوجرافية للكلمات التالية من النقش النبطى : znh' tr/zy 'bd/ ntyrw/ 'l ḥywhy/zy h[r]tt/mlk/nbṭw. وعن تاريخها راجع F.M.Cross, JBL 74 (1955),160,n.25.

(٢٣) " لجأ إلى اريتاس الطاغية العربى εγκληθεις προς Αρέταν τὸν τών ' Αράβων (τύραννον : Macc.5.8 وبخصوص استبدال بالكلمة ἐγκληθείς التى تقرأ فى المخطوطة 'εγκλεισθείς راجع Chr.Habicht,2Makkabäerbuch:Jüdische Schriften aus hellenistisch-römischer Zeit I(1976),p. 255,2.8. وأعاد نجف نشر النص دون إشارة إلى المشكلة ،راجع Negev(above,n.20),522.

(٢٤) 1 Macc.5.25-26.

(٢٥) اعترض نجف Negev(above,n.20),522 على ستاركى J.Starcy, SDB 905, لإضافته كلمات"بدون سبب واضح "إلى أن المقابلة تمت فى حوران .لقد كان السبب واضحًا ولكن ستاركى أهمل ذكره .وعن أهل الجليد Galaaditis راجع M.Avi-Yonah, The Holly Land (1966),p.40.

(٢٦) 2 Macc.12.25-12.

(٢٧) Starcky,SDB 905;Habicht(above, n.23),p.262,n.10; Negev (above,n.20), 532.

(٢٨) راجع:Waddington ,IGLS,no.2329[OGIS424] ،مع تعليقه الذى استند فيه على يوسيفوس AJ Josephus,AJ 14.15.5,15.10.1&16.9.1.

(٢٩) Macc.9.35-42 ، تمت مطابقة "العرب" بأنهم بنو عامرى Amrai υίοι أو Ἰαμβρι

(Starcky,SDB 905 i.e.benAmraï)، راجـع الآن الدراسـة الـشاملة التاليـة
J.T.Milik,"La tribu des Bani Amrat en Jordanie de L' époque grecque et :
romaine ",ADAJ 24 (1980),41-48.

(٣٠) راجع:" B.Isaac ,"Bandits in Judaea and Arabia, HSCP، تصدر تباعًا .

(٣١) Diod.3.43.5.

(٣٢) Strabo 16.4.8,C777 .

(٣٣) ظهر الدليل الأساسى على معرفة القدماء للرياح الموسمية فى كتاب الطواف فى البحر الأحمر Periplus of the Red Sea ,57 ، ومـا ذكـره بلـينى فى كتـاب التـاريخ الطبيعى NH,6.100;104 .فقد أشار المؤلفان إلى رياح تسمى هيبالوس " Hippalus " وأثبت صاحب الطواف أنها اسم الملاح κυβερνήτης الذى قام باكتشاف الرياح الموسمية . ومن المحتمل أنه تمت الاستفادة منها فى أواخر العصر الهيللنستى: A.Dihle,"Das Datum des Periplus des Roten Meeres,"Umstrittene Daten (1965), p. 25. وذكر بلينى قصة نادرة فى NH.6.84 عن عبد محرر يدعى أنيوس بلوكاموس Annius Plocamus ،خرجت سفينته عن مسارها وهو فى طريقه إلى سيلان فى عصر (الإمبراطور) كلوديوس Cladius وهى ليست لها علاقة باكتشاف الرياح الموسمية كما أكد دهل وكان محقًا فى رأيه (Dihle,p.27,n.47).ويعتقد جيهان ديسانجيس Jehan Desangesأن يودوكسوس الكيزيEudoxus Cyzicus تم اختياره من قبل(الملك) بطلميوس الثامن للقيام برحلة كشفية تُعد بمثابة علامة على بداية استفادة الإغريق من الرياح الموسمية فى الرحلات البحرية: : Reserches sur l'activité des méditerranéens aux confins del'Afrique (1978),p.158.

(٣٤) A. Negev(above, n. 20) .وتساءل كوهين حديثًا عن تاريخ نهاية استخدام طريق البتراء- غزة :R.Cohen, Eighth Archaeological Conference in Israel (1981)"A New light on Petra-Gaza Road", BiblArch 45.3(1982),240-47

(٣٥) Inschriften v. Priene,no,108.1.168 .(إلى البتراء التى تقع فى العربية τής ('Αραβίας ἐις Πέτραν.

(٣٦) Josephus,AJ 13.360 :(ارتياس ملك كل العرب- 'Αρέτας ό Αράβων βασιλεὺς ἐπίδοξος ών).

(٣٧) يُدعى الحارث المذكور فى الكتاب الثانى للمكابيين 2Macc.5.8 باسم الحارث الأول .

(٣٨) Y.Meshorer,Nabataen Coins,Qedem 3Monographs of the Institute of Archaeology Jerusalem(1975) p. 9; بدأت مدينة صور Tyre ، فى صك العملة عام ١٢٥-١٢٦ ق.م.، وعسقلان Ashkelon فى عام ١٠٤ ق.م.

(٣٩) E.S.G.Robinson,"Coins From Petra,"Num.Chron. 16(1936),288-91.

(٤٠) Meshorer(above,n.38),pp.10-11.

(٤١) وطبقًا لهذا المصدر كان لدى هيروتيموس Herotimus (٧٠٠) ابن يمكنه الاعتماد عليهم "quos ex paelicibus susceperat". راجع Justin 39.5.

(٤٢) راجع أيضا: J. Starcky,SDB 905.

(٤٣) توجد مائدة بالقرب من مدخل السيق Sīq فى البتراء لها ثلاثة أرجل triclinium محفورة فى الصخر ،عليها نقش يرجع إلى فترة مبكرة من تاريخ الأنباط فصل يَهدى المكان إلى دوشرى Dushara وعبادة Obodas. وقام دالمان بنشر النقش لأول مرة G.Dalman, Neue Petra-Forschung(1912) no.90. وهو يحمل رقم ١٤٣٢ فى RES ورقم ٢ لدى كانتينو Cantineau(above,n.22),p.2. ويذكر: "إلى دوشرى إله مانباتو Manbatu من أجل حياة عبادة ملك الأنباط ،ابن حاريتات Haritat ، ملك الأنباط ،العام فى الأول." ldwšr' 'lh mnbtw 'l hyy 'bdt mlk nbṭw br hrtt mlk nbṭw šnt 1. راجع II.3-4. قام كل من ستاركى ونجف بمضاهاة الملك حاريتات (الحارث) المذكور هنا بالملك الحارث الثانى وكانا محقين فى ذلك ، وأن عوبادات (عبادة)المذكور فى النقش ،هو عبادة الأول . ويرى نجف أن اتخاذ هذا النقش على أنه يعد أقدم دليل على وجود الأنباط فى البتراء بمثابة أمر لايمكن الدفاع عنه تمامًا .

(٤٤) Josephus,AJ 13.375 (عند جارادة Garada بالقرب من قرية جلاديتيدوس (κατὰ Γαραδα κώμην τῆς Γαλααδίτιδος ويرى نييس Niese أنه من المناسب حذف الاسمين فى هذه الجملة ، دون أن يقدم مبررًا جيدًا لذلك ، لأن جرادة غير معروفة ، أما جلاديتيوس فهى على العكس من ذلك (تقع فى شمال شرق الأردن).

(٤٥) Josephus, AJ, 13.382.

(٤٦) Josephus,AJ,13.387-91;BJ,1 .99-102 (ومن سوء الحظ أن أرقام الفصول قد تعارضت فى الإشارات التى قدمها فى ستاركى (Srarcky ,SDB 906. كما أن ستيفانوس البيزنطى ،راجع على سبيل المثال Motho (المذكور لدى يورانوس Uranius ,FGH II.C.675.F 25) ليس له علاقة بهذه الأحداث .راجع: Milik in Starcky,SDB 904,&G.W Bowersock,JRS 61(1971),226.

(٤٧) راجع : M.Sartre, "Rome et les Nabatéens à la fin de la République,"REA 81 (1979),with note 30. ويذكرأن ستاركى ;Starky ,SDB 906 كان محقا فى مناقشة أن الملك العربى فى رواية يوسيفوس عن معركة قانا Cana هو عبادة الأول ، ويعتقد ميليك المذكور لدى ستاركى ،أن عُبادة المؤلهObada المذكور لدى ستيفانوس البيزنطى، أو عوبدة Ὄβοδα،هو عبادة الأول :لقد اقتبس ستيفانوس من يورانوس Uranius (FGH II.C.675,f 24) كما ورد فى الكتاب الرابع الخاص بالعربية ' Αραβικά يذكر أن عوبدهObodaكانت مكانًا للأنباط ولكن النص يتحدث عن" شَعيرة الملك عبادة التى أقيمت لتكريمه - ὅπου θεοποιουσι' τέθαπται Ὀβόδηςὁ βσιλεύς, ov وعن النقوش التى تدل على عبادة زيوس عُبادة Obadas - Zeus فى عَبودة (عقدات Avdat)، راجع IEL,1717(1967),55، وراجع الكتاب الحالى ص.٦٢-٦٣،الحاشية رقم. وعن التاريخ لدى يورانوس راجع:J.M.I.West,HSCP 78 (1974),284-8 .

(٤٨) Josephus,AJ 13,392;BJ 1.103 .

(٤٩) Meshoer,(pp.12-16. (الحاشية رقم ٣٨ أعلاه).وتغطى النقود الفترة الممتدة من عام ٨٤-٧٢ ق.م.

(٥٠) Josephus ,AJ 13.392.دارت المعركة شرق ليداLydda .

(٥١) Josephus ,AJ 13.393-97;BJ 1.104-5.

(٥٢) Josephus,AJ 13.414;BJ 1.111.

(٥٣) راجع كتالوج(العُملة)لدى:Meshorer,pp86-87,nos .5-8 : الملك الحارث عاشق الهللينيةβασιλέως Ἀρέτου φιλέλληνο" "جميع قطع العملة من البرونز فيما عدا قطعة واحدة من الفضة وهى القطعة رقم (٥). راجع الحاشية رقم ٣٨ أعلاه .

(٥٤) Josephus ,AJ 13.418;BJ I.116.Meshorer (above, n.38) .pp 14 -15; Sartre (above, n.47), 41.

(٥٥) Josephus ,AJ 13.418;BJ 1.115 . كانت تهديدات بطلميوس بن مينايوس هى التى دفعت الدمشقيين إلى دعــوة الحــارث فى الثمــانينيات :راجع Josephus ,AJ 13.392 . ومن الصعوبة بمكان تحديد تاريخ الحملة التى أرسلتها ألكسندرا. ويفترض النص المذكور لدى يوسيفوس عام 69ق.م. للحملة بعد انسحاب تيجرانيس من دمشق ولكن قبل رحيله من سوريا بأكملها .ويفترض سارتر (حاشية رقم ٤٧أعلاه) أنه يمكن تأريخ هذه الحادثة بعام ٧٢ ق.م.ما بين رحيل الحارث ووصول تيجرانيس . ونتيجة لهذا الافتراض يفسر انسحاب الأنباط بسبب الأيتوريين أكثر منه بسبب التهديد الأرمينى .

(٥٦) Starcky ,SDB 909 ،الذى أكده سارتر . Sartre(above,n 47.)4,

(٥٧) Josephus,AJ 14.14-17;BJ 1.117-25 . لاحظ الإشارات إلى البتراء على أنها مملكة الحـــارث 'Αρέτα τω ... βαςιλεια τα فـــى (AJ 14.16)، وممـــلكة العـــرب 'Αραβίας τής βαςιλειον فى (BJ I.125).

(٥٨) Josephus ,BJ I.181:τούτω (I.e.Ἀντιπάτρω)γήμαντι γυναικα των ἐπισήμων ἐξ Ἀραβίας κύπρον τοὔνομα ...

(٥٩) Josephus ,AJ 14.18.

الفصل الثالث

بومبى وخلفاؤه

POMPEY AND HIS SUCCESSORS

وصل قادة فرق بومبى إلى سوريا لوضع حد للفوضى التى أعقبت زوال الحكم السيلوقى فيها مباشرة عقب نجاح أنتيباتير فى إنهاء عملية التحالف المشئوم بين الحارث ملك الأنباط وهيركانوس الهاشمونى فى المنفى . وكان من نتائج غياب سلطة مركزية قوية فى سوريا ظهور عدد من الأمراء ورؤساء العصابات وقيامهم بتقسيم الدولة فيما بينهم عندما كفَّتْ القوات الأرمينية يدها عن إرهابهم وغزو بلادهم [١]. ولقد سبق وقام الحارث فى إحدى المرات بالاستيلاء على دمشق، عندما طلب سكانها ذلك منه خلال فترة الدمار التى لحقت بها إثر هجوم القبائل عليها ، ولكن لم يكن لديه الرغبة فى العودة للمنطقة مرة أخرى عند انسحاب تيجرانيس بعد سنتين فقط من تواجده فى المدينة . ,وظلت قوات تيجرانيس مقيمة فى بعض أنحاء سوريا حتى أواخر عام ٦٥ق.م.، وهى السنة التى اتفق الحارث فيها على قيادة حملة عسكرية إلى أورشليم Jerusalem لكى يحل هيركانوس محل أخيه أرستوبولس فى حكمها[٢]. وقام فى حوالى التاريخ نفسه كل من كوينتوس كايكيلوس ميتيلوس نيبوس Q.Caecilius Metel-lus Nepos ولوكيوس لوللوس L.Lollius قادة Legates فرق بومبى العسكرية بالتحرك داخل سوريا والاستيلاء على دمشق[٣]. لقد وصل الرومان الآن إلى دمشق أثناء تلك الظروف فى صورة مُحررين ، واستطاعوا القيام مباشرة بوضع حد للتفكك الاجتماعى والسياسى الذى أصاب المناطق السلوقية السابقة .

لحق ماركوس أيميليس سكاروس M. Aemilius Scaurus وهو أحد ضباط بومبي بكل من ميتيلوس ولوللوس ، ووجد أن الأوضاع في دمشق تمت السيطرة عليها ، لذلك تحرك سكاروس مباشرة إلى يهوذا (فلسطين) Judaea) ، وسارع ممثلو الأحزاب المتصارعة بالقدوم إليه في أورشليم لطلب المساعدة منه(٤). ومن وجهة نظر التحالف الذي كان قائمًا بين الحارث وهيركانوس ، فقد كان من حسن الطالع أن تداخلت في هذه اللحظة مصائر كل من العربية ويهوذا (فلسطين). ولذا كان أمراً منطقيًا أن يقوم بومبي وضباطه بالاهتمام بأمور كل من اليهود والعرب ، بقدر اهتمامهم باستقرار الأوضاع في سوريا، وهي التي أولى بومبي كل اهتمامه لتأمينها حيث كان يمكن بصعوبة فصلها عن الأحداث التي تدور في أقصى الجنوب . وبعد أن قام سكاروس بتقدير قيمة الحقائب التي قدمها كل من أرستوبولس وهيركانوس والرشاوى الضخمة التي قدمها كل منهم ، قدر أن يضع روما إلى جانب أرستوبولس (٥). وعلى الرغم من أنه ليس من السهولة بمكان التغاضي عن اتهام ضابط بومبي هذا بالجشع المالي ، فإنه مما لاشك فيه أنه أخذ في اعتباره ما حققه أرستوبولس من نجاح في أورشليم بالمقارنة مع أحوال هيركانوس المنفي الميئوس منه إضافة إلى ماتقدم لاحظ سكاروس حقيقة مهمة عن الأنباط تتمثل في أنهم كانوا غير محبين للحرب ، وكان الاحتمال ضعيفًا في قيامهم بالاعتراض الجدي على مساندة روما للحليف اليهودي(٦).

أمر سكاروس الملك العربي بحزم إما بسحب جيش الأنباط الذي أحضره إلى أورشليم أو أن يُعرض نفسه بأن يكون عدواً للشعب الروماني(٧). ويعني هذا بصريح العبارة ، أنه إذا لم يكف عن مساندة هيركانوس والعودة إلى البتراء ، فعليه أن يتوقع غزو جيش بومبي له في المستقبل القريب . وأرغم الحارث بلاجدال على مغادرة يهوذا(فلسطين) ، بينما عاد سكاروس إلى دمشق حاملاً معه الرشوة التي قدمها له أرستوبولس ، وفي الوقت نفسه انتهز أرستوبولس فرصة تقهقر الحارث ، ورحيل سكاروس وقام بقيادة جيشه ليتعقب العرب ، وتمكن من إنزال هزيمة نكراء بهم في معركة كبيرة عند بابيرون Papyron . وقيل إنه تمكن من قتل (٦٠٠٠) من أعدائه (٨).

فى أثناء هـذه الفترة وصل القائد الرومانى بومبى وقام بمهمة تنظيم الأوضاع فى سوريا كولاية رومانية جديدة . وكان ذلك فى عام ٦٤ق.م(٩). ويرجع السبب فى ضم سوريا إلى الإمبراطورية الرومانية إلى حد كبير لحالة الفراغ السياسى التى أعقبت الاختفاء الفعلى لبيت الملك السلوقى . إن الصراع الذى حدث بين كل الأمراء الضعاف ورؤساء العصابات من جهة ، وبين تيجرانيس الأرمنى من جهة أخرى للحصول على مركز ثقل إمبراطورية السلوقيين ، كان أشبه بصراع حيوانات على الجيفة . وعندما نجح بومبى فى طرد الملك الأرمنى ، اضطر إلى أن يوجه جهوده إلى أولئك المتطلعين للسلطة فى الداخل . وفى مطلع ربيع عام ٦٣ قام بجولة فى غرب سوريا زار فيها كلا من أباميا Apamea وإيتوريا Ituraea وطرابلس Tripolis والليجا Leja' . وقام بإعدام أحد الطغاة من الحكام المحليين ، ومصادرة ثروة ضخمة من آخر تعويضاً عن جرائمه(١٠).

وفى أثناء تأسيس الولاية الرومانية اعترف بومبى باستقلال مجموعة من المدن السورية المتاغرقة فى الداخل عرفت باسم المدن العشرة Decapolis . وكانت تقع ضمن مناطق الاستيطان المركزية فى المنطقة المعروفة باسم جوف سوريا Coele Syria (١١) . وظلت هذه المدن لقرون عديدة تدين باعترافها بالفضل لبومبى وتقوم بتأريخ أحداثها طبقًا لتاريخ اعترافه باستقلالها . وبطبيعة الحال كانت جميع هذه المدن العشر تدخل ضمن حدود ولاية سوريا(١٢) .إذ يبدو أن بومبى كان يهدف إلى أن يضمن استقرار الإقليم بالقيام بطريقة أو بأخرى بتأمين جميع الحكومات التى تمتد من أقصى جزء فى الشمال من الإمبراطورية السلوقية وحتى البحر الأحمر .

جرت العادة فى سياسة الرومان الخارجية خلال العصر الجمهورى وكذلك فى المرحلة المبكرة من عصر الأباطرة على إسناد حكم الولايات التى تقع فى الأجزاء النائية أو تلك التى يصعب الوصول إليها إلى أيدى أصدقائهم من الملوك الأتباع(١٣)، وسمحت هذه التنظيمات للحكومة الرومانية بالاعتماد على ذوى الخبرة من الوطنيين إذا ما توافرت دون تكبد نفقات مالية أو بشرية ، واضطرت فى بعض الظروف الخاصة إما

نتيجة لضعف الأسرة المحلية الحاكمة ، أو نتيجة لعوامل التذمر ، أو إلى الحاجة لمزيد من التدخل الإدارى المباشر أن تقوم بضم المناطق التى كانت من قبل مملكة تابعة أو بلدية ، ومن الواضح أن بومبى اهتم في سوريا بمشكلة الحدود الجنوبية من الولاية الجديدة ، فهو وإن كان قد استطاع القيام بتأمينها إلى حد معين عن طريق ضمان ولاء استقلال عدة مدن من المدن العشر (ديكابوليس Decapolis) كان عليه أيضاً التأكد من كفاءة وحسن نية حكام يهوذا (فلسطين) ومملكة الأنباط . إن مباحثات سكاوروس فى القدس عام ٦٥ ق.م لم تكن مقنعة بالنسبة لبومبى ، ولم يكن هناك ثمة مفاجأة لنا أن نراه يفكر فى إجراء تعديل على الوضع بعد جولته فى ريف سوريا عام ٦٣ ق.م.

وسيراً على الوتيرة نفسها للمجموعات المتنافسة فى يهوذا التى واجهت ضباط بومبى فى السنوات المبكرة ، قام كل من هيركانوس وأرستوبولس بإرسال وفود إلى بومبى للحصول على تأييده[١٤]، وبالإضافة إلى ذلك فإن الفَارسيين على عكس ولدى الإكسندر جنايوس طالبوا بطرد أسرة الهاشمونيين برمتها من أورشليم بأكملها[١٥] . لكن بومبى قرر تأجيل البت فى مشكلة يهوذا(فلسطين) بعد أن ينتهى من فحص موضوع الأنباط[١٦]، ويبدو أنه عَزم فى أثناء هذه المرحلة على القيام باتخاذ الاستعدادت لغزو الأنباط ، سواء بنية ربط المملكة بالإمبراطورية الرومانية ، أو على الأقل بالحصول على جزء من ثروتها[١٧].

على الرغم من أننا ندين حتى الآن للمؤرخ اليهودى يوسيفوس بتلك المعلومات اليسيرة التى قدمها عن خطة بومبى التى سبق ذكرها، فإنه لم يتحدث سوى عن رغبته فى فحص موضوع الأنباط . بمعنى أنه لايوجد كلمة واحدة عن الغزو . ولكن يوسيفوس ذكر بعد ذلك أن بومبى قد قدم بمصاحبة قوات حربية [١٨] ، وهو أمر متوقع أن يقوم به القائد العام للعمليات العسكرية فى الشرق .

لابد من النظر فى زيارة بومبى المفترضة لمملكة الأنباط عام ٦٣ فى سياق زيارته إلى المدن والمناطق المختلفة من سوريا فى أوائل العام نفسه . لقد كانت هذه الزيارة مخططاً لها لضمان الاستقرار للإقليم بالطريقة التى كان يرى أنها مناسبة بوضع

الترتيبات مع الحكام المحليين ، أو بفرض العقوبات المناسبة على هؤلاء الذين يقاومونه ، أو القيام بعمليات عسكرية إن كان ذلك ضرورياً . إن ترجيح الرأى القائل برغبة بومبى فى القيام بعملية غزو مباشر إلى الأنباط لا أساس له فى النص الذى ذكره يوسيفوس ، ولا حتى من قبيل الاحتمال . لم يتجه بومبى عند عودته إلى شرق الأردن للنظر فى مشكلتها لعدم رغبة أرستوبولس فى انتظار القرار الرومانى فى أزمة أورشليم . استاء بومبى من تصرف أرستوبولس واستدار عن شرق الأردن واتجه مباشرة إلى يهوذا (فلسطين) . واستولى جيشه على أورشليم ، وكلف بومبى قائده بيسو Piso بأمر الاهتمام بالمدينة[١٩]. ولقد دفع تصرف أريستوبولس الأحمق الرومان إلى مساعدة خصمه هيركانوس بعد سنتين فقط من العملية التى قادها سكاوروس ضده .

كان ذلك هو آخر فصل من جهود بومبى الشخصية لتنظيم الشرق ، ثم قفل عائداً إلى روما عام ٦٢ ق.م. ، ولم يترك سوريا فى يد أحد بخلاف أيميليوس سكاوروس فقط [٢٠]. وكان إقليم الأنباط هو الجزء الرئيسى الوحيد الذى لم يتم الانتهاء من إقرار أوضاعه بعد، كما لم يكن واضحًا بعد ما إذا كان بومبى ينوى إلحاق مملكة الأنباط بالإمبراطورية الرومانية ، أو أنه كان يهدف ببساطة إلى ضمان ولاء ملكها، ويبدو أن الأمر لم يكن واضحًا حتى بالنسبة لبومبى نفسه ، ومن جانب آخر يتضح أنه مادام قد قرر الكف عن مساندة أرستوبولس لصالح هيركانوس فهو يعنى أنه اتخذ جانب الأنباط ويكون بذلك قد أنشأ جبهة موحدة على جانبى وادى الأردن . على أى حال فقد قام سكاروس فى عام ٦٢ بإنفاذ حملة عسكرية ضد الأنباط ، على الرغم من أننا ليس لدينا دليل على أسبابه[٢١] ، ومن المحتمل ادعاؤه وجود بعض مشاكل الحدود ، ومن المؤكد أنه كان يرى أن العرب هم إحدى الشعوب القليلة التى لم يكن بومبى قد سبق له التعامل معها .ولم يقم جيش سكاروس بأى قتال فعلى ، وانتهت الحملة عندما وافق ملك الأنباط على تقديم (٣٠٠) تالنت من الفضة له [٢٢]، وعلى الرغم من أنه يبدو أن

سياسة بومبى تجاه مراقبة الأنباط كانت جزءاً من مخطط أكبرلإدارة الشرق بعد أن قام بضم سوريا إلى الإمبراطورية ، فإن لدينا كل الحق فى الشك بأن السبب الرئيسى الذى دفع سكاورس للتحرك تجاه مملكة الأنباط يتمثل فى الاستفادة من ثروة حكامها نظرا لنفورهم الإنسانى من الحرب(٢٣)، وعند القيام باستعراض الموقف السياسى فى عام ٦٢ نجد أنه لم يعد لدى روما ثمة مخاوف من الأنباط ، كما أنها لم تكن بحاجة إلى القيام بغزو المملكة .

أصبح واضحًا من خلال ما تقدم أن تدخل الرومان فى شئون العرب لايُعزى تفسيره إلى دافع واحد ، أو إلى سبب واحد ووحيد . وإنه من الأهمية بمكان أن نؤكد هذه النقطة عندما يشير النص القديم إلى العرب ، إذ ربما كانت هذه الإشارة لاتعنى حقيقة الأنباط . وعلى سبيل المثال فعندما ذكر(المؤرخ) أبيان Appian عند تلخيصه تاريخ سوريا أن كلا من ماركيوس فيليبوس Marcius Philppus ولنتولوس ماركللينوس Lentulus Marcellinus خلفاء سكاورس قضوا مدة حكمهم فى صد جيرانهم العرب الذين تسببوا فى وجود المشاكل " τους γειτονας ενοχλουντας Αραβας " ، تم تصنيف هؤلاء العرب الذين سببوا المضايقات التى شُغل بها كل من الحاكم الثانى والثالث لسوريا تقليديًا على أنهم الأنباط ، إلا أن سلوكهم كان يختلف عن سلوك الأنباط فى تلك الفترة . يضاف إلى ذلك أنهم كانوا بصفتهم جيرانًا لولاية سوريا فإن الاحتمال الأكبر أن هؤلاء العرب هم الذين كانوا يقيمون فى المنطقة الوعرة فى الليجا وفى شمال الحوران ، وعلى وجه التحديد فى المنطقة التى اشتهرت بأنها تأوى العصابات ، حيث موطن عصابات القبائل العربية التى تقوم بالسلب ثم تلجأ إلى الكهوف والمخابئ ، وتقوم بتهديد ليس الرومان واليهود فحسب بل غيرهم من العرب أيضًا (٢٥). لذلك ينبغى فصل النشاط الحربى الذى قام به كل من فيليبوس وماركللينوس عن العمليات العسكرية التى تم الشروع فيها أو تلك التى تم التفكير فيها فى المملكة النبطية .

وفى حقيقة الأمر ليس لدينا أى معلومات يمكن أن نستمدها من أى مصادر أدبية خلال سنين حكم نائبى القنصل proconsuls خلال الفترة بين عامى ٦١/٥٨ فى سوريا عن وضع مملكة الأنباط[٢٦] . وهناك قطعة عُملة يمكن أن تكون دليلاً يرجح وفاة الحارث الثالث الذى ظهر كفاتح ورجل ذى رأى حصيف. ويمكن تمييز صورة الشخص المتقدم فى السن التى ظهرت على العُملة بأنه يمثل عُبادة ، حيث يمكن ملاحظة الفروق بين صورته وصورة الملك الذى نعرف أنه قام بصك العُملة [٢٧]. وعلى ذلك يمكن ألا تنطبق هذه القطعة على ملك الأنباط الذى سعد بعض المتخصصين بتسميته بعبادة الثانى . والذى وضعوا حكمه فى الفترة الواقعة بين سنة ٦٢ وسنة ٥٦ أو فى فترة زمنية تقع بينهما . إن أعمال السلب التى اضطر كل من فيليبوس وماركلينوس إلى مواجهتها شجع عليها تغيير حكم الأنباط ، خاصةً إذا ما كان الحاكم الجديد متقدماً فى السن .

كان سكاوروس قد عاد إلى روما خلال فترة الالتباس فى تاريخ الأنباط ، وحصل على منصب الأيديلية خلال عام ٥٨ وقام بإصدار عملة تخليداً لحملته على العرب عام ٦٢ والتى لم يكن لها شهرتها [٢٨]؛ وصورت عملات سكاورس الملك الحارث جاثياً على ركبتيه إلى جانب جَمل وهو يقدم غُصنًا فى خضوع إلى القائد الرومانى . إن سوء تقدير ماقام به سكاورس والذى ظل ينظر إليه لفترة طويلة على أنه من قبيل المبالغة ، أكثر منه أهمية أن نبحث عن السبب الذى جعله يفكر فى أن الأمر يستحق الادعاء بانتصار على العرب. لقد ظهر – قبل سنوات قليلة من العملة التى أصدرها سكاورس – نقش فيه مبالغة وتضخيم يُسجل فيه بومبى موكب انتصاراته وذكر فيه أسماء الشعوب العديدة التى حقق الانتصار عليها فى الشرق ، وكانت العربية من بينها[٢٩]. كانت هذه هى المرة الأولى فى التاريخ الرومانى التى يقوم فيها قائد بتسجيل الانتصار على مملكة أجنبية بطريقة غير عادية. ويبدو أن سكاورس وجد فى نموذج التفاخر الذى سبق أن قدمه قائده فرصة لكى يقدم طُرفة رومانية جديدة عن العرب بنقش صورة ملكهم وأشهر حيوانات الصحراء على عملة تذكارية . لقد أضيف شغف

سكاورس بالدعاية لنفسه إلى ما عرف عنه من جشع للمال ، وفى عام ٥٤ ق.م. اتُهِم بالابتزاز خلال توليه منصب حاكم جزيرة سردينيا بدرجة بريتور [٣٠]. (*)

كان السحر الجديد للانتصار على العرب فى روما والثروة التى عرف أن هذا الشعب كان يمتلكها قد أغرت جابنيوس (A. Gabinius) حاكم سوريا عام ٥٥ ق.م. بشن حملة عسكرية أخرى على الأنباط . وكل ما يمكن قوله عن هذه الحملة هو توجه جابنيوس "ضد مدينة الأنباط " والتى يحتمل أنها البتراء وأنه انتصر فى معركة [٣١]. وإذا كان صحيحًا التسليم بوجود ملك هو عبادة الثانى فى الحكم فى السنوات التى تلت عام٦٣ مباشرة، فقد كان هناك ملك آخر لايزال على العرش هو ماليخوس Mali-chus قبل عدة سنوات أو أقل من حملة جابنيوس. فمن المحتمل أن تغيير الحاكم مرة أخرى وحالة عدم الاستقرار أو انعدام الأمن قد أغرى سكان المناطق الواقعة على الحدود ومن بينهم الحاكم الرومانى لسوريا . ومما لاشك فيه أيضًا أن الانتصار السريع وسهولة الحصول على الغنائم كان له إغراؤه بطبيعة الحال ، سواء كان يوجد على العرش ملكان جديدان أو تداخل الحكم بينهما فى إحدى الفترات ، ومن الصعوبة بمكان أن لا يشك فى العائد (المادى) الذى حققه جابنيوس من حملته [٣٢] ، وهكذا تضاعفت المعلومات التى أصبح يعرفها الرومان عن العربية ، وبذلك أصبحت هدفًا مغريًا لشغف القادة المولعين بالثروة .

ومع ذلك يمكن التأكيد على أن بداية صلة الرومان بالأنباط زمن بومبى كان لها هدفًا مختلفًا ، يتمثل فى تأمين الجناح الجنوبى لولاية سوريا الجديدة ، ولابد أن بومبى عندما غادر سوريا عام ٦٢ توقع أن روما أصبحت قادرة على الاعتماد على الملوك الحلفاء (الأتباع) فى كل من يهوذا(فلسطين) والعربية ، لأنه بدونها فإن سوريا

(*) عن ترتيب مناصب جهاز الحكومة الرومانية وتدرج تولى مناصبها بالانتخاب ، ومهام الحكام والجوانب السلبية والإيجابية لسلك المناصب السياسية الرومانية cursus honorum =certus ordo magestratuum , راجع الروبى ، أجهزة الحكم فى روما ، جدة ١٩٨٧ ، ص ٢٠ – ٣٥ .

تكون دائمًا مهددة بوقوع القلاقل فى الجنوب ، كما أنها سوف تفقد كل وسيلة برية لها للاتصال بالبحر الأحمر، ولا ننسى هنا الممر البرى إلى مصر . أما فى مصر فقد أخذت قوة الأسرة البطلمية المنيعة فى التداعى هى الأخرى، وتحولت إلى مملكة حليفة (تابعة) خلال فترة بومبى ، وهكذا امتدت صورة النفوذ الرومانى أمام القائد الكبير من جبال مملكة أرمينيا ولاية قورينة Cyrenaica (برقة فى ليبيا) على شاطئ أفريقيا الشمالى، أصبح لدى الرومان وعى جديد بالعرب ، كما يتضح من نقوش بومبى وعملة سكاروس، وكذلك بالنسبة لاتهام كل من سكاوروس وجابنيوس (بالابتزاز) أصبح الأمر لا يحتاج إلى مزيد من التأكيد . وهناك فقرة يتم أحيانًا اقتباسها من أحد خطابات شيشرون التى كتبها إلى أخيه كوينتوس Quintus تعكس الصورة السيئة الواضحة لملك الأنباط ، ففى فبراير من عام ٥٤ فكر مجلس السناتو الرومانى فى تجديد حق ارتداء العباءة الرومانية toga praetexta التى سبق منحها إلى الملك أنطيوخوس الأول الكومينى منذ عشر سنوات مضت وقام شيشرون (*) بالاعتراض على التجديد ، جاء فى النص القديم للخطاب قوله إنه من الغباء السماح بمثل هذه المنحة للكومينى ، بينما لا يرغب الرومان فى السماح بها لرجل من بُصرى Bostra(٣٣) وقد اعتُبر أن عبارة " ذلك الرجل من بُصرى " مقصود بها ملك الأنباط ، ودارت المناقشة حول أن أفضل ترجمة لكلمة Busrenus (أو تصحيحها بكلمة Bostrensis) هى "ذلك الرجل من بصرى "وهو – الملك بطبيعة الحال –أكثر من كونه "ذلك لرَجُلٍ من بصرى " ، إن جميع المناقشات تبدو الآن جانبية بالنسبة للموضوع الرئيسى ، لأننا إذا أمعنا النظر فى تواتر النص وبالمثل فى سياق الخطاب نلاحظ أن أحدًا لم يشك بأن رجل

(*) ولد ماركوس توليوس شيشرون M.Tullius Cicero، ألمع خطباء الرومان وأشهر كتابهم عام ١٠٦ق.م ، واشتغل فى مستهل حياته بالمحاماة ، وأحرز بمرافعاته فى المحاكم شهرة عريضة ، وكسب صداقة عدد كبير من أقطاب عصره . اتخذ شيشرون من المحاماة مثل سائر محاميى عصره سلمًا لارتقاء المناصب السياسية التى تدرج فيها بسرعة ، وشغل منصب القنصلية عام ٦٣ ، واشترك فى المؤامرة التى أودت بحياة قيصر عام ٤٤ ق.م. وحكم عليه بالإعدام عام ٤٣ ، وتعد كتاباته من أهم مصادر العصر. (المترجمة)

بُصرى مجرد خيال صرف . لم يكتب شيشرون الكلمة إطلاقًا ولكنه كان يتحدث عن موضوع مختلف فى خطابه(٣٤). وحيث إن البتراء كانت هى بلا شك مركز ملوك الأنباط على أيامه (ولقد ذكر يوسيفوس أنها المكان الذى يوجد فيه قصر الملك)؛ لذلك فمن الغريب أن يعتقد البعض أن شيشرون كان يشير إلى ملك الأنباط على "أنه رجل من بصرى ". لأن بُصرى أصبحت عاصمة الولاية العربية الرومانية بعد أكثر من مائة سنة ، وكان ملوك الأنباط يقيمون فيها كما كانوا يقيمون فى البتراء قبل إلحاقها بروما أما فى عصر الجمهورية المتأخر فقد كان هذا تاريخًا لم يحدث بعد.

كان ملك الأنباط الذى حكم مباشرة بعد غزو جابنيوس عام ٥٥ هو الأول الذى حمل اللقب الملكى ماليخوس Malichus ، والاسم نفسه يعنى "الملك "فى اللغات السامية (٣٥). لقد كانت مسئولية ماليخوس جسيمة ؛ إذ وقع على عاتقه مهمة قيادة شعبه خلال الأيام المضطربة التى حدثت خلال الحرب الأهلية والحكومة الثلاثية trium-virate فى روما(*). ففى الفترة التى تتبدل فيها حظوظ القادة المتنافسين ، لم يكن من السهل على أحد من الملوك التابعين لروما أن يقرر إلى من ينحاز من القادة الرومان، أو المدة التى سوف يستغرقها هذا الانحياز. واستطاع قائد ماهر مثل أوكتافيان بعد أن تم له الانتصار على أنطونيوس أن يميز أن التابع الذى ظل مُخلصًا لعدو حتى النهاية يمكن فى الواقع الوثوق به كحليف طالما حوَّل ولاءه إلى المنتصر ، وذلك على عكس آخر الذى سبق وحول ولاءه مبكرًا . وكان على ماليخوس طوال سنين حكمه أن يواجه الاختيار بين قيصر وبومبى ، وبين قتلة قيصر وأنطونيوس ، وبين أنطونيوس وأوكتافيان ، وأيضًا بين المطالبين بالعرش فى أورشليم . وكانت تلك قضية دبلوماسية ثقيلة فُرضت عليه وقد مارسها بقدر غير قليل من النجاح (٣٦).

(*) تحالف سرى بين الزعماء الثلاثة بومبى – كراسوس – قيصر عام٦٠– ٥٩ ، للسيطرة على الدولة. أطلق الأقطاب الثلاثة على أنفسهم اسم الأصدقاء (Amici) لغة الدبلوماسية الرومانية القديمة .تصدع التحالف بمصرع كراسوس فى معركة كرهاى ضد الفرس عام ٥٤ وأخذ فى التداعى وانتهى بمصرع الأول فى مصر عام ٤٨ وسيطرة الثانى على الدولة. (المترجمة)

تمكن أنتيباتير Antipater الدبلوماسي اليهودي المُحنك مع العروس النبطية الذي فعل الكثير في العقود السابقة لتأييد ماريكانوس في صراعه ضد الهاشمونيين أن يواصل لعب دور الوسيط بين بلاط يهوذا (فلسطين) والعربية عندما انقلب كل من قيصر وبومبي ضد بعضهما .فقد فاز بمساندة الأنباط لقيصر عام ٤٧ ، عندما تمكن من إغراء ماليخوس بإرسال فرسان إلى الإسكندرية للعمل ضد بومبي (٣٧) ، بعد هزيمة بومبي ومصرعه في مصر(*) شعرت قوات كل من العرب واليهود أنها أحسنت الاختيار ولكن كان عليها مرة أخرى القيام باختيار صعب .

قامت المجموعة التي قتلت قيصر في منتصف Ides شهر مارس عام ٤٤ ق.م. بالفرار إلى الشرق بعد عملية الاغتيال سعيًا للحصول على مساعدة من هذا الجانب ضد أنطونيوس . كما قرر أحد قادة قيصر السابقين الحصول على مساعدة قوة خارجية – الفرس – ضد القتلة . ولكن دخول الجيوش الفارسية تحت قيادة الروماني لابينوس Labienus الذي كان يلقب بالبارثيكوس Parthicus (أي الفارسي) في دائرة النفوذ الروماني في شرق البحر المتوسط خلقت فوضى واضطرابًا (٣٨). وواجه أتباع روما الآن القيام باختيار أكثر صعوبة . وكان أنطونيوس بعيداً في إيطاليا ويعمل بالتنسيق مع شاب مغمور ظهر كوريث لقيصر ، ومع أنه حمل لقب قيصر من والده بالتبني ، فإنه يُعرف لدى المؤرخين في العصر الحديث باسم أوكتافيان ، ولم يمثل هذا القيصر الجديد أهمية تذكر بالنسبة إلى أي ملك في الشرق الأدنى ، وكان يوجد في الجانب الآخر على مقربة من روما رجال على استعداد تام لسلخ الولايات لتأييد الحرية المزعومة التي اعتقدوا أنهم حصلوا عليها بعد التخلص من الدكتاتور قيصر ؛ وكان

(*) عن النتائج التي ترتبت على مصرع القائد بومبي في مصر ووصول يوليوس قيصر إليها متعقباً له وتدخله ليفض النزاع القائم حول العرش بين كليوباترا السابعة وأخيها الصبي الصغير(بطلميوس الثالث عشر) ، راجع :الروبي (آمال)، مصر في عصر الرومان ، ص – ٢٧

هناك رومان آخرون مؤيدون لروما يرون الخلاص من النظام القديم فى محاولة القضاء على قوة الفرس الأجنبية .

وصلت قوات الفرس إلى أورشليم عام ٤٠ ، وفى أثناء ذلك كان أنتيباتير العجوز قد مات ضحية لسم تناوله منذ ثلاث سنوات مضت ، وكان ابنه هيرود الذى اشتهر باسم هيرود الكبير Herod على وشك أن يبدأ حياة حافلة كملك لليهود(٣٩) . وكان قد سبق له العمل كموظف فى البلاط مع هيركانوس صنيعة والده . اعتقد هيرود أنه من الفطنة الانسحاب من المدينة بعد وصول الفرس إليها. واتجه بما عرف عنه من قبل من ميل إلى حب الظهور والوقاحة وتمجيد الذات طوال فترة شغله لمنصبه أولاً إلى ماليخوس طالبًا منه ليس فقط الحماية بل أيضًا استعادة الأقاليم التى سبق وسلمها أنتيباتير إلى العرب (٤٠). وليس من المستغرب أن ماليخوس لم يبد اهتمامًا بذلك الطلب ، لذلك اتجه هيرود غربًا إلى الإسكندرية أولاً ، ثم بعد ذلك إلى روما نفسها . وظهر بطريقة مسرحية أمام مجلس السناتو ، حيث تعهد بالوقوف إلى جانب حكومة رومانية قد فرغت للتو من تكوين الائتلاف الثلاثى (الحكومة الثلاثية) المؤقتة(*) ، وتمكن هيرود من الحصول على اعتراف الرومان به ملكًا رسميًا على يهوذا(فلسطين) (٤١).

ترتب على تحول هيرود بعيداً نظراً لمبالغته فى مطالبه ، أن وجد ماليخوس نفسه مُبعداً من قبل اليهود. وفقد تلك المكافئة التى اعترف له الرومان بها ، لذلك كان على ماليخوس مواجهة المستقبل بشروط صارمة فى الشرق الأدنى ، ونظراً لوجود الفرس فى أورشليم اختار الموقف الأقل مخاطرة وانحاز إلى جانب الغزاة (٤٢)، وكان هو الوحيد من بين حلفاء الرومان فى ذلك الوقت الذى اختار السير فى هذا الطريق (٤٣)، ولكنه وجد نفسه أمام معارضة متزايدة عندما عاد هيرود منتصراً من روما بعد

(*) تكونت الحكومة الثلاثية الثانية من أنطونيوس – ليبيدوس – أوكتافيان فى نوفمبر ٤٣ق.م. وهى حكومة شرعية وافقت عليها الجمعية القبلية ، لذلك فهى تختلف اختلافًا جذريًا عن الحكومة الثلاثية الأولى .الرويبى، مصر فى عصر الرومان ص٣٨ ومايليها. (المترجمة)

الاعتراف به ملكًا على يهوذا(فلسطين) وحليفًا لروما . تمكن القائد الرومانى ڤينتيديوس باسوس Ventidius Bassus من إخراج الفُرس وإعادتهم إلى بلادهم إيران ، وحتى يتم له إعادة تأكيد السلطة الرومانية فى الإقليم ، قام بفرض غرامة مالية كبيرة على مَاليخوس لتوانيه فى أداء الواجب تجاه روما(٤٤). ولما كانت الخزانة الرومانية قد استنزفت إلى حد كبير فى فترة الاضطراب ، فمن المؤكد أنه لم يغب عن بال ڤينتيديوس ثروة الأنباط ؛ لهذا توافر لديه سبب مقنع لكى يحول خيانة ماليخوس إلى فائدة مالية للرومان .

حصل أنطونيوس على الجانب الشرقى من الإمبراطورية الرومانية كنصيب له طبقًا لنصوص الاتفاق الثلاثى. وعند وصوله إلى الشرق اعترف به أصدقاء روما القدماء كسيد جديد ، يجب عليهم تقديم الولاء له. ومعظم هؤلاء هم الذين كانوا يحرصون على الاحتفاظ بحريتهم التى كانت لهم من قبل تحت النفوذ الرومانى . وعلى أى حال ففى هذا الوقت نفسه وقع أنطونيوس تحت تأثير موهبة وسحر جمال ملكة مصر الفتان ، فبعد عدة عقود من ضعف الأسرة البطلمية كانت كليوباترا ترى كما لو كانت تنظر فى المرآة وضوح المصير الذى آلت إليه الأسرة السيلوقية ، لقد كانت كليوباترا آخر من يُذكر بما كان عليه البطالمة يوما ما ، ولم تكن كليوباترا مكتفية فقط بشغف أنطونيوس حبًا لها؛ إذ إنها عقدت العزم كملكة على توسيع دائرة أملاكها ، ثم حاولت فى نهاية الأمر من خلال أنطونيوس المطالبة بحكومة روما نفسها(*). أو هذه هى الصورة التى تراءت أمام الموالين لأوكتافيان(٤٥). وعلى أى الأحوال فقد كانت لها مطالب مهمة للحصول على أراضٍ أو مناطق جديدة .

(*) عن زخم هذه الفترة الممتدة من عام ٤٣/٣٠ق.م. والمشحونة بالأحداث الساخنة من أجل الصراع على السلطة فى العالم الرومانى ، والتى تركت بصمات واضحة على مصر ومنطقة الشرق الأدنى برمته ، راجع : الرويى (آمال) مصر فى عصر الرومان ، ص ٣٩-٤٩ .

طالبت كليوباترا أنطونيوس نظراً إلى وقوفها، إلى جانبه فى سوريا ، بالحصول على مملكتى يهوذا (فلسطين) والعربية على الأقل (٤٦)، عند ذلك خيب القائد المفتون بها أملها معترضاً بأنه من قبيل الظلم قيامه بطرد الملكين هيرود وماليخوس فى حين أنه لايوجد لديه أى شكوى منهما (٤٧)، وعلى أى حال فقد أرضى أنطونيوس كليوباترا بإعدام كل من لايسانياس Lysanias خليفة بطلميوس Ptolemaeus بن مينايوس Mennaeus ذى السمعة السيئة، الذى كان يعمل فى عصابات قطاع الطرق فى إقليم إيتوريا ,Ituraea بتهمة ملفقة وهى تأييده للفُرس(٤٨)، وهى تهمة كان يمكن إلصاقها بأشخاص صالحين آخرين ، ومن بينهم ماليخوس نفسه ، وفى الشرق طالبت كليوباترا أنطونيوس بأجزاء كبيرة من فينيقيا بالإضافة إلى حدائق البلسم فى أريحا Jerico (*) والتى كانت من بين أملاك هيرود القيمة من قبل ، والذى اقتضى الوضع الجديد أن يقوم باستئجارها من مالكها الجديد (٤٩).

ومما يذكر أن أنطونيوس حَوَّل إلى كليوباترا جزءاً من العربية (٥٠) ، ومن سوء الحظ أنه لايمكن بأية طريقة معرفة أى جزء منها . ذكر بلوتارخ Plutarch بعد أكثر من مائة عام فى ترجمته لحياة أنطونيوس ، أن إقليم غرب الأنباط الذى يتجه نحو البحر الخارجى كان من بين الهدايا (المِنَح) التى قدمها أنطونيوس προς την εKos θαλσ-σαν إلى كليوباترا ، ولما كان المعروف أن البحر الداخلى فى العصرالقديم ، هو البحر المتوسط ، فمعنى ذلك أن أملاك الأنباط فى النقب لم تكن موضع تساؤل . وهناك احتمال بأن تكون الإشارة هنا تعنى البحر الميت ، وإنتاج القار المربح الذى لعب دوراً فى ازدهار الأنباط الاقتصادى(**) ، ولكن يبدو أنه أمر غريب وصف بحر داخلى فى

(*) بلسم أريحا من أجود الأنواع وأغلاها ثمناً ، وله أهمية كبيرة فى مجال العقاقير الطبية . راجع :كرون تجارة مكة ص ١١٨-١٢١ .

(**) يذكر ديودور أن البحر الميت كان "يقذف من وسطه كل عام كتل القار وينشرها فى مساحة تتراوح بين ١٠٠٠٠-٢٠٠٠٠ قدم مكعبة ، وهى تبدو لمن يراها وكأنها جزيرة ...... وتبدو نذرها قبل عشرين يوماً من بدايتها، إذ تنتشر رائحة القار الكريهة من مسافات بعيدة ، وينتج عنها تغير لون الفضة والذهب والبرونز فى المنطقة ، ولا تعود إلى حالتها الأولى إلا بعد أن يطرح البر القار ، ... ويحمل =

مملكة الأنباط على أنه البحر الخارجي . إن الترجمة التي تعد أكثر احتمالاً للجملة التي ذكرها بلوتارخ أن المقصود بها خليج العقبة وامتداده في البحر الأحمر ، والذي يؤكد على أهمية استقرار الأنباط في الحجاز وشمالي غرب الجزيرة العربية . وهذا هو الإقليم الذي كانت تَعبر خلاله بالتحديد تجارة الأنباط في طريقها إلى البتراء ، ويقع فيه بالإضافة إلى ذلك مدن ساحلية حيث تمكن الأنباط من القيام منها بشن هجومهم على السفن المصرية خلال القرن الثاني (٥٢)، ولذلك تصبح سيطرة ملكة مصر على الشاطيء المواجه للبحر الأحمر وخليج العقبة أمراً مرغوباً فيه إلى حد بعيد، ومن المحتمل أن تكون هذه هي المنطقة التي منحها لها أنطونيوس .

عاني هيرود في الثلث الأخير من القرن الأول كثيراً من المهانة ليس فقط لقيامه باستئجار أملاكه السابقة حول أريحا ولكن أيضاً كضامن لتقديم الأموال التي يتوقعها الرومان من الملك العربي (٥٣)، ووضعت الترتيبات على أساس بذر الشقاق بين حكام اليهود والعرب. وأخيراً أرغمت كليوباترا أنطونيوس على أن يصدر أوامره إلى هيرود بشن حملة ضد ماليخوس بسبب تخلفه عن الدفع (٥٤). وادعى يوسيفوس أنها كانت تتطلع إلى القضاء على الملكين في الصراع المشترك بينهما(٥٥) . ومادامت لم تتمكن من إقناع أنطونيوس بالقضاء عليهما من قبل منذ عدة سنوات ، فقد دبرت بدهاء وضع أحدهما في مواجهة الآخر. مما لاشك فيه أن هدفها النهائي - كما كان الحال من قبل - يتمثل في ضم كل من يهوذا (فلسطين) والعربية للمملكة البطلمية ، ولكن سرعان ما

= البرابرة الذين يسيطرون على هذه المادة القار إلى مصر لبيعه لاستخدامه في التحنيط ، ويتم خلطه بمواد عطرية أخرى حتى يتم حفظ الجثث لفترة طويلة ... وعند طرح القار من البحر يحمله السكان الذين يقيمون على جانبي البحر ويتنافسون عليه بعنف وكأنه غنيمة حرب ، ويتم جمعه في طوافات ، يمتطي الواحدة ثلاثة رجال ، يقوم اثنان بالتجديف بمجاديف مربوطة إلى الطوافة ، ويحمل الثالث قوساً يصد به من يتعرض لهم من الجانب الآخر أو من يجرؤ على التحرش بهم ، وعندما يقتربون من القار يهجمون عليه بالفؤوس كأنه حجر هش فيقطعونه إلى أجزاء ويحملونها إلى الطوافة ويعودون أدراجهم ." (المترجمة)

تبدل حظ أنطونيوس فى معركة أكتيوم فى سبتمبر من عام٣١ق.م. وبعد عام من هذا التاريخ أخذت كليوباترا الأفعى إلى صدرها ، وسقطت مملكة البطالمة العظمى فى مصر كلها فى يد إمبراطور روما الأول ، بينما واصلت مملكتا يهوذا(فلسطين) والعربية البقاء على قيد الحياة.

إن الحرب التى أرغم فيها أنطونيوس هيرود على شنها ضد ماليخوس فى الفترة المبكرة من عام معركة أكتيوم كانت حربًا بدون تخطيط؛ إذ قام هيرود أولا بغزو حُوران . ومن الواضح تمامًا السبب الذى دفعه إلى اختيار دخول المملكة من هذه المنطقة ؛ لأنها كانت بمخابئها العديدة تمثل عائقًا للقيام بأى عمليات هجومية ، إضافة إلى أن حروبه التى قام بها فى فترة مبكرة فى إقليم الجليل المجاور ربما جعلت هيرود يشعر كما لو أنه يقف على أرضه ، إلى جانب معرفته بدروب القبائل ومسالكها فيها , وفاز اليهود فى المعركة الأولى التى وقعت فى ديوسبولس Diospolis(٥٦) ثم قام بعد ذلك بالتحرك لمواجهة جيش عربى قوى فى كناثا Canatha(٥٧) وهى القنوات Qanawat الحديثة التى تقع على المنحدر الغربى لجبل الدروز . حيث كان يوجد شخص يدعى أثينيون Athenion يمثل كليوباترا فى الإقليم ، حارب فى صف العرب بسبب خلافه الشخصى مع هيرود (٥٨)، وتمكن من قيادة القوات العربية لتحقيق النصر ، وصاحب نجاح العرب المذهل وقوع زلزال قوى فى يهوذا(فلسطين) ، نتج عنه تدهور نفوذ هيرود فى مملكته وأدى يأسه فى متابعة الحرب ضد العرب إلى قيامه فى النهاية بإرسال سفرائه إلى ماليخوس لطلب السلام .

قام الملك العربى الذى ذاق حلاوة نصره القريب العهد بإعدام المبعوثين اليهود، وفكر فى غزو يهوذا (فلسطين) (٥٩). واضطُر هيرود تبعًا لذلك إلى إعادة فتح باب العداء ، واختار فى تلك المرة عبور وادى الأردن من جهة الجنوب بعمق أكبر من الحملة السابقة. واشتبك مع قوة عربية تحت قيادة قائد من الأنباط يدعى إليثيموس Elthemos (وهو اسم نبطى ʾltmw جيد) فى محيط فيلادلفيا Philadelphia وهى عمان الحديثة (٦٠)، وقاسى الأنباط فى هذه المعركة آلام هزيمة كبرى ، وطلب العرب

المقهورون من هيرود أن يصبح حاميهم[٦١] . ولم يكن لهذا الانتصار اليهودى أى أثر مباشر فى شرق الأردن ؛ إذ إن نتائج الصراع الكبير بين أنطونيوس وأوكتافيان فى أكتيوم كانت على وشك أن تُمهد السبيل لإدارة جديدة فى الشرق الأدنى على يد أوكتافيان المنتصر .

من السهل فهم مخاوف هيرود من احتمال قيام أوكتافيان بالتخلص منه لمصلحة منافسه الأزلى هيريكانوس على اعتبار أنه كان يقف إلى جانب أنطونيوس[٦٢]. لذلك قام بإعدام صديق والده العجوز على وجه السرعة. وحاول هاريكانوس أن يطلب منه نفيه إلى بلاط البتراء ، وسبق أن وافق ماليخوس على استقباله [٦٣]. وكذلك كان لدى ماليخوس بوصفه من حزب أنطونيوس الحق فى التفكير فى النتائج التى سوف تترتب على معركة أكتيوم . على أى حال فقد نجح فى ضمان حسن نية أوكتافيان تجاهه بضربة خبير ؛ لأنه قام بإرسال قوات لحرق سفن كليوباترا التى تمكنت من إنقاذها من كارثة أكتيوم ، وقامت بوضعها فى أحد شواطئ السويس [٦٤]. وعلى العكس من ذلك ، قام الملك اليهودى باستخدام المواجهه الشخصية ، والتى اعتاد بانتظام على استخدامها بنجاح طوال مدة توليه منصبه ، وتمكن هيرود من الحصول على تأييد صاحب نصر أكتيوم عندما زعم أن الإخلاص الذى أبداه تجاه أنطونيوس إلى النهاية لهو خير برهان على ثبات ولائه ، وأنه على أتم الاستعداد على أن يحوله فوراً إلى أوكتافيان [٦٥].

ضاع حلم كليوباترا لمد النفوذ البطلمى عبر الشرق الأدنى ، بضم كل من يهوذا (فلسطين) والعربية مع حبيبها الرومانى . وترك انتحارها المسرحى المملكة المصرية فى وضع من الفوضى يشبه ذلك الذى حدث فى سوريا السلوقية فى الستينيات من القرن الأول ق.م. وسنحت الفرصة للرومان لضم مصر إليهم ، وهذا يعنى أن كلا من مملكتى يهوذا(فلسطين) والعربية على جانبى وادى الأردن أصبحتا منذ عام ٣٠ ق.م. فى مواجهة القادة الرومان فى الشمال (ولاية سوريا) ، والولاة الرومان حول الركن

الجنوبى الغربى (فى الولاية الرومانية الجديدة فى مصر) . كان الموضوع مسألة وقت أمام الحكومة الرومانية التى سوف تشعر بحاجتها لسد الفجوة فى محيط الولايات الواقعة على جنوبى وشرقى شواطئ البحر المتوسط .

مصادرالفصل الثالث

(١) راجع A.R. Bellinger,"The Early Coinag of Roman Syria,"Studies in Roman Economic and Social History in Honor of A.C. Johnson (1951).pp.58-67.esp.pp.58-60، عن مسح للموقع راجع: M.Sartre,"Rome et les Nabatéens à la fin de la République," REA 81 (1979),42,n.40, الذى يبدو أنه أساء فهم إشارة بيللينجر إلى الحارث "الذى هزمه سكاوروس "AretasIII,battu par Scaurus". يعتقد سارتر أن بيللينجر كان يدور فى خلده هزيمة الحارث (الثالث) بعد احتلال الأنباط الثانى لدمشق عام ٦٥ ق. م.ولكن النص الذى ذكره بيللينجر يوضح ببساطة أنه يشير إلى فك حصار الحارث لأورشليم.

(٢) Josephus,AJ 14.20;BJ 1 .126.

(٣) Josephus,AJ 14.29;BJ 1.127 ،ربما عام ٦٥ ق.م T.R.S.Broughton, The Magistrates of the Roman Republic II (1952),p.164;Sartre(above,n.1),42 . الذى لا يزال يرجح إمكانية حدوث ذلك عام ٦٦ ق.م.

(٤) Josephus,AJ 14.30-31, for Scaurus ,see Broughton (above,n.3),p.163.

(٥) Josephus, AJ 14.30-31;BJ 1. 128.

(٦) بخصوص عدم ميل الأنباط للحرب راجع : Josephus,AJ 14.31 (فى سياق حديثه عن قرار سكاوروس): Diod. 2 54. 3;Strabo 16 4.23,C780.

(٧) Josephus,AJ 14.32.Cf. BJ 1.128 ،" المخاطرة بأن يكون عدوًا للشعب الرومانى ويومبى. ’ ἀπειλῶν Ῥωμαίους καῖ Πομπήιον ει’ μη λύσειαν τγν ηολιορκιαν.

(٨) Josephus,AJ14.33;BJ1.130

(٩) see Broughton(above,n.3),pp.163-64.

(١٠) Josephus,AJ 14.38-40 .تم قطع رقبة ديونيسيوس الطرابلسى Dionysius of Tripolis . أما بطلميوس بن مينايوس Ptolemaeus s. of Mennaeus زعيم عصابة قطاع الطرق فى الليجا الذى أثار الرعب فى دمشق عدة مرات فقد فرضت عليه غرامة مالية بلغت ألف تالنت talent.

(١١) ولمناقشة حديثة عن مشكلة تاريخ حلف المدن العشرة راجع : H.Bietenhard,"Die Dekapolis von Pompeius bis Traian,"ZDPV 79(1963).24-58,as well as ANRWII.8(1977).220-61;S.T.Parker,"The Decapolis Review- ed," JBL 94(1975),437-41;B.Isaac,"The Decapolis in Syria ,a Neglected Inscription,"ZPE 44(1981).67-74; راجع عن العملة : A.Spijkerman,The Coins of the Decapolis and Provincia Arabia (1978).

(١٢) تقع عدة مدن فى قلب إقليم الأنباط وعلى وجه التحديد :كناثا ، وجيراسا، وفيلادلفيا . وأثبتت قطع العملة أن آخر المناطق التى كانت تُعد نفسها تابعة لها فى عصر الإمبراطورية هى منطقة جَـوف سـوريا Coele-Syria، وأكـد بطلميـوس فـى جغرافيتـه هـذا التحـول Geography(5.15).وأوضح إيزاك (فى الحاشية رقم ١١ أعلاه)أن حلف المدن العشر أصبح يخضع فى أواخر القرن الأول لإشراف موظف من طبقة الفرسان يعمل تحت قيادة والى سوريا legate .

(١٣) راجع الدراسة الممتازة التى قام بها : Mario Pani,Rome ei Re d'Oriente da Augusto a Tiberio(1972).

(١٤) Josephus,AJ 14.41-45.

(١٥) Josephus,AJ 14 .41.

(١٦) Josephus,AJ 14.46:"فضل بومبى تأجيل الموضوع بعد اتخاذ الترتيبات اللازمة مع الأنباط ε'λθων δ'ει'ς την χώραν αυτών έ'λεγεν διατάξειν έκαστα ε'πειδαν τὰ των Ναβαταίων πρωτον 'ιδη.

(١٧) راجع J. Starcky,SDB 909(" قـرر السير ضد الأنباط ، لاشك أن السبب فى ذلك يرجع إلى ضم الولاية الجديدة ")، أما سارتر فيقول فى الحاشية رقم ١ أعلاه،٤٣"حملة بومبى ضد الأنباط".وأشارك الرأى الذى تم الإجماع عليه فى JRS 61 (1971),223 "أن الحارث الثالث هو الذى عزم بومبى على شن حملة ضده فى الوقت الذى تم فيه ضم ولاية سوريا" وأكد سارتر على أهمية إغراء ثروة الأنباط فى القيام بهذا العمل .

(١٨) Josephus,AJ 14.48 : تقدم "بومبى بقواته تجاه الأنباط την επι τούς Ναβαταίους αναλαβών στρατίαν"وهذه القوة هى التى كان يوسيفوس يريد أن يقول إنه قد تم إمدادها بقوات من سوريا عندما قرر بومبى إعداد حملة ضد أرستوبولوس .

(١٩) Josephus,AJ 14,48-52P;BJ 1.141-43.وكان المبعوث هو ماركوس بوبيوس بيسو فروجى كالبيورنيانوس M. Pupius Piso Frugi Calpurnianus: Broughton (above,n.3), p.171.

(٢٠) Josephus,AJ 14.79.

(٢١) Josephus,AJ 14.80:"قام سكاروس بقيادة قوات عسكرية ضد عرب البتراء

\Σκαύρου 'δὲπι Πὲτραν τής 'Αραβίας δ̓ στρατεύσαντος

وبخصوص قيام انتيباتير بتموين قوات سكاروس خلال هذه الفترة دون التحول عن صديقه القديم الحارث ، راجع ملاحظات سارتر القانونية Sartre(above ,n.1),44,n.53.

(٢٢) Josephus,AJ14.81.

(٢٣)عن العوامل التى دفعت سكاروس إلى التحرك كما يراها سارتر راجع الحاشية رقم ١ أعلاه.

(٢٤) Appian.Syr.51.

(٢٥) راجع ص. ٢٥-٢٦ من الكتاب عن الليجا والأجزاء المحيطة بها .

(٢٦) Broughton(above,n.3),pp.180&185(Philippus in 61 &60 B.C., pp.190 & 197 (Marcellinus in 59&58 B.C.)

(٢٧) Y.Meshorer,Nabataean Coins,Qedem3 Monographs of the Institute of Archaeology Jerusalem(1975 pp.16-20.وقام فى ص١٦ بالربط بين النقش رقم ٩٠ فى مجموعة دالمان بتلك الفرضية عن عبادة. Dalman,Neue Petra Forschungen (1912),no.90.ولكن من الأفضل مطابقة عبادة بن الحارث المذكور فى النص مع عبادة الأول : راجع ص ٢٣ والحاشية رقم ٤٣من الكتاب . ويدعى ميشورير Meshorer أن شعيرةعبادة الإله(bdt lh)المذكورة فى CIS II,354(J.Cantineau, le Nabateen II[1932],p.6.no 4)تمثل الملك المزعوم عام ٦٢ ق. م. وهو افتراض ضعيف لأن عبادة الأول هو أفضل المرشحين لتكريس هذه الشعيرة له راجع:مرة أخرى ص.٤٣ أعلاه ،حاشية رقم 43 ،ولايوجد ثمة دليل بخلاف قطع العملة الأربعة المسجلة فى كتالوج ميشورير Meshorer,Catalogue,pp.87-88 يدل على وجود ملك يدعى عبادة فى الستينيات ،ولاحظ ستاركى SDB 909 عدم وجود أى ملك يحمل اسم عبادة خلفا للحارث الثالث .

(٢٨) M.h. Crawford,Roman Republican Coinage(1974)I, p.446,no.422 عن طـراز الدينار lb(*) فإن عبارة الملك الحارث Rex Aretas تتطابق مع الشخص المصور راكعًا.

(٢٩) .Plut..Pomp.45.2، وعن إقامة بومبى مذبح فى معبد الربة منيرفا فى روما للتطهر من أخطاء حروبه: terris a Maeotio ad rubrum mare subactis راجع: تقرير بلينى Pliny NH 7.97

(٣٠) Asconius,p.22(Stangl):neque satis abstinenter se gessisse existimatus est et valde arroganter. وتحدث شيشرون مدافعًا عنه Cicero (Ad Att. IV. 15.9, .16.6;&QF II.15.3)

(٣١) #Josephus,AJ 14.103;BJ 1.178.

(٣٢) Cf.Von der Mühll in RE 7.1,col 428:"Der Streifzug, den er darauf gegen die Nabatäer unternahm,sollte wohl nur Beute bringen" أى أن الحملة التى نفذها ضد الأنباط كانت فقط لإحضار غنائم " ، عن التاريخ الذى تولى فيه الملك الذى كان يحكم عام 50 م راجع الحاشية رقم (٣٥) أدناه .

(٣٣) Cic., QF II.10.3: ↑ Busrenum↑ Vos autem homines nobiles,qui praetextatum non ferebatis, Commagenum feretis?، وكلمة Busrenum هى (قراءة النسخة C فى طبعة عام ١٥٢٨). وفى النسخة V (من القرن الخامس عشر) تقرأ الكلمة Burrenum التى يدافع عنها شاكلتون بيلى فى تعليقه Shackelton Bailey,Commentry(1980). pp. 192 - 93.

(٣٤) سار سارتر على نهج ماك آدم H.I.Mac Adam فى رسالته لنيل درجة الدكتوراه (حاشية رقم (١) أعلاه)، ورفض فى ص.٥٣ النقاش الذى دار حول "رجل من بصرى "ص٤٧.كان ماك آدم على حق عندما رفع بُصرى Bostra من النص، ويقترح ومعه مونداى N.J Munday قراءة كلمة Osrenum بدلاً منها فى البحث الذى نشر فى CP 78(1983)

(٣٥) إن تاريخ تولى ماليخوس Malichus الحكم (أو ماليخوس فى النبطية مالكو mlkw أو مانكو mnkw) غير واضح . ويتضح من العملة أنه حكم مدة ٢٨ عامًا . ولما كان قد خلفه هو الآخر ملكًا يدعى عبادة (هو فى واقع الأمر الثانى ، ولكن ميشورير يرى أنه الثالث) وصل

(*) lb رطل إنجليزى .ويعنى أن عملة الدينار تساوى فى ثمنها ما يقابلها بسعر رطل من المعدن المصنوعة منه قطعة العملة. (المترجمة)

إلى العرش عام ٣٠ق.م.أو بعد ذلك بقليل ، لذلك فيجب أن تقع أول سنة فى حكم ماليخوس بين سنتى ٥٨ و٥٧ ق.م. وبالتأكيد عام ٥٦ على أكثر تقدير: Starcky,SBD 909 . لكن ميشورير لم يعثر على عُملة بعد العام الثامن والعشرين من حكمه ، لذلك يفضل أن يكون قد تولى العرش عام ٦٠ ق.م.بعد أن تولى الحكم لفترة قصيرة شخص يدعى عبادة الذى تداخلت فترة حكمه بين الحارث الثالث وماليخوس الأول :(راجع الحاشية رقم ٢٧)ص. ٢٠-٢٨من الكتاب.

(٣٦) راجع : G.W. Bowerscok,Augustus and the Greek World (1965), p.57; Sartre (above,n.1),47-48.

(٣٧) Josephus,AJ 14.128،الذى ذكر قوات من العربية ex Arabias،ولكنه كان فى كتابه حرب الإسكندرية أكثر تحديدًا حيث ذكر (فرسان من قوات ماليخوس ملك الأنباط equites ab rege Nabataeorum Malcho) .Bell.Alex.1.1.

(٣٨) Cassius Dio 48.26.3-5.

(٣٩) عن المناصب التى تولاها هيرود راجع : A.Schalit, König Herodes:Der Mann und sein Werk (1969), ،وهو كتاب لا غنى عنه.

(٤٠) Josephus ,AJ 14.370;BJ 1 246-47.

(٤١) Josephus,AJ 14.374-76;BJ 1 277-79) (عن طريق مصر إلى روما). وعن اعتراف الرومان به ملكًا راجع AJ 14.389;BJ 1.285.

(٤٢) Cassius Dio 48.41.5.

(٤٣) قام سارتر بعقد مقارنة بين الملوك من أمثال أنطيوخوس الكومينى وبطلميوس الخالكى Ptolemaeus of Chalcis ، الذى كان يقدم المساعدة إلى لبيانوس ، Sartre (above,n.I), 47

(٤٤) Cassius Dio 49.41.5.

(٤٥) عن نشيد الفرحة (Nune est bibendum) لمصرع كليوباترا قال الشاعر الرومانى هوراس(*) :"هزم الكابيتول الملكة التى كانت تريد أن تقهره وتنتزع السلطة منه dum

---

(*) كوينتوس هوراتيوس فلاكوس ٦٥-٨ق.م. يسمى بصنَّاجة الرومان ، راجع : عثمان (أحمد) تاريخ الإمبراطورية الرومانية، القاهرة بدون تاريخ ص ٢٤١-٢٥٢ و يعرض الدكتور عثمان وهوأستاذ الأدب اللاتينى فى جامعة القاهرة ، تاريخ الإمبراطورية من خلال كتابات كبار الشعراء الرومان إضافة إلى بعض المؤلفات التاريخية =

Caphtolio / regina (esp.11.6-8) dementis et imperio parabat", Horas,ode 1.37.

(٤٦) Josephus,AJ 15.92 :(طلبت (كليوباترا)من أنطونيوس ليس أقل من مملكتى يهوذا(فلسطين) والعربية ήτει δε παρ' Αντωνίου τήν τε Ιουδαίαν και την των Αράβων ἀξιοῦσα τους βασιλεύοντας αὐτων ἀφλέσθαι.)، و"اعترض أنطونيوس على ذلك قائلاً إن قيامه بهذا العمل ضد الملكين هيرود وماليخوس - اللذين لم يرتكبا أى خطأ - يعد إجراءً - غير عادل - ἐπι δε εκτεινουσα την Πλεονεξίαν επι 'Ιουδαίους και'Αραβας ὑπειργάζετο τους ἑκατέρων βασιλεις Ἡρώδην και Μάλχον ἀναιρεθηναι." راجع BJ I . 360.

(٤٧) Josephus, BJ 1 361 :(وذكر أنطونيوس أنه ليس لديه أى شكوى ضد الملكين Ἀντώνιος το κτεισθαι μεν ἄνδρας ἀγαθους και -βασιλεις τηλικούτους ἀνόσιον ἡγήσατο

(٤٨) Josephus,AJ 15.92.

(٤٩) Josephus,AJ 15,96;BJ 1.361-2

(٥٠) Josephus ,AJ 15.96.-:منحها أجزاء من العربية της τὲ 'Αραβίας τα δοθέντα وعن هباته لأبناء كليوباترا يقول ديون عنها إنها أجزاء من مملكة ماليخوس وبعض أجزاء من إقليم الأيتوريين، وتشير المصادر إلى أجزاء من حوران والليجا .Cassius Dio 49,32.5

(٥١) Plut.,Ant.36.2

(٥٢) راجع المرجع نفسه أعلاه ص. ٢٠-٢١.

(٥٣) Josephus , AJ 15.107.

(٥٤) Josephus, AJ 15 .111;BJ I.365.

(٥٥) Josephus ,AJ 15.110 :"كان هدف كليوباترا أن ينشب النزاع بينهما وينتهى بتدميرهما معًا - ἠξίου γαρ ἡ κλεοπάτρα ταυτα λυσιτελειν αυτή τον ἕτερον ὑπο θατέρου κακως πάσχειν ἡγουμενη" وشرح خطة تنفيذ ذلك قائلا : "حيث إنها قررت اتخاذ الوسائل المناسبة لوضع كل من الحاكم العربى واليهودى فى مواجهة كل منهما

=لسالوستوس وتيتوس ليفيوس خلال القرنين الأول قبل وبعد الميلاد. وعلى الرغم من أنه كتاب أدبى فإنه يقدم للقارئ صورة جيدة عن أوضاع الإمبراطورية الرومانية خلال تلك الحقبة . (المترجمة)

ἵν ἤ κρατήσαντος Αραβίας ἤ κρατηθέντος Ἰουδαίας γένηται الآخر
."δεσπότις και θατέρω των δυναστων καταλύση τον έτερον
راجع:Josephus,BJ I.365

(٥٦) Josephus, AJ 15.111;BJ 1 . 366.

(٥٧) Josephus ,AJ 25.112:BJ 1 . 366.

(٥٨) Josephus, AJ 15.115-16;BJ 1.367-368.

(٥٩) Josephus, AJ 15.124;:BJ 1.371.

(٦٠) Josephus, AJ 1 15 .147-52;BJ 1.380-81 .for ltmw ,see Cantineau (above,n.27), p.63.

(٦١) Josephus, AJ 15. 159 (لكى يصبحوا أنصارهم προστάτης του 'έθνους).

(٦٢) Josephus,AJ 15. 164;BJ 1.433.

(٦٣) Josephus, AJ 15.172.

(٦٤) Plut.,Ant.69.3 .ويذكر كاسيوس ديو أن كوينتوس ديديوس ،حاكم سوريا حرض العرب على حرق السفن .Cassius Dio 51.7.1

(٦٥) Josephus, AJ 15.193.Cf BJ 1.390

الفصل الرابع

المرحلة المبكرة من حكم المواطن الأول

The Early Principate

قام قيصر أغسطس المواطن الأول Princeps ، في أقل قليلاً من أربعة عقود بوضع أسس الإمبراطورية الرومانية، وعلى الرغم من إعلانه المبكر عن عزمه على إصلاح الجمهورية، فإنه قام بتنظيم إدارة أملاك روما ليضمن احتكار السلطة لنفسه ولخلفائه المعينين . إن التعديلات أو إعادة التشكيل الخطيرة التي حدثت في نظام الحكومة الرومانية في هذه المرحلة شملت كل جزء من عالم البحر المتوسط ومناطق عديدة تقع خلفه؛ إذ تأثرت منطقة الشرق الأدنى وعلى وجه الخصوص كل من مملكتي يهوذا (فلسطين) والعربية تأثراً كبيراً بالتغيرات الجديدة . لم يكن أغسطس يعرف في البداية ماالذي يريد أن يقوم به على وجه التحديد في تلك المناطق ؛ ولذا كان يتحرك في هذا الموضوع مثل غيره من الموضوعات بعلاج الأزمات والاستفادة من الظروف التي واجهته للخروج منها بأفضل النتائج لصالح مُخطط السيطرة على السلطة الذي وضعه سلفه الكبير (يوليوس قيصر) ، وعند وفاته عام ١٤ ميلادية لم تعد يهوذا (فلسطين) مملكة تابعة ، بل غدت ولاية في الإمبراطورية الرومانية يديرها مشرف مالي Procurator ، بينما دخلت العربية في عصر ذهبي للحضارة النبطية بزعامة حاكمها المُعمّر الحارث الرابع "حبيب شعبة"(١).

إن دورة الأحداث ، التي أُلحقت بها يهوذا(فلسطين) بالإمبراطورية الرومانية بدأت في إغلاق الفجوة في الركن الجنوبي الشرقي من البحر المتوسط ، بينما قدم تألق حكم الحارث (الرابع) فرصة الاستقرار إلى مملكة الأنباط المجاورة ، وكان من الصعب

التكهن بهذه المنجزات فى المرحلة المبكرة من حكم المواطن الأول عام ٢٧ ق.م. عندما حصل أوكتافيان من السناتو على لقب أغسطس(*) . فى ذلك الوقت كان قد قَبِل ولاء الملك الأدومى Idumaean ذو الهمة والطموح هيرود ملكًا على اليهود[٢]، وعلى العكس من ذلك لم يحصل ماليخوس الذى سعى إلى تقديم مساعدته ، وقام بتدمير سفن كليوباترا ، على أى مكافأة ، ويبدو أنه توفى بعد فترة قصيرة من مصرع كليوباترا . وكان خليفته حاكمًا ضعيفًا ، يحمل الاسم الملكى عُبادة ، ويصنف فى الدراسات الحديثة على أنه عُبادة الثانى أو الثالث (على أساس ما إذا تم الاعتراف بالملك الذى يسمى بالاسم نفسه والذى كان موجودًا فى الستينات من القرن الأول ق.م)[٣]. كان الاحتمال المرجح فى عام ٢٧ ق.م. أن مملكة اليهود سوف تستمر ، أما الوضع بالنسبة للعرب فكان على العكس من ذلك . حتى أغسطس لم يكن يتوقع التغيير الكامل فى موازين القوى على جانبى الأردن ، الذى سوف يئول الأمر إليه فى نهاية حكمه الطويل .

أظهر أغسطس فى الطور المبكر لحكومته اهتمامًا كبيرًا بالتوسع الإمبراطورى . لقد امتدحه الشعراء بالإيعاز له بتكثيف الحروب ، وتقف الحملات العسكرية عند أقصى الحدود شاهد عيان على أهداف الإمبراطور[٤] . كانت جيوش روما تتقدم بسرعة فى شمال غرب أسبانيا وعلى طول الراين والدانوب . ففى ولاية مصر التى تم الاستيلاء عليها حديثًا كانت الفرق الرومانية تتجه إلى الجنوب ضد الأثيوبيين (مملكة كوش جنوب مصر) (**) . ولم يكن مفاجئًا فى هذه المرحلة من التوسع أن ينتهز أغسطس الفرصة ليضع العربية فى اعتباره ، وحتى قبل أن يصدر أوامره إلى والى مصر بالتحرك فى أواخر العشرينيات ضد أثيوبيا (كوش) ، قام بإصدار أوامره إلى أيليوس

(*) يعنى اللقب " صاحب الجلالة ، صاحب القداسة" منحه السناتو لأول مرة إلى أوكتافيان بمناسبة فتح مصر Aegypto Capta فى الشهر السادس من السنة الرومانية القديمة الذى تغير اسمه إلى شهر أغسطس بعد ذلك. (المترجمة) .

(**) سجل جايوس كورنيليوس جاللوس C. Gallus G. أول والى رومانى على مصر على نقش عُثر عليه

جاللوس Aelius Gallus واليه (على مصر) ، بالإعداد لحملة لإرسالها إلى شبه الجزيرة العربية ، وتم هذا المشروع الجرىء فى حوالى عام ٢٦ ق. م. ، بمساعدة حوالى ألف (١٠٠٠) رجل من الأنباط وخمسمائة (٥٠٠) رجل من اليهود(٥).

لم تكن مملكة الأنباط هى هدف الحملة (والتى أصبح الرومان يشيرون إليها ببساطة بالعربية Arabia) ولكن كان هدفها مملكة السبأيين التى تقع فى الركن الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية ، والمعروفة باسم بلاد العرب السعيدة Arabia Felix ، كان السبأيون قد تمكنوا من تحقيق قدر كبير من الثروة من تجارة الطيوب والتوابل التى تنتجها بلادهم وذلك القادمة من بلاد الشرق.

قام هذا الشعب بنقل البضائع الثمينة إلى الأنباط عبر الطريق البرى إلى البحر المتوسط ، وبفضل اكتشاف الرياح الموسمية أصبح يتم بالفعل منذ فترة نقل جزء من تجارة الطيوب والتوابل مباشرة من الهند عبر البحر الأحمر إلى الموانئ الواقعة على السواحل الشرقية لمصر(٦). هذا على الرغم من أن الأنباط كانوا لا يزالون يسيطرون بنجاح كبير على طرقهم البرية، ومن الواضح أن أغسطس كان يهدف فى أواسط العشرينات (من القرن الأول ق.م.) إلى الحصول على نوع من المشاركة مع السبأيين فى تجارتهم التى يعتمدون فى مرورها على كل من المصريين والأنباط.

كان الجغرافى استرابون صديقًا شخصيًا لقائد الحملة العربية أوليوس جاللوس ، وحرص على ترك تقرير تفصيلى عنها ، وكانت وجهة نظر استرابون أن أغسطس كان

= فى جزيرة فيلة Philae (أنس الوجود جنوب أسوان)، أنه بعد أن قاد الجيش - الرومانى - إلى ما وراء جندل النيل ، وهو مكان لم تبلغه القوات الرومانية من قبل أو ملوك مصر ، وأخضع طيبة مصدر الذعر لجميع الملوك ، واستمع إلى سفراء ملك الأثيوبيين عند فيلة ، وقبل ذلك الملك تحت الحماية ، وعينه حاكمًا على منطقة ترياكنتا سخوينوس أى منطقة الثلاثين سخوينوس (وهو مقياس طولى إغريقى). قدم هذا النُصب هدية للآلهة الوطنية وللنيل الذى ساعده"راجع : الربى (آمال) ، مصر فى عصر الرومان ص٥٧-٥٩ ؛ وعن حملة ثالث والى رومانى على مصر ضد الأثيوبيين (الكوشيين) ، راجع: ص٦١-٦٢ .

يتوقع من الحملة أن تكون مثمرة بالنسبة للرومان، إما بإرغام السبأيين الأثرياء على أن يصبحوا حلفاء للرومان ، أو بإحراز النصر تماماً على منطقتهم[٧]، ولكن حملة جاللوس تحولت إلى كارثة مخيفة، ولم يرغب استرابون فى إلقاء اللوم على صديقه وولى نعمته ، ولكنه وجد فى الوزير النبطى سيلايوس Syllaeus (صالح) وزير عبادة كبش الفداء [٨]، والذى خدم كدليل محلى للقوة الرومانية ، لأنه قادهم عبر طريق صعب إلى ضواحى عاصمة السبأيين ، وألقى استرابون اللوم عليه ليس فقط بسبب اختيارالطريق الذى أضنى الجيش الرومانى ، ولكن لأنه أحضر القوات الرومانية أيضاً عبر مصر إلى ميناء ليوكى كومى Leuke kome (القرية البيضاء) فى الحجاز[٩]. وبصرف النظر عن اعتراض استرابون (على سيلايوس) ، فمن المؤكد أن إحضار جيش رومانى إلى البتراء ، ثم متابعة السير بعد ذلك عبر الأراضى الوعرة فى الحَسمى Hisma إلى داخل الحجاز يُعد عملاً غبياً، ويمكن أن يضاف إلى ذلك أنه ربما لم يكن هناك طريق يصل إلى عاصمة السبأيين عبر منطقة ظروفها مناسبة يستطيع أن يتحملها الجنود الرومان ، وتشير الأحداث التالية فى تاريخ الأنباط أن سيلايوس كان شخصاً مستهتراً طموحاً وقاسياً ، ولاشك أن استرابون كان يعرف ذلك ، لهذا السبب كان يرى قابلية هذه الشخصية فى أن تكون مخربة فى جيش أيليوس ، وعلى الرغم من ذلك ، فإنه لا يوجد فى الأحداث التى وقعت ما يرجح قيام سيلايوس بهذا الدور[١٠].

وعلى العكس من ذلك فعندما غادرت الحملة ليوكى كومى واتجهت إلى الداخل أمضى جاللوس ورجاله أياماً عديدة فى ضيافة أحد أقارب ملك الأنباط ، وحمل هذا الشخص الاسم الملكى الحارث Aretas ويبدو أنه كان يقيم فى منطقة ما تقع بين مدائن صالح Mada'in Salih والمدينة Medina [١١]، وقُدر لهذه المنطقة أن تغدو جزءاً مهماً من مملكة الأنباط فى العقود القادمة ، ويبدو أنها كانت تُعد محطة تقدم خدماتها للتجار الأنباط الذين يقومون بنقل البضائع التى يقوم السبأيين بإحضارها إليها ، ويبدو أن سيلايوس وزير عُبادة ، لم يستطع أن يقدم للقوات التى أصبحت تحت مسئوليته إلا أفضل طرق العرب فى الضيافة والتى قدمها أحد أفراد الاسرة الملكية ، وبالفعل يبدو أن الرومان قد استعانوا بالمرشد النبطى من أجل القيام بمثل هذه الاتصالات .

عندما اقتربت الحملة الرومانية من العاصمة السبأية مأرب أقاموا معسكراً في منطقة تعرف باسم الجوف Jawf في اليمن في مكان يسمى أثلولا Athloula[١٢]، ومثّل هذا المعسكر لفترة متأخرة حتى بداية القرن الثالث الميلادى أقصى نقطة وصل إليها تغلغل النفوذ الرومانى فى الشرق ، وهناك جزء صغير من نقش مُسجل عليه باليونانية واللاتينية عُثر عليه فى منطقة أثلولا يعد بمثابة أول دليل مادى على وجود الرومان هناك [١٣].

سارعت قوات جاللوس من أثلولا فى طريقها إلى مأرب Marib على أمل القيام بحصارها للاستيلاء عليها، وسرعان ما خاب أملها بسبب نقص المياه ، الذى أرغمهم على رفع الحصار عنها والعودة من حيث جاءوا[١٤]، وعند عودتهم إلى الحجاز التى كانت جزءاً من مملكة الأنباط، وصلت القوات الرومانية إلى البحر عند مدينة أُطلق استرابون عليها اسم إجرا Egra [١٥]، ويبدو أنها كانت بمثابة ميناء لمدينة مشهورة فى الداخل كانت تسمى إجرا (أو هيجرا Hegra) فى العصر القديم وتعرف اليوم باسم مدائن صالح ، وركب الرومان سفينة من الساحل لرحلة العودة إلى مصر. كانت العملية بأكملها تمثل فضيحة للغزاة. أما بالنسبة إلى العرب ، فلاشك أن كل من السبأيين والأنباط شعروا بقدر من الراحة ، إن لم يكن بالسرور فعلاً ، وإذا كان هناك أى عربى شارك جاللوس ندمه على ما آل إليه أمر الحملة فإن سيلايوس كان أكثرهم احتمالاً - على الرغم مما زعمه استرابون- لأنه كان يتوقع ترقية كبيرة من الرومان كنتيجة مباشرة لأى نجاح فى شبه الجزيرة العربية . كان واضحاً فى المراحل الأخيرة من العصر الجمهورى أنه إذا كان ثمة فرد يرغب فى الحصول على ترقية فى بلاده ، كان فى إمكانه ضمان ذلك بالقيام بخدمة للرومان فى الخارج ، ومن خلال الحقيقة المؤكدة المتمثلة فى عدم قيام أغسطس باتخاذ أى خطوات ضد الأنباط بعد فشل حملة جاللوس ، فمن المنطقى أن نستدل منها على أنه لم يعتبرهم مسئولين عنها إذ وجه أغسطس اهتمامه ببساطة إلى منطقة أخرى يمكن لوالى مصر القيام منها بإعداد حملة رومانية لغزو أثيوبيا (كوش)[١٦].

كانت المشكلة الرئيسية التى اهتم بها الأنباط تتمثل فى اتساع نفوذ هيرود فى مملكة يهوذا (فلسطين) الواقعة فى الغرب من بلادهم . عرف هيرود فى السنوات المبكرة فى عهد الحكومة الثلاثية أهمية المنطقة المتقاطعة من المنطقة الوعرة من الإقليم ، والتى ابتليت بالعصابات ، والواقعة فى الأطراف الشمالية من الأقاليم النبطية ، وهى منطقة جبل الدروز والمنطقة المحيطة به ، والتى كونت جزءاً من أملاك لايسانياس Lysanias قبل أن يرحل عنها وتصبح إحدى هدايا أنطونيوس التى قدمها إلى كليوباترا، وبعد هزيمة أنطونيوس أعاد نصر أكتيوم الأقاليم التى تم تحريرها مجدداً إلى زينودورس Zenodorus بن لايسانياس ، وقام الأخير بعرضها للبيع [١٧]. قام الأنباط الذين كانوا يقيمون فى هذه المناطق ويدركون قيمتها الاستراتيجية للسيطرة عليهم بشرائها ودفع ثمنها إلى زينودورس، ولكنهم لم يهتموا بالحصول على اعتراف الرومان رسمياً بأنها ضمن ممتلكاتهم ؛ لذلك تمكن هيرود الذى كان يعرف قيمة هذه المنطقة بالنسبة لتأمين الركن الشمالى ليهوذا (فلسطين) بامتلاكها كهدية من أغسطس له [١٨]، وقام أغسطس بعد ذلك بتوسيع أملاك هيرود فيها بعد موت زينودورس عام ٢٠ ق.م، وأصبحت تشمل كل منطقة الجولان [١٩]. وأدى ذلك إلى قيام منطقة حامية buffer zone يهودية بين سوريا وعربية الأنباط ، ولاشك أن ذلك تسبب فى إحراج بلاط عُبادة .

إذا كان عُبادة عاجزاً عن اتخاذ أى إجراء حول كل ذلك الموضوع ، فإن الوضع كان مختلفاً بالنسبة إلى سيلايوس ، الذى كان يفهم مصادر قوة روما فى الشرق الأدنى . وكان التظاهر بالإخلاص هو أحد تلك الوسائل ، والزواج الأسرى هو الوسيلة الأخرى . كان هيرود فضلاً عن ذلك ينحدر من نسل مشترك بين إحدى نبيلات الأنباط وأنتيباتير الهاشمونى ، ولم يفعل سيلايوس شيئاً أكثر من طلب الزواج من سالومى أخت هيرود المشهورة بسوء السلوك [٢٠]، وظهر سيلايوس من خلال جميع المصادر وسيماً وذو شخصية، ورحبت سالومى بهذا الزواج ، ولكن هيرود لم يوافق عليه لأنه كان يدرك جميع النتائج السياسية التى ستترتب عليه ، وأنهى قصة الحب الرومانسية بين العرب واليهود بتزويج أخته من شخص مغمور يدعى الكساس Alexas [٢١] .

خلال تلك الأحداث العاطفية ، كان سيلايوس يحفر لغمًا لهيرود فى الأقاليم الجديدة التى آلت إليه على طول الجبهة الشمالية لملكة الأنباط ، وفى عام ١٢ ق. م. وعندما كان هيرود فى الخارج يتذلل لاستجداء تأييد الرومان له ، خرج سكان منطقة الليجا من الكهوف التى يعيشون فيها وقاموا بالثورة ضد الملك اليهودى ، وتمكن ضباط الملك من وضع حد للثورة ، وفر نحو أربعين قائداً من الثوار ووجدوا مأوى لهم لدى الأنباط [٢٢]. واستقبلهم سيلايوس بحرارة ومنحهم قاعدة يُمكنهم منها القيام بعمليات الغزو التخريبية داخل يهوذا (فلسطين)، ونتج عن تشجيع سيلايوس المُتعمد لعصابات الليجا المدربة أن تحرك الملك اليهودى مرة أخرى طالبًا تدخل السلطات الرومانية ، وتقدم بشكوى رسمية إلى حاكم سوريا سنتيوس ساتورنينوس Q. Sentius Saturninus . وفى عام ٩ ق.م. سارع ساتورنينوس بمساعدة هيرود [٢٣]. وقرر سيلايوس، الذى كان متمرساً مثله مثل هيرود فى استغلال الرومان ، الذهاب بنفسه إلى روما لمقابلة أغسطس ، فى الوقت الذى كان يقوم فيه هيرود بشن حملة تأديبية على بلاد الأنباط حتى يتمكن من السيطرة على تلك القاعدة التى شيد فيها زعماء العصابات قاعدة لهم ، وتمخض الصراع بين الأنباط واليهود عن القضاء على ناكيبوس Nakebos (nqybw) قائد الأنباط والقضاء على عدد من قواته [٢٤].

عندما وصل سيلايوس إلى روما استطاع تقديم عرض مثير للقضية نيابة عن شعبه ، وتحدث عن مصرع حوالى (٢٥٠٠) نبطى خلال غزو هيرود لبلاده ، والتى يبدو أنه قام بها دون موافقة الرومان [٢٥]، وتمكن سيلايوس أن يتفوق على هيرود فى لعبته، ولاشك أن هذه الخطوة شجعته على التطلع لكى يصبح الملك التالى على الأنباط .

وفى الحقيقة توفى الملك عُبادة فى شتاء عام ٩-٨ ق.م أثناء وجود سيلايوس فى روما ، وطبقًا لما ذكره يوسيفوس انتقلت السلطة إلى شخص يدعى أينياس Aeneas ، وقام بتغيير اسمه بعد إعلانه ملكًا إلى الحارث [٢٦]. وأيًا ما كان الاسم

النبطى الذى يمثله الاسم اليونانى الذى يذكره يوسيفوس ، فمن الواضح أن الحارث الجديد لم يكن ينحدر مباشرة من الأسرة الملكية ، ولكن الأمر الذى لاشك فيه أن اسم أينياس لم يكن من بين أسماء العائلة النبطية المالكة ، ويرجح أحد النقوش التى تم كشفها حديثًا أن الحارث المذكور كان ينتمى بطريقة ما إلى العائلة المالكة عن طريق الملك عبادة الذى خلف ماليخوس(٢٧). استاء سيلايوس مما حدث من أمر تولى العرش فى مملكة الأنباط وفى الوقت نفسه كان الملك الجديد يخشاه ، ويمكن رؤية ذلك من المكيدة التى دبرها الحارث عندما أرسل خطابًا إلى أغسطس للنيل من سيلايوس يتهم فيه الوزير السابق بارتكاب عدة جرائم (٢٨). وكان أخطر التهم اتهامه بقتل عُبادة نفسه بدس السم له. قابل أغسطس تولى الحارث الحكم بالاستياء ليس فقط لإعجابه الشديد بسلايوس، ولكن أيضًا لأن الحارث لم يحصل على موافقة روما على توليه العرش (٢٩).

ومن سخرية الأقدار أن اليهودى نيكولاوس الدمشقى Nicolaus of Damascus محامى هيرود كان هو المسئول الأخير عن قرار أغسطس بالمصادقة على تثبيت الحارث على عرشه، وتمكن نيكولاوس عن طريق إضعاف حجة شهادة سيلايوس أمام الإمبراطور أن يجعل الأخير يقف فى صف هيرود (٣٠)، واقتنع أغسطس بأن تشخيص الحارث لسيلايوس لم يكن بعيدًا عن الحقيقة . وفى الجانب الآخر كان لايزال غاضبًا من الملك الجديد لعدم التماسه موافقة الرومان ، وفكر بجدية فى إعطاء هيرود كل مملكة العربية، ولكن مثل هذه الخطوة كانت ستؤدى حتمًا إلى مضاعفة حجم مملكة اليهود، كما أنها كانت ستؤدى إلى توحيد جانبى الأردن اللذين ظل التنافس قائمًا بينهما لفترة طويلة ، ولكن أغسطس اضطر إلى الاعتراف بأن الاضطراب الداخلى فى بلاط هيرود يجعل من إضافة مثل هذه المسئولية الجسيمة عليه إلى جانب ما لديه يعد خطوة غير حكيمة . من أجل ذلك السبب ، قام أغسطس بتنصيب الملك الحارث بدون تحمس له ، ويُعرف لدى المؤرخين المعاصرين بالملك الرابع الذى حمل هذا الاسم خلال حكمه للأنباط (٣١).

عاد سيلايوس إلى البتراء غاضباً يبتلع مرارة خيبة الأمل ، ويبدو أنه انخرط في حملة من الاغتيالات السياسية ، وقيل إنه قام بالقضاء على عدد من نبلاء الأنباط ، وأنه حاول اغتيال هيرود نفسه [٣٢]، ونتيجة لشكاوى أخرى قدمها ضده ساتورنينوس الذى كان لايزال حاكمًا على سوريا ، عاد سيلايوس إلى روما في محاولة منه في الحصول مجدداً على دعم أغسطس ، كان ذلك في عام ٦ ق. م.وليس لدينا أى معلومات عن التأثير الذى تركه سيلايوس على أغسطس خلال زيارته الثانية . وكل المعلومات التى لدينا تنحصر فى أنه خلال الفترة الثانية – والتى من المحتمل أنها لم تكن فترة طويلة – تم إعدامه بقطع رأسه طبقًا لأوامر الإمبراطور الرومانى [٣٣]. وكان استرابون سعيداً بهذا الحكم لاعتقاده أنه كان العقاب المناسب له لتسببه في فشل حملة أيليوس جاللوس منذ عدة عقود سابقة[٣٤] ، لكن يبدو أن ثمة أحداثًا جديدة وقعت في العربية كانت السبب في اتهام سيلايوس . كان لدى سيلايوس الحق عندما اعتقد خلال زيارته الأولى إلى روما أنه شخصية دولية مهمة ؛ فقد قام بتنصيب نقشين ، كُتب كل منهما باللغة النبطية واليونانية ، وتم تكريسهما للإله الرئيسى للأنباط دو شَارا Du-shara أو دوشَرِى (Dousares) ، قُدمَت هذه النُصب للابتهال إلى الإله والتماس منح الملك عبادة الصحة الجيدة ، ووصف سيلايوس في هذين النصين بأنه شقيق الملك ، مؤكداً ما ذكره استرابون أن الوزراء الرئيسيين عند الملك كانوا يعرفون بأنهم أشقاؤه[٣٥].

واجه أغسطس أزمة كبيرة فى سياسة الشرق الأدنى عندما مات هيرود بعد ذلك بفترة قصيرة فى ربيع عام ٤ق.م. فهو لم يكن راضيًا عن الوضع فى مملكة الأنباط أثناء حكم الحارث ، كما أنه لم يكن لديه ثقة فى مجموعة أقارب هيرود الذين أوصى لهم بخلافته على مختلف الأجزاء من مملكته . إن تعدد ورثة هيرود الأربعة كان لايؤمِّن الاستقرار فى يهوذا(فلسطين) ، كما أن الملك النبطى القائم على العرش لم يكن لديه سبب يجعله يشعر بامتنان تجاه أغسطس . أما المصادر الأدبية فكانت شحيحة ويرثى لها فى هذه الفترة الفاصلة من عام ٤ق.م. وُفقد ماكان يتحدث عنه المؤرخ

كاسيوس ديون Cassius Dio في روايته التاريخية عن هذه الفترة ، فيما عدا ما ذكر في الملخصات التى تعتبر غير وافية . أما كتابات يوسيفوس فهى لم تعُد تعتمد على الرواية التفصيلية التى يرويها نيكولاوس الدمشقى ، ولذلك فهى أقل معرفة عن العلاقات بين اليهود والعرب ، ولكن لدينا مصدرًا واحدًا ربما يُمكن عن طريقه إلقاء بعض الضوء على هذه الفترة المظلمة .

ذكر استرابون بوضوح فى عبارة كثيراً ما أُهمل التحقق منها ، أن الأنباط فى أيامه ، مثلهم فى ذلك مثل السوريين، كانوا خاضعين للرومان فى عهده (δε) ٧٧٧ أى فى عهد أغسطس- [٣٦]. وذكر هذه العبارة مرتبطة بملاحظته عندما قام الأنباط بهجومهم داخل سوريا ، وقبل خضوعهم للحكم الرومانى ، وتعنى عبارة استرابون أمراً واحداً ؛ أن إقليم الأنباط كان يُعد فى أثناء تلك الفترة التى يتحدث عنها ولاية رومانية ، على الرغم من أن المعروف جيداً أن الحارث الرابع حكم حوالى ٤٩ عامًا بنجاح كبير ، ولم تكن مملكة الأنباط قد أصبحت بعد ولايةً رومانية حتى عصرالإمبراطور تراجان. ولهذا السبب يجب أن ينظر إلى ما ذكره استرابون وما لاحظه فى ضوء احتمالات أخرى أكثر من أن تعد ببساطة خطأً كبيراً ، ويجب أن نتساءل ما إذا كان تم إلحاق مملكة الحارث بالفعل بالإمبراطورية لفترة قصيرة ثم عادت مرة أخرى كمملكة تابعة لروما . إن حالات إلحاق الممالك ثم إعادتها إلى حالتها الأولى مرة أخرى لم يكن أمراً استثنائيًا فى التاريخ الرومانى [٣٧].

المعروف أن استرابون كان يعمل فى جغرافيته Geography حتى أواخر عام ٣-٢ق.م. ويبدو أنه هجر مشروعه حتى عصر الإمبراطور تيبريوس Tiberius[٣٨] . ومن المحتمل أنه فى هذه المرحلة المتأخرة من حياته ، عانى فى سبيل إدخال عدد من الأحداث المعاصرة ، ويبدو من جانب آخر أنه لم يقم بإجراء تعديل على ما كتبه من قبل ، وباختصار فإلى جانب ماهو واضح من إقحام فترة تيبريوس فإن ماهو موجود فى جغرافيته يمثل جمود شئون الدولة عام ٣-٢ ق.م. ومن المؤكد أن الإشارة إلى الأنباط كخاضعين للرومان لا يمكن أن تكون واحدة من الإضافات التى أضافها فى

عصر تيبريوس، حيث إن العملة التى أصدرها الحارث تؤكد دون شك وجوده كملك خلال عصر تيبريوس [٣٩]، ولذلك يجب علينا اعتبار احتمال وجود ولاية العربية أمراً قائماً حوالى عام ٣ق.م. وهى بالتحديد فترة الأزمة التى أعقبت موت هيرود ، ولم يترك يوسيفوس لدينا شكاً أن أغسطس قرر فى النهاية قبول وصية هيرود ، واعتبر أن ابنه وإخوته كمدراء على الأجزاء المختلفة لمملكة هيرود ، ولم يكن لدى أغسطس ثقة كبيرة فى تلك الترتيبات ، ولذلك سيكون لديه سبب وجيه فى القيام بإلحاق الجانب الشرقى من الأردن فى وحدة واحدة ، على الأقل فى الجزء الجنوبى الشرقى من البحر المتوسط ، وكانت كراهيته للحارث تشجعه على القيام بخطوة ضمها إلى الإمبراطورية الرومانية .

إن مثل هذا التفسير لما أوضحه استرابون ، والتغيير الكلى الذى حدث فى مسألة تبعية الأنباط وجد له تأكيداً لافتًا للنظر فى قطع وفيرة من العملة التى تخص الحارث نفسه . لقد حكم ذلك الملك من عام ٨ ق. م. حتى عام ٤٠ ميلادية وله أشهر صورة وجه على العملة النبطية فى تاريخ المملكة ، فمن بين كل عشر قطع من العملة النبطية يوجد من بينها فى المتوسط ثمانى قطع خاصة بالحارث الرابع [٤٠]. وتمثل هذه العملة جميع مراحل حكم الحارث ، ولكن لدينا ملحوظة واحدة فقط ، فلا يوجد هناك أى عملة خاصة بالملك الحارث فى عام ٣،٢،١ ق.م. أى أن هناك فجوة لثلاث سنوات فى عملة الحارث ، وعلى الرغم من ملاحظة ذلك ، فإنه لم يتم تفسيرها [٤١]. ربما لا يوجد تفسير لذلك على الإطلاق ، لأن العدد الأكبر الباقى من مجموعة عملة هذا الملك لا تمثل جميع سنوات حكمه الأخرى ، وعلى ذلك يمكن استخدام هذه العملة كدليل على وجود فترة انقطاع فى حكم الحارث خلال المدة من عام ٣ إلى عام ١ ق.م.

ولدينا المزيد الذى يمكن أن يقال فى تدعيم إشارة إنشاء أغسطس لولاية عربية لفترة قصيرة بعد الموافقة على وصية هيرود . فعندما أُرسل جايوس قيصر – حفيد الإمبراطور – إلى الشرق مع عدد من بعثات الحكومة الرومانية ، كان يوجد من بينهم وفد عربى expeditio Arabica[٤٢]. ولإعداد الأمير للمواجهه مع العرب ، قام

جوبا Juba ملك موريتانيا Mauretania الأديب بتجهيز رسالة بليغة(٤٣) ، ويتضح مما ذكره بليني Pliny الكبير، توغل جايوس وقواته بالسير مسافة طويلة حتى بلغ خليج العقبة(٤٤). ويترك نقش النصب التذكارى الذى أقيم لجايوس فى بيزا Pisa قليلاً من الشك حول وقوع هذه الحملة فى عام (١) ميلادية (٤٥)، قبل أن ينطلق جايوس إلى أرمينيا ، التى وصل إليها وأصيب فيها بجرح كلفه حياته .

بدأت عُملة الحارث فى عام واحد بعد الميلاد فى الظهور من جديد بعد فترة انقطاع بلغت ثلاث سنوات ، ومن المحتمل حينئذ أنه نتيجة لحملة جايوس على العربية عادت مملكة الأنباط من جديد تستأنف وجودها تحت رعاية روما ، وأعيد الحارث الرابع إلى العرش ، ومن الطبيعى أن يواصل الحارث حساب سنين حكمه منذ ولاية العرش عام ٨ق.م. إن حملة جايوس إلى العربية يجب النظر إليها بالارتباط بالانقطاع الذى حدث لمدة ثلاث سنوات فى العملة النبطية ، وهى الطريقة التى يمكن أن تمدنا بتفسير لما ذكره استرابون عن خضوع الأنباط للرومان فى الوقت الذى كان يقوم فيه بالكتابة .

أصبح من الممكن فى الوقت الذى قرر الرومان استمرار حكم الحارث كملك تابع ، أن تولى اهتمامًا أكبر للأوضاع غير المستقرة فى يهوذا (فلسطين) التى كان قد تم تقسيمها بين ورثة هيرود الأربعة . ودارت المناقشات السابقة حول فرضية أن الترتيبات الأولى التى اتخذها أغسطس بعد موت هيرود تمثلت فى استمرار بقاء الوضع فى يهوذا (فلسطين) فى الأيدى الوطنية ، مع إلحاق العربية على الجانب الآخر من الأردن بالامبراطورية ، أما الآن وقد شعر أغسطس أنه أصبح مُطلق السراح فإنه قام بإلحاق يهوذا(فلسطين) بالإمبراطورية . ففى عام ٦م، سُلبت سلطة الحكام الأربعة ، وظهرت للوجود ولاية يهوذا(فلسطين)، وأصبحت تُحكم من قبل حاكم من طبقة الفرسان procu- rator تقوم روما بتعيينه (٤٦)، وأصبح الحارث الآن واثقًا من مساعدة الرومان له ، لذلك قام بتطوير بلاده على نحو غير مسبوق .

إن مستوطنة الأنباط فى مدائن صالح (هيجرا) أو (إجرا) بالقرب من الميناء والتى وجدتها قوات إيليوس جاللوس فى أيدى أحد أقارب ملك الأنباط ، يبدو أنها تحولت عن قصد لتصبح إحدى مدن الأنباط الكبرى فى الوقت نفسه الذى كان الحارث يعانى من مشاكله فى بلاط أغسطس.إن المقابر الصخرية التى مازالت موجودة فى تلك المدينة والتى يمكن بوضوح مقارنتها بالمقابر الصخرية المناظرة لها فى البتراء ، تحمل فى أغلب الأحيان نقوشاً تسمح بتأريخ هذه الآثار العظيمة ، وتنتمى كلها إلى القرن الأول الميلادى ، والغالبية منها تعود إلى النصف الأول من ذلك القرن، ويرجع النقش الأول إلى عام ١ق.م. (٤٧). إن نمو مدائن صالح الفجائى فى ذلك التاريخ يقودنا إلى الافتراض بقيام الحارث بإرسال مستوطنين إلى هناك لإنشاء قاعدة يمكن التقهقر إليها فى الحجاز إذا أصر الرومان على التشبث باستيلائهم على منطقة شرق الأردن ، إضافة إلى ذلك فإن خاصية المكان العسكرية فى الحجاز تتضح من العدد الكبير غير العادى من الضباط من بين الموتى الذين تم دفنهم فى المقابر. وتم استعارة أغلب الألقاب من المصطلحات الإغريقية والرومانية ، وكان من الواضح إطلاق الأنباط هذه الألقاب على ضباطهم . وأظهرت مقابر مدائن صالح عدة ألقاب مثل القادة العسكريين strategoi ، وكان من بينهم فرسان hipparchs ، وحاملو الرماح chiliarch وقائد مائة centurion(٤٨) .

ولدينا نقوش من واحة الجوف Jauf الواقعة فى الصحراء على الحافة الجنوبية لوادى سرحان توضح وجود عدد من ضباط الجيش مما يرجح وجود معسكر حربى هناك (٤٩)، وليس مستبعداً أن توسع الأنباط فى الظهور فى الجوف كان مرتبطاً بجهود الحارث فى توطيد مركز الأنباط خارج منطقة شرق الأردن خلال منتصف عصر المواطن الأول لأغسطس، وكانت الجوف مثلها مثل مدائن صالح ، من الصعوبة بمكان أن يتمكن الرومان من الاستيلاء عليها ، وقد لاحظ بلينى الكبير أن جايوس اختبر فقط موضوع شبه الجزيرة العربية ، ولكنه لم يحاول الدخول فيها(٥٠). وإنما استدار عائداً إلى العقبة ، ومما لاشك فيه أنه لم يكن لديه الرغبة فى تكرار الخطأ الذى وقع فيها إيليوس جاللوس .

مصادر الفصل الرابع

(١) كثيرًا ما كان يذكر اسم الملك الحارث الرابع مصحوبًا بكلمة "المُحب لشعبه rhm mh" على العملة والنقوش؛ راجع : Y.Meshorer Nabataean Coins, Qedem 3, Monographs of the Institite of Archaeology, Jerusalem (1975), pp.43 ff

(٢) بخصوص الادعاء بمساندة هيرود الأكبر للرومان والإغريق ينبغى الرجوع قبل كل شىء إلى :. A.Schalit,König Herodes:Der Mann und sein Werk(1969).

(٣) راجع ص. ٣٤ من الكتاب وأيضًا Meshorer(above,n.1).p.28.

(٤) Cf.H.D.Meyer, Die Aussenpolitik des Augustus und die augusteische Dichtung(1961), with the review by P. A Brunt,JRS 53(1963),170-76

(٥) عن هذه الحملة راجع : Dihle,Umstrittene Daten(1965),pp .80- 84, &S. Jameson, JRS 58(1968),71-84., ويقترح جامسن أن العمليات العسكرية استغرقت الفترة من ربيع أو صيف عام ٢٦حتى خريف عام ٢٥.

(٦) عن اكتشاف الرياح الموسمية وارتباطها بشخص يدعى هيبالوس، راجع Periplus of the Red Sea 57.Cf. Pliny.NH 6.84,for which A.Dihle (above,n.5), p.27. n.24.وقام راشك بالتعليق على الموضوع فى : M.Raschke,ANRW II.9.2 (1978), 660-63. راجع أيضًا ص ٤٥، الحاشية رقم ٣٣أعلاه من الكتاب .وعن المشاكل التى تسببها الرياح الموسمية للرحلة من وإلى الهند، راجع L. Casson ,TAPA 110(1980),31-35.

(٧) Srtabo 16.4.22,C 780:"توقع أغسطس من الحملة أن تكون مثمرة للرومان ، إما بإرغام السبئيين الأثرياء على أن يصبحوا حلفاء للرومان ،أو بإحراز النصر العسكرى عليهم فى بلادهم ή γαρ φίλοις ήλπιζε πλουσίοις χρήσεσθαι ή έχθρων κρατήσειν πλρατήσειν πσίων".

(٨) ألقى(استرابون) بكل اللوم على سيلايوس ό δ' αίτιος τούτων ό Συλλαιος راجع Strabo 16.4.24,C 782:.

(٩) Strabo 16.4.23.C 781 .ويمكن أن تكشف الوثيقة البردية المنشورة فى مجموعة بردى البهنسا Oxyrhynchus (*) عن استعدادات جاللوس للحملة .Pap. Oxy. 2820 ,Cf. N.Lewis, GRBS16 (1975),p.295-303. .

(١٠) إن تقييم الدور الذى لعبه سيلايوس فى حملة جاللوس مختلف هنا عن ماسبق ذكره فى البحث التالى :.G.w. Bowersock,JRS 61(1971) p.227 . وعن فشل رومانى آخر ألقى فيه اللوم على خيانة العرب، راجع Plut.,Crassus 21-22 (حيث قرأ زيجلر Ziegler نص تيوبنر Teubner اسم أبجر Abgar بدلاً من أريامنيس (Ariamnes) .

(١١)Strabo 16. 4.24,C781:" كان يسمى بالحارث وكان قريبًا لعبادة εις τὴνἈρέτα γῆν τω Oβοδα συγγενοῦς"ناقش بيستون القضية على أساس النسخة التى نسخها (التاجر)كوزموس والتى نقشت على عرش أدوليس (ملك الحبشة) كمؤشر على أن حملة جالوس قامت بنشر الهلينية بنجاح فى عصر أغسطس . A.F.L.Beeston,BSOAS 43(1980),453-57 .

(١٢) أطلق استرابون على المكان اسم أثرولا Athrola راجع :Strabo 16.4,24.C782 ، بينما أطلق عليه كاسيوس ديو اسم أثلولاAthloula .راجع : .Cassius Dio 53.29.8. ويبدو أن الاسم الأخير هو الأقرب إلى الصواب، وذلك فى حالة إذا تمت الموافقة على مطابقة المكان مع يثل YTL . راجع الملحق رقم (١) من الكتاب .

(١٣) Paolo Costa ,Proc.Seminar for Arabian Studies 7 (1977),69-72وراجع الملحق رقم (١)عن النقش وترجمته فى الكتاب .

(١٤) 16.4.24, C 782 o ، ويبدو أن اسم المدينة هو ماريزابا Marisaba (وربما ماريابا Mariaba) . وعن الموقع المحاصر، راجع: J.Pirenne,Le royaume sud –arabe de Qatabān et sa datation (1961),pp.110 ff. also H.von Wissmann, ANRW II.9.1 (1978),pp.396-98.

(١٥) 16.4.24.C782 o . وعلى الرغم من فشل الهجوم على مأرب كان يحق لأغسطس أن يفاخر بوصول قواته إلى هذا المكان القّصىّ، وذكر فى سجل حياته "أن قواته وصلت فى

(*) إقليم البهنسا (بنى سويف – مصر الوسطى)، ومجموعة البهنسا البردية من أضخم المجموعات التى تم نشرها حتى الآن نشر المجلد الأول عام١٨٩٨ ، وحتى عام ١٩٨٤ تم نشر المجلد الواحد والخمسين منها .عن مجموعات البردى العالمية التى تم نشرها حتى الآن راجع: J.F.Oates,"Chiclist of Edition of GreekPapyri and Ostraca ",BASP, Supplements, no.4.

العربية حتى حدود سبأ وتقدمت حتى مدينة مأرب In Arabiam usque in fines Sabaeorum pro[cess]it exercitus ad oppidum Mariba راجع: Res Gestae 26.5 .[(*)] ومن بين قطع رخام معبد أفروديت فى كاريا (فى آسيا الصغرى) التى تم عليها تسجيل الشعوب التى قهرها الرومان، تم العثور على قطعة منها فى المسرح يبدو أنها أخذت وأعيد استخدامها فى الرواق الشمالى من معبد سيباستيان Sebasteion، مسجل عليها E]θνους[ ]βων: J.Reynolds,ZPE 43(1981),pp126-27,no.21 ، وعلى الرغم من أنه يمكن تأريخ هذا النقش بأواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى فقد اعتقدت رينولدز أن جميع الانتصارات التى ظهرت على التوالى ترجع إلى أغسطس، كما قبلت اقتراح M.Speidel بقراءة كلمة [Apa]Bων فى هذا النقش ، وكانت تظنها فى البداية تعنى كلمة Suebi or Perrhaebi (تم الحصول على هذه المعلومات من كينان إيريم Kenan Erim).

(١٦) وعن الحرب الأثيوبية التى قام بها بترونيوس C. Petronius راجع: S.Jameson,JRS 58(1968),71-84.

(١٧) Josephus, AJ 15.351-52 ، وتم بيع أورانيتيس مقابل (٥٠٠) تالنت .

(١٨) Josephus,AJ 15,383.

(١٩) Josephus,AJ 15.360

(٢٠) Josephus ,AJ 16.224 كانت مشهورة بالسمعة السيئة التى كانت عليها(A.2,col.1995 RE I .. والإشارة هنا عن تأثيرها الشيطانى)وينبغى عدم الخلط بينها وبين السيدة التى رقصت .

(٢١) يذكر يوسيفوس عن سيلايوس :"أنه كان ذا شخصية جذابة، ويتمتع بجمال الخلقة δεινος ανηρ καί τήν ήλικίαν νεος έτι καί καλός Josephus,AJ 17-10.224; Cf,BJ I.566

(٢٢) Josephus ,AJ 16.130.274-75.

(٢٣) Josephus, AJ 16.276-81. A. Negev, ANRW II.8(1977 566 ، يشير إلى ساتورنينوس وفوليمنيوس المشرفين الماليين فى سوريا، وتولى ساتورنينوس منصب الحاكم

(*) عن أعمال المؤله أغسطس ، المعروف بنقش أنقرة والذى قام فيه الإمبراطور أوكتافيانوس أغسطس بتدوين أهم الأعمال التى قام بها فى هذه الحقبة الهامة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية منذ مصرع قيصر عام ٤٤ ق .م حتى قبيل وفاة أغسطس عام ١٤ ميلادية ، راجع الرويبى (آمال) أجهزة الحكم فى روما ، ص ١٠٠ ــ ١٠٦ والحواشى المذكورة أدناه .

E. Schürer,A.History of راجع ،legatus كما ذكر أن فوليمنيوس كان مساعده المالى، راجع
the Jewish People.rev.Miller and Vermes (1973).257.

(٢٤) Josephus,AJ 16.28 راجع عن الاسم النبطى J.Cantieau, Le Nabatéen II (1932), p.122 .

(٢٥) Josephus,AJ 16.288 .راجع النصين المسجلين بلغتين والذى تركه سيلايوس وهو فى طريقه إلى روما :الأول فى ميليتوس , Miletus وأهداه إلى دوشرى يقول فيه؛ "من أجل حياة عبادة, l ḥyy ʿbdt' Canteau,(above,n.24).p.46 " والثانى فى جزيرة ديلوس Delos Inscriptions de Delos 2315,as revised by H.T.Milik; and J.Starcky(Cf,P. Bruneau,Recherches sur les cultes de Délos[1970],p.244) . وعن العملة الخاصة بسيلايوس راجع ،.Meshorer (above,n.1). pp36-40

(٢٦) Josephus, AJ 16 .294 .يبدو أن الشكل النبطى لاسم إينياس هو (hny'w أو hn' w)حيث إن الكلمتين اليونانيتين : Αναιος & Ανεος" تتطابقان: راجع Cantineau (above.n.24),p.87 .ولكن فيما يخص هذه الترجمة فإن دمج حرفى العلة فى أول اسم إينياس Aeneasلايمكن تفسيرهما بسهولة .

(٢٧) N.Khairy,PEQ 113(1981).19-26 :وهناك نص تكريسى من وادى موسى (فى صحراء سيناء) جاء فيه ذكر لأكبر عدد من أسماءالأسرة الملكية النبطية فى عهد الحارث الرابع تم العثور عليها فى نقش واحد حتى الآن . وفيها يظهر اسم ماليخوس الأول (mnkw) فى السطر الأول .وعن الحارث وماليخوس راجع ، J.Starcky,Hommages à André. Dupont Sommer (19 71),p.157.

(٢٨) Josephus,AJ 16.296.

(٢٩)Josephus ,AJ 16.295: "غضب أغسطس لأن الملك الحارث لم يطلب منه الإذن ليتولى الحكم Τῷ μή τού Ἀρέταν 'επιστείλανα πρότερον αὐτῷ βασίλεύειν

(٣٠) Joseph ,AJ 16.335-55.

(٣١) Josephus,AJ 16.355.

(٣٢) Josephus,AJ 17.54-55.

(٣٣) Josephus AJ 17.52-57;BJ 1 .374-77 .عن نهاية سيلايوس راجع (Strabo 16.4 αποτμηθείς την κεφαλήν 24.C782).

(٣٤) Strabo, Ibid

(٣٥) راجع المصادر المتعلقة بالنقشين فى الحاشية رقم (٢٥)أعلاه.وعن استخدام كلمة (أخ- 'h أو ἀδλφός) راجع: Strabo 16.4.21,C.779 :كان الوزير يسمى (أخـــو المــــلك)

'έχεί. δ'ό βασιλευς έταίρών τών τινα καλούμενου άδελφόν` έπίτροπον

ويذكر النص الخاص بسيلايوس الموجود فى ميليتوس :أخو الملك 'h mlk و άδελφος βαςιλ[έως].

(٣٦) Strabo 16.4.21,C 779 :كان الأنباط فى عهده خاضعين للرومان مثلهم فى ذلك مثل السوريين: νυν δέ κακειν[i.e.,Ναβαταιοι] Ρωμαίος ειςιν υπήκοοι καί Συροι.إن استخدام اسم الإشارة لإثبات هوية الأنباط وتميزهم عن السبئيين (الذين جاء ذكرهم في الجملة السابقة) ويقدم تقريرًا عن بتراء النبطية.

(٣٧) وأوضح مثال على ذلك الملك كوماجين Commagene (الذى تم ضم مملكته إلى روما عام ١٨ م.ولكنها أعيدت إلى أحد الملوك عام ٣٧ ، وسرعان ما عادت إلى روما بعد فترة وجيزة وبعد ذلك أعادها الإمبراطور كلوديوس إلى ملك آخر، ثم ألحقت بروما نهائيًا عام ٧٢) راجع Tacitus, Ann.2.56;Cassius Dio 59.8.2&60.8.1; Suetonius Ves.p.8 ;Josephus BJ 7.7.I-3 .

(٣٨) J.G.C.Anderson,Anat.Studies Pres.to Ramsay(1923) .pp.1-3,& G.W. Bowersock, Augustus and the Greek World(1965),p.134. ولاحظ ماك آدم (H.I.MacAdam) أن الإضافات التى وقعت فى عهد الإمبراطور تيبريوس تسجل إضافة كوماجين، وكتب استرابون "الآن δέ νυν " كما قال فى الفقرة الخاصة بالأنباط . راجع Starab(16.2.3.C749 .

(٣٩) راجع Meshorer(above,n.1),pp.103-4.العام الوحيد الذى لم يظهر له عملة فيه هو عام ١٧ م فقط .

(٤٠) Ibid.,p.41.

(٤١) Ibid.,p.49. لايوجد عملة من سنوات حكمه التالية :٧، ٨، ٩.(عام ٨/٩ ق.م.هو أول سنة في حكمه).إن عدم وجود عملة فى السنة الأولى والثانية لحكمه ربما يرجع لمحض الصدفة ، ولكننا هنا أمام سنوات ثلاثة متتابعة .

(٤٢) Pliny ,NH 2.168;6.141;12.55-56.32.10.Cf.G.W.Bow-ersock JRS 61 (1971), 227, &F, E.Romer, TAPA109 (1979), 205.

(٤٣) CF.FGH III.A.275,f 1-3.

(٤٤) Pliny,NH 6.160.and references in n.42 above.

(٤٥) للحرب التى شنها ووصل فيها الشعب الرومانى إلى أقصى حدود البلاد السعيدة consulatum quem ultra fines extremas pop.Romani bellum gerens feliciter peregerat. ILS 140.II. .9-10.

(٤٦) Josephus,AJ 18.1.2;BJ 2.8.117.CF Schürer(above ,n.23),pp357ff.

(٤٧) Cantineau,(above,n.24),p.26 :(فى السنة التاسعة للحارث الرابع šnt tš' lhrtt mlk .(nbtw

(٤٨) srtg : CIS II.213,224,234. strtg:CIS II.319a; (حاكم klyrk:CIS II) 201.(قائد مائة).217 qntryn:CIS II(موظف) راجع المناقشة بالإشارة إلى ' rb) mšrytرئيس القلعة -المعسكر praefectus castroum ‹στρατοπεδαρχής)في الجوف المذكورين لدى كل من ستاركى وسافيناك J. Starcky &R. Savignac, RB 64(1957), 200-4. وعن الفرسان فى هجرا Hegra راجع:Starcky (above,n.27),p p.157-58.

(٤٩) كلمة rb mšryt' المذكورة فى الحاشية السابقة مثلها فى ذلك مثل كلمة قائد مائة فى النص الذى قدمه سبيدل M.Speidel ,ANRW II.8(1977),694.

(٥٠) وذكر بلينى أن " جايوس بن قيصر أغسطس نظر فقط إلى العربية

"- C.Caeser Augusti filius prospexit tantum Arabiam Pliny ,NH6.160:.

الفصل الخامس

ازدهار الأنباط

The Flowering of Nabataea

يوصف الملك عبادة الرابع عادةً على العملة والنقوش بأنه " حبيب شعبه" (rḥm 'mh) . وإذا حكمنا على ذلك من خلال ازدهار مملكة الأنباط ونموها غير المسبوق خلال سنوات حكمه الطويل الذى امتد حتى عام ٤٠ م ، سنجد أنه يستحق هذه التسمية ، فلم يعد لدى الحارث ما يخشاه من اليهود بعد أن تحقق الاستقرار من جديد فى الأقاليم الوسطى لمملكة هيرود السابقة ، بالإضافة إلى ذلك فقد حدث فى منطقة الجليل التى كانت تعد جزءًا من أملاك أبناء هيرود الأربعة بعد تكوين ولاية يهوذا (فلسطين) العربية ، أن تزوج حاكمها هيرود أنتيباس Herod Antipias من ابنة الحارث[1]. وجَددت رابطة الزواج دبلوماسية أنتيباتير فى أيام الهاشمونيين ، وكان لهذه الرابطة تأثيرها فى إيجاد علاقة كان سيلايوس يحاول حديثًا إتمامها بأسرع مايمكن فى عصر أغسطس ، واستمر فيليب الحاكم الرابع يحكم الجزء الشمالى من اليرموك ، فى مناطق جبل الدروز والليجا وحوران ؛ ويبدو أن حكمه لم يستطع أن يقتلع جذور الثقافة النبطية التى ازدهرت هناك واستمرت لأكثر من مائة عام [2]. بل يبدو أكثر من هذا أن فيليب رحب بالوجود النبطى ليصبح بمثابة حاجز ضد عصابات القبائل التى كانت تسبب أكبر مشكلة فى المنطقة ، وباختصار كان الحارث فى فترة الثلاثين سنة الأولى من العصر المسيحى ، يقود شعبه فى سلام نسبى ، ولم يحدث فقط إلا خلال العقد الأخير من حياته أن نشبت اضطرابات خطيرة .

ظلت المصادر الأدبية عن تاريخ الأنباط صامتة فى الفترة من عام ١ حتى عام ٣٠ م. ولكن بقايا حضارة الأنباط الأثرية الباقية تتحدث عنهم بفصاحة ، وتقف بقايا المقابر المتتابعة فى مدائن صالح لحسن الحظ شاهداً على تشجيع الحارث لنمو هذا المركز الحدودى فى الحجاز، وظهر اعتزازه بهذا الإنجاز بتصويره على عملة تذكارية خاصة تمجيداً لمدينة هجرا Hegra فى موقع مدائن صالح(٣)، وظهرت حركة التمدن فى مراكز كبيرة أخرى فى المملكة ، ويبدو أنها كانت جزءاً له مغزاه فى سياسة الحارث للنمو الاقتصادى . وتظهر المدن الكبرى: النقب Negev وعُبادة Oba-da ومامبيس Mampsis ، ونيسانا Nessana ، وإليوسا Elusa ، وسوباتا Sobata ، وكلها أدلة على زيادة عدد مستوطنات الأنباط فى تلك الفترة(٤). ومن الواضح أن الماء كان ضرورياً لمستوطنات من هذا النوع ، ويبدو أن الآثار الخاصة بالنظام المتقدم فى حفظ مياه الأمطار وتوزيعها فى قنوات مُغطاة لزراعة الحقول يرجع إلى عهد الحارث الرابع(٥)، ويمكن مقارنة ذلك بالنظام الذى تم كشفه منذ سنوات قليلة فى الحجاز عندما استقر الأنباط فى منطقة القُريات Qurayya ، وهى لا تبعد كثيراً عن المركز الرئيسى فى مدائن صالح (٦)، وظهرت حركة إنشاء التمدن بوضوح فى الشمال فى موقع بصرى Bostra ، التى سوف تصبح عاصمة الولاية الرومانية (٧)، وهى تقع بالقرب من حدود المنطقة التى يحكمها فيليب ، كما أنها تتحكم فى الطرق الداخلية الموصلة إلى وادى سرحان ، وتبدأ من حصن الأنباط فى الجَوف إلى الشمال الغربى باتجاه دمشق . وتدل بُصرى على زيادة تركيز الأنباط واهتمامهم بمنطقة حوران سواء فى داخل مملكة الحارث أو خارجها .

استقر البلاط الملكى فى البتراء بطبيعة الحال ، حيث أماطت الكشوف الأثرية فى العقود الثلاثة الماضية اللثام عن تقدم مذهل فى إنشاء المدن فى عصر الحارث الرابع، ويُنسب إلى عهده الآن باطمئنان اثنان من الآثار الضخمة فى المدينة . ظل الاعتقاد سائداً لفترة طويلة أنهما ينسبان إلى فترة تالية لعصره ، وأنهما تعكسان الذوق الرومانى المتأغرق الذى ساد بعد أن أصبحت المنطقة تكون الولاية العربية ، وهما

المسرح الذى قُطع فى الصخرة الواقعة فى الطرف الداخلى للسيق Siq والمعبد القائم فى وسط المدينة والمشهور باسم قصر البنت Qasr al bint(٨) . وافترض مؤرخو العمارة أن المعبد لا يمكن أن يؤرخ زمنيًا قبل القرن الثانى الميلادى ، وسرعان ماهوى هذا الافتراض بالكشف عن معبد temenos يرجع لعصر الحارث الرابع (٩). وأخيراً لا يوجد شك فى قيام الأنباط فى عهد استقلالهم بتطوير طراز معمارى متقدم متأثر بالذوق الهللينيى فى الجزء الشرقى من الإمبراطورية الرومانية. ويُعد المسرح دليلاً حيًا على تشرب الأنباط للطُرُز اليونانية الرومانية. إن تصريحات المكتشفين أن هذا البناء يرجع إلى عصر الحارث الرابع يعد خطوة كبيرة تساعد على فهم حضارة الأنباط ، وكانت البتراء مكانًا اختلطت فيه الثقافات . ويخبرنا استرابون أن صديقه ومحدثه اثيندوروس الطارسوسى Athenedoros of Tarsus وجد أن المدينة كانت مليئة بالأجانب (١٠)، ولما كان الأنباط شعبًا مسالمًا ، لهذا كان الأجانب طبقًا لما ذكره أثيندوروس هم الذين أمدونا بمثل هذه المعلومات لأنهم وجدوا فيها مدينة آمنة ، ولذلك لن تصيبنا الدهشة لتشرب الأنباط للثقافة العالمية الواضحة فى غرب البتراء .

أما بالنسبة إلى العدد الكبير من المقابر المنحوتة فى الصخر فى البتراء وأغلبها غير مؤرخ ولكن طرازها يشبه مقابر مدائن صالح ، فمن المنطقى القول إنها تنتمى بصورة عامة إلى الفترة الزمنية نفسها، مثل نظائرها المؤرخة ، وبالإضافة إلى ذلك فما دام قد تأكد تاريخ قصر البنت والمسرح بالنصف الأول من القرن الأول الميلادى، فالاحتمال الأكبر أن الواجهة المذهلة للبناء الذى يسمى الخزنة (khazneh) ينتمى إلى العصر نفسه . إن تاريخ وطراز هذه الواجهة الرائعة ، التى تستقبل زائر البتراء مباشرة عندما يصل من السيق كانت محل جدال لفترة زمنية طويلة (١١)، ولايستطيع أحد أن ينكر عناصرها الهندسية الهللينية القوية؛ وليس هناك ما يدعو للافتراض بأن هذا النوع يمكن أن يتم إنجازه فقط بعد أن قام الرومان بوضع نهاية لمملكة الأنباط. وفى الحقيقة فإن هذا الطراز مناظر تمامًا للرسوم الجدارية فى مدينة بومبىPompie (جنوب إيطاليا بالقرب من نابلى) فى القرن الثانى ، والتى ربما تكون انعكاسا لطراز

معمارى فى الإسكندرية[١٢]، وعلى المنوال نفسه يمكن أن تُعد الخزنة والتى تُعدَ أشهر آثار البتراء من بين ماأنجزه الحارث الرابع [١٣].

يبدو أن الحارث استطاع أن يستحوذ من جديد على احترام الأنباط للأسرة المالكة، مما شجعه على القيام بإحياء ذكرى أسلافه ، ويكشف أحد نقوش البتراء من عصره عن شعيرة عُبادة ، وهى فى غالب الظن لمن حمل الاسم لأول مرة، ويتحدث النص عن تمثال "الإله عبادة"، وهو معبود كان معروفًا أيضًا فى العالم الإغريقى (كما وضح صراحة فى نص ستيفانوس البيزنطى Stephanus of Byzantium) ، الذى تم تأليهه فى مدينة عُبادة[١٤] التى استمرت عبادته لقرون عديدة بعد ذلك تحت اسم " زيوس عُبادة "Zeus Obodas" . وظهر احترام الأنباط لأسرة الحارث نفسه من خلال نقشين مهمين عُثر عليهما فى البتراء ، إضافة إلى نقش آخر عُثر عليه فى عُبادة [١٥]، واستطعنا بفضل هذه الوثائق معرفة أسماء أبناء الحارث وابنته ، إضافة إلى زوجاته اللاتى حملن لقب ملكة ، كما حملت زوجة وريثه ماليخوس هى الأخرى لقب الملكة . لقد وجدت عدة ملكات من عهد ملك واحد خلال حقبة الأنباط الملكية ، وجرت العادة على تسمية هؤلاء الملكات بأخوات أزواجهن ، ويبدو أنها كانت بمثابة عادة شائعة أكثر من كونها إشارة إلى أنهن كن أخواته برابطة الدم [١٦]، وكان يطلق على وزراء الملك أنهم إخوته ، ومثال على ذلك سيلايوس الذى سبق ذكره كان يسمى نفسه (أخو الملك عبادة) [١٧]. شجع الحارث على الدعاية إلى الأسرة المالكة ، وقام بإصدار قطع عملة تحمل اسم ابنه فاصيل Phasael ، وربما يرجع ذلك إلى أنه الابن الوحيد الذى ولد له خلال فترة توليه الملك [١٨].

يسجل أحد النقوش قائمة لأعضاء البيت الملكى يُلمِح فى مطلعه إلى "بعل شامين " Ba' alshamin إله ماليخوس[١٩]. وإذا كانت قراءة النص صحيحة ، فإنها تعد دليلاً آخر له أهميته لتأكيد أهمية الأسرة الملكية لدى الأنباط ، حتى فى المدن البعيدة منها . وكما سمى المعبود عُبادة تكريمًا لمدينة عُبادة ، فإن اسم بعل شامين قد استحضر (لتمجيد) المعبد النبطى العظيم لذلك المعبود "سيع "Si فى "حوران" ، ومن

المعروف أن هذا البناء كان تحت التشييد خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الأول قبل الميلاد[٢٠]، وبمعنى آخر تم التخطيط للمشروع والبدء فيه بالتحديد خلال فترة حكم ماليخوس الأول، وفى عصر الملك الحارث ، وحتى موت فيليب حاكم الرُبع Tet-rarch عام ٣٤م وعلى الأقل كانت" سبيع "تقع خارج حدود مملكة الأنباط ، ومن المحتمل أنها قد أدت الغرض فى توحيد بلاد الأنباط عندما يرتبط المعبد هناك باسم أحد ملوكها الأوائل .

بالإضافة إلى ذلك فإن سياسة بناء المدن وتوحيد الأنباط تحت حكم الحارث الرابع تشير إلى ازدياد توطين شعبه . إن تطوير نظام الرى المتطور يدل على تزايد أهمية الزراعة ، حيث أصبحت الطرق التجارية أقل نشاطًا وإنتاجًا ، لأنه منذ قرن مضى كان يتم نقل الطيوب والتوابل عبر البحر الأحمر إلى الشواطئ والموانئ المصرية، وبدأت تنعكس نتائج هذا التغيير على أحداث القرن الأول ق.م. وليس من المنطقى القول إن نشاط الأنباط التجارى قد أصبح فى خبر كان بين يوم وليلة ، ولكنه من الواضح أنه كان فى طريقه للانهيار، وكان لايزال هناك ثلاثة طرق باقية فى التجارة الداخلية ، وخصوصًا ذلك الطريق الواقع أعلى وادى سرحان ، والممتد من داخل شبه الجزيرة العربية ، وعلى الرغم من ذلك ، فإنه لاشك أن هذا الطريق لم يكن كافيًا وحده لتغطية الاحتياجات الضرورية للشعب ، لهذا قام الحارث "المحب لشعبه" ، بوضع سياسة نشطة تتمثل فى تحويل الأنباط إلى شعب مستقر ذى اقتصاد زراعى ، تعتمد عليه مراكز مدنية استراتيجية ، وقد سبق أن لوحظ منذ فترة طويلة أن الطريق الرئيسى الذى كان يربط بين البتراء وغزة لم يعد يستخدم فى منتصف القرن الأول الميلادى ، على الرغم من أننا نستبعد أنه تم إغلاق هذا الطريق نهائيًا ، لأنه يعد مدخلاً مناسبًا من الجانب الجنوبى لشرق الأردن إلى البحر المتوسط ، وهناك قدر قليل من الشك فى أنه توقف عن أن يكون شريانًا رئيسيًا تجاريًا منذ منتصف القرن الأول الميلادى[٢١]. إن انهيار ذلك الطريق أتم عملية نمو المدن والاهتمام بالزراعة فى أثناء حكم الحارث الرابع ، ومما لاشك فيه أن قيادة هذا الحاكم الذى يعد واحدًا من كبار

الشخصيات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، قد هددتها سياسة هيرود أنتيباس Herod Antipias المندفعة فى سنوات حكم تيبريوس Tiberius الأخيرة فى روما .

حوالى عام ٢٧م. وقع هيرود أنتيباس فى غرام امرأة شهوانية حدث أنها كانت ابنة أخيه، كما أنها كانت زوجة فيليب حاكم الرُبع Tetarch. وكانت هى هيروديياس Hero-dias سيئة السمعة . ولكى يستطيع هيرود أنتيباس الوصول إليها قام بطلاق عروسه النبطية، ابنة الحارث وأعادها إلى والدها(٢٢). ولم يُعرف على وجه التحديد فى أى طور من أطوار هيام هيرود بهيروديياس قام بإعادة الزوجة النبطية إلى العربية ؛ ولكنه يتضح مما كتبه يوسيفوس أن الحارث استشاط غضباً بعد وقوعه . لذلك أرسل حملة لمعاقبة هيرود ، وتمكن من إحراز نصر كبير على عدوه الجديد (٢٣).

وعلى الرغم من أهمية الحدث ، فإنه مما يؤسف له وجود غموض فيما يخص كلا من مكانه وتاريخه . إن النص الذى قدمه يوسيفوس يذكر أن النصر تم فى إقليم جامالا Gamala الواقع فى شمال اليرموك ، وكان هذا الإقليم جزءاً من أملاك فيليب حتى موته عام ٣٤ وليس من المعروف حتى الآن ما هو السبب فى قيام الحارث بغزو أملاك فيليب ما دام الهدف هو معاقبة هيرود أنتيباس . والمعروف أن الإمبراطور تيبريوس قام عقب موت فيليب بدمج الإقليم : جبل الدروز ، والليجا، وحوران فى إطار ولاية سوريا ، من هنا يأتى السبب الذى يدفعنا إلى الاعتقاد بأن حملة الحارث حدثت حول ذلك التاريخ ، لأن هيرود بعد هزيمته قدم شكوى رسمية ضده أمام تيبريوس ، الذى أمر بدوره ڤيتيلوس Vitellus حاكم سوريا باتخاذ إجراء ضده . ولم يصل ڤيتيلوس إلى سوريا حتى عام ٣٥ أى بعد موت فيليب بسنة (٢٤)، كما أنه يمكننا أن نقوم بتعديل النص الذى ذكره يوسيفوس لتحريك مكان الغزو إلى مكان أبعد جنوباً وهو الذى كان معروفاً بأنه كان يخص هيرود أنتيباس(٢٥) ، مما يؤدى إلى وجود معنى أفضل فى تتبع الإشارات الزمنية التى نستمدها من خلال فترة حكم ڤيتيلوس ، وللتأكد من أن الحارث سار فعلاً عبر اليرموك إلى الأراضى التى كان يملكها فيليب سابقاً ، حتى يمكنه الاستفادة من حالة الاستقرار القائمة هناك ، ولكى يقوم بتهديد إقليم هيرود عن طريق السيطرة على الجولان والأقاليم الواقعة إلى الشرق منه .

ومما لاشك فيه أن هيرود لم يكن يسعده وجود قوة معادية على حدوده فى الجولان ، التى كانت من الممكن أن تمهد دائما للسيطرة على الجليل ، وعندما تحرك الحارث شمالاً ، ليس فقط على أمل تهديد هيرود ، بل أيضًا لأنه كان يتوقع استرداد بعض الأماكن التقليدية النبطية (مثل السويداء ,Suweida وقنوات Qanawat وسيع Si^{c} فى الحوران)، شعر هيرود أنه مضطر للتحرك بقواته إلى المنطقة. وهناك إشارة واحدة جيدة وردت عند يوسيفوس بأن هذه الحركات تمت بعد موت فيليب ، وهى ظهور المنفيين (ψυγάδες) من أملاك فيليب فى جيش هيرود[٢٦]، لأن وجود هؤلاء المنفيين فى جيش فيليب لا يكون له معنى خلال حياة فيليب قريبه وحليفه ، ولكن يمكن منطقيًا أن يظهروا هناك بعد أن تم ضم وطنهم إلى ولاية سوريا ، وعلى أى حال تسبب هؤلاء المنفيين فى هزيمة هيرود ؛ إذ قاموا بخيانة قائدهم وغيروا موقفهم فى اتجاه العرب [٢٧]،. وربما كانو يتوقعون العودة إلى وطنهم تحت حكم الملك النبطى المشهور بالعطف والأريحية .

يبدو أن الحارث كان يقوم بإحصاء حساباته بحذر لانتهاز الفرصة للانتقام من هيرود بسبب إعادة ابنته إليه (مُطلقة) ، وعلى الرغم من أننا لا نستطيع تحديد تاريخ عودتها بدقة ، فإنه من الواضح أن الحارث لم يقم بالعمل المضاد مباشرة ، ويبدو أن الفرصة حانت له بعد موت فيليب وهى ضمُّ نصيبيه إلى ولاية سوريا ، ووجود المنفيين المتبرمين فى جيش هيرود ، إضافة إلى أن الخلاف مع هيرود قد أتاح الفرصة المثالية للحارث لاسترداد المناطق التى كانت خاضعة لنفوذ الأنباط من قبل فى الشمال . إن فترة حكمه الطويلة والناجحة قد تكتمل باسترداد ليس فقط نصيب فيليب (الرُبع) ، بل ربما دمشق نفسها التي سبق أن أصدر فيها ملك سابق وكان يسمى بالحارث عملات له . إن اهتمام الحارث الرابع بما حققه أسلافه مثل عُبادة الأول وماليخوس الأول يقودنا إلى افتراض أنه كان يُكِنُّ قدراً من الاحترام للحارث الثالث ، الذى كانت أملاكه - رغم عدم تنظيمها كليًا - متسعة أكثر من عهد أى ملك نبطى آخر ، ويبدو أنه عندما مات فيليب عام ٣٤ لم يكن هناك وجود لأى حاكم فى سوريا على

الإطلاق ، وحتى فى حالة وجوده يبدو أنه لم يكن يمثل خطراً كبيراً على الحارث؛ لأنه أولاً كان يقيم بعيداً فى أنطيوخ على الساحل، وثانياً لأن تيبريوس أبقى حاكم سوريا خارج ولايته لمدة بلغت عشر سنوات لأسباب يعرفها جيداً تيبريوس نفسه [٢٨]. لذلك لم يكن لدى الحارث سبب يجعله يفكر فى أن الرومان سوف ينتابهم القلق بالنسبة إلى المنطقة الصعبة التى سيطر عليها والواقعة فى جنوب ولاية سوريا .

فى الوقت الذى تمكن فيه هيرود من إغراء تيبريوس باتخاذ إجراء ضد الحارث بسبب هزيمته الشائنة ، لم يُقدر للإمبراطور العجوز المقيم فى روما العيش طويلاً ، فقد أصدر أوامره إلى ڤيتيلوس بالتحرك ضد البتراء ، التى قبل الحاكم بشىء من الامتعاض القيام بها[٢٩]، ولحسن الحظ فإن موت تيبريوس جعل الحارث يتفادى المواجهه مع الفرق الرومانية فى سوريا . ورفع موت الإمبراطور تيبريوس وريثه جايوس كاليجولا المختل عقلياً إلى العرش ، الذى قام مباشرة بإلزام صديقه وتابعه هيرود أجريبا Herod Agrippa الأول، بإعادة تصيب فيليب (الربع) إليه وأنهت هذه العملية تبعيتها القصيرة إلى سوريا[٣٠] ، ومات الحارث بعد ذلك بثلاث سنوات ، ولم يقم بأى تحرك نحو الشمال خلال هذه السنوات الأخيرة .

ويبدو أنه من الأفضل ربط الإشارة المشهورة والمُحيرة التى وردت فى أحد المصادر عن الحارث فى مدينة دمشق بالأحداث التى وقعت مباشرة قبل موت تيبريوس بدلاً من ربطها بالأحداث التى وقعت عقب موته . ويُعد هذا المصدر إشارة جيدة عن تحقيق هدف الحارث ، ولو لفترة زمنية قصيرة ورغبته فى استرداد المدينة القديمة التى حكمها إحدى المرات أحد أسلافه الذى كان يحمل الاسم نفسه . ووصف بولس الرسول فى خطابه الثانى إلى أهل كورنثة (وسط اليونان) الوسائل الملتوية التى استطاع بواسطتها الهروب من دمشق [٣١]. فقد أُنزل من حائط المدينة فى سلة تدلت من نافذة، وصرح بأنه كان من الضرورى الخروج بهذه الوسيلة حيث كان قائد ethnarch الملك الحارث قد عَسكر فى المدينة لإلقاء القبض على الرسول (ὁ ἐθνάρχης Ἀρέτα τοῦ βασιλέως) .

إن الترتيب الزمنى لمغامرات بولس (الرسول) تستبعد تاريخًا قبل السنوات الثلاث الأخيرة من حكم تيبريوس ، بينما وجود الملك الحارث على قيد الحياة يُعطى عام ٤٠ تاريخًا لذلك والذى يُعد العام الأخير لحكم الحارث . وأصبح واضحًا لمدة طويلة من خلال ملاحظات بولس ، ومن تقرير غير مباشر عن هذه الحادثة فى أعمال بولس [٣٢]، أن قائد الحارث كان مسئولاً عن تأمين دمشق كلها . وعلى ذلك فإنه على ضوء عدم وجود ما يوضح سيطرة الأنباط على دمشق فى السنوات الأخيرة للحارث ، فقد بدا للبعض احتمال أن يكون القائد هو الضابط المسئول عن مجتمع الأنباط فى دمشق ، أكثر من كونه الضابط المسئول عن المدينة كلها . ولكن هذا الرأى يُعد رأيًا يائسًا . لأن لغة بولس واضحة وهى " لقد كان قائد الحارث يؤمّن دمشق "[٣٣].

من المحتمل أنه بعد الهزيمة الكبيرة التى مُنِى بها هيرود أنتيبياس قرر الحارث أن يتقدم أكثر فى اتجاه الشمال . وبعد وصول ڤيتيلوس مجدداً إلى أنطيوخ ، وحيث إن منطقة حكم فيليب السابقة أصبحت بدون إدارة رومانية مناسبة ، لذا كان من السهولة بمكان أن يتقدم الحارث إلى دمشق ، وليس هناك حاجة إلى القول إن القائد الذى نَصَّبه الحارث ظل هناك لفترة طويلة . وبعد أن أصبح معروفًا قيام تيبريوس بإصدار أوامره إلى حاكم سوريا بإعداد حملة ضد الأنباط ، فمن غير المتوقع أن يُضيع الحارث الوقت فى التخلى عن إقليمه الجديد، إذ كانت المواجهة مع القوات الرومانية بالتأكيد فى غير صالح الأنباط ، وإن إدارة العمليات على جبهتين فى الشمال وفى منطقة البتراء ، لن تكون اختياراً حكيمًا ، فإذا كانت استعادة الأنباط لدمشق فى أثناء حكم الحارث الرابع قد استمرت لفترة قصيرة ، وربما لمدة أقل من سنة فإن عدم وجود عُملة عن هذه الفترة لايزعج كثيراً .

إن الدعاية التى قام بها الحارث للأسرة النبطية نتج عنها انتقال سلس للسلطة عقب موته . وكان الملك الجديد ماليخوس الثانى ابنًا له ، ويبدو أنه كان الابن الأكبر . واصل الملك الجديد، كما وضح من جميع الأدلة ، سياسة الحارث فى إنماء المدن والتحول الهادئ من التجارة إلى الزراعة ، أما هيرود أجريبا الأول صديق كاليجولا –

وكان شخصاً محدود القدرات ، إذ كان من المستحيل قيامه باستخدام أشخاص من ذوى المستقبل اللامع – فقد كوفئ لمساعدته كلوديوس فى ارتقاء العرش بعد القضاء على كاليجولا عام ٤١ ، وقبل موته كان كاليجولا قد أضاف الجليل إلى هديته الأصلية إلى هيرود أجريبا – التى تمثلت فى الرُبع الخاص بأملاك بفيليب. ومنحه كلوديوس كل ولاية يهوذا (فلسطين) الرومانية كلها مكافأةً على مساعدته له .إلى جانب كل ممتلكاته السابقة . وهكذا استطاع فى لحظة واحدة استعادة كل مملكة هيرود الأكبر (٣٤).

أخذت المفاجأة ملك الأنباط الجديد إثر بَعث مملكة يهوذا(فلسطين) فى الضفة الغربية من الأردن ، ولكن ليس هناك ما يشير إلى تطور الوضع لدرجة قيام العداء بينهما . على أى حال لم يكن هناك ثمة وقت لكى تتطور المشاكل لأن أجريبا مات بعد ثلاث سنوات عام ٤٤م. بينما ظهرت ولاية يهوذا (فلسطين) مجدداً ، وأُلحِق نصيب فيليب القديم بولاية سوريا مرة أخرى (٣٥). وحقيقة أن الإدارة الرومانية فى سوريا لم يكن لديها قابلية أو رغبة للسيطرة على هذا الإقليم المتوتر ، ويبدو ذلك واضحًا من ضمه إلى حاكم وطنى آخر بعد عشر سنوات من إلحاقه للمرة الثانية بالولاية . وفى عام ٥٣ رأى الإمبراطور كلوديوس أنه من الملائم منح الإقليم إلى ابن أجريبا ، المدعو هيرود الثانى ، الذى أراح الرومان من القلق على هذه المنطقة حتى نهاية القرن بسبب استمراره الطويل فى الحكم .

وثبت من الإشارة إلى ماليخوس – ملك الأنباط – فى الوثيقة المهمة فى مؤلف الطواف حول البحر الأحمر The Periplus – الذى لا يعرف كاتبه – التأكيد على التجارة الهندية فى منتصف القرن الأول الميلادى(٣٧). ولا يمكن أن يكون المقصود بماليخوس المذكور هنا ملكًا نبطيًا آخر يحمل الاسم نفسه ، ويقدم كتاب الطواف تقريراً ممتعاً عن ضرورة الانتقال من الهند إلى الساحل المصرى ، على أنه أثبت أيضاً استمرار هذه التجارة على الطريق القديم عبر أراضى الأنباط ، وعلى الرغم من معرفة المؤلف عن تأثير اكتشاف الرياح الموسمية على نمط التجارة البحرية ، فقد لاحظ أن الأنباط كانوا لا يزالون ينقلون البضائع حتى البتراء ومنها إلى البحر المتوسط (٣٨).

ولاحظ أكثر من ذلك أنه كان يوجد عند ميناء ليوكى كومى Leuke kome على شاطئ الحجاز محطة لتحصيل الضرائب ، وأن الميناء كان تحت إمرة قائد مائة eka-tontarxes=centurion يُشرف على المدينة [٣٩] ، ومع الاستقرار الكبير للأنباط فى مدائن صالح والمستوطنات النبطية الأخرى فى الحجاز ، فمن غير المقبول القول إن الموظفين الرومان هم الذين كانوا يقومون بإدارة ميناء ليوكى كومى ، فمن المفترض أن الموظف المسئول عن جمع الرسوم وتحصيل ضريبة نسبة ٢٥٪ كان من الأنباط الذين استخدموا لتحصيل هذه المعدلات الضريبية التى يمكن مقارنتها بنظام تحصيل الرسوم فى تدمر Palmera [٤١]. إن وجود قائد مائة لا يدل على أنه كان أحد رجال الجيش الرومانى ، بل على العكس من ذلك يتضح من الاصطلاحات النبطية التى تشير إلى العسكريين أن الأنباط استخدموا قائد مائة centurion كلقب لحاكم مدنى ، لذلك كان اللقب النبطى كنتور (Qntryn) فى ليوكى كومى يعنى (والى prefect)[٤٢] .

كان مؤلف كتاب الطواف على علم بمحاولة الرومان الوحيدة لاختراق بلاد العرب السعيدة Arabia Felix ، ولما كان الرومان قد قاموا بهذا العمل لمرة واحدة فقط ، يكون المقصود بهذه الإشارة حملة أيليوس جاللوس . إن إعادة تجميع الحادثة ، بعد ثلاثة أرباع قرن من الزمان من النص المذكور فى كتاب الطواف يدل على نقص فى المعلومات لما حدث بالفعل ، فإذا كان الرومان الذين يبدو أنهم كانوا غزاة ناجحين كما هو واضح من كتاب الطواف أكثر مما ظهروا على صفحات كتاب استرابون ، فإن ذلك يرجع لسبب وحيد فقط وهو أن أى غزو رومانى فى هذا البلد البعيد كان يُعد حادثًا مشهورًا بما فيه الكفاية بالنسبة لتأثيره على الوطنيين . أما بالنسبة إلى الرومان أنفسهم الذين اضطروا إلى العودة فكان بمثابة إهانة لهم ، ومن خلال الكم الهائل من المعلومات التى أصبحت لدينا عن الأنباط الآن ، خاصة قوائم الملوك ، فقد أصبح فى الإمكان الآن الحديث بثقة عن تاريخ ومحتوى كتاب الطواف حول البحر الأحمر Periplus .

إن الأمر الذى يثير التساؤل هو توقف صدور العُملة النبطية كلية فى السنوات الست الأخيرة من حكم ماليخوس بعد استمرار صدورها سنويًا لعدة حِقب متتالية (٤٢). وقد أوضح نقش نبطى له تاريخ مزدوج طبقًا لكل من نظام التأريخ السيلوقى والنبطى ، اعتلاء رابيل Rabbel الثانى العرش بدون جدال بعد ماليخوس عام ٧٠ م (٤٣). إضافة إلى ذلك فقد قرر يوسيفوس أن ماليخوس هو حاكم الأنباط الذى قام بإرسال ١٠٠٠ من الفرسان ، و ٥٠٠٠ من المشاة إلى تيتوس عندما كان يستعد بقواته لشن الحرب على اليهود فى أكر Acre عام ٦٧(٤٤)(*). وحتى الوقت الحاضر لا يوجد عُملة خاصة بماليخوس بعد عام حكمه الخامس والعشرين عام ٦٤/٦٥م.

لما كانت عُملة ماليخوس وفيرة بكل المقاييس ، فمن الخطورة بمكان أن نلقى أهمية كبيرة على هذه الفجوة(**) ، ولكن ربما من الأفضل لنا أن نلاحظ أن اختفاءها فى هذه الفترة يتطابق مع حروب الرومان ضد اليهود، كما أننا ندرك مدى حاجة الرومان، فى ذلك الوقت لكميات كبيرة من معدن الذهب لصك ملايين القطع النقدية للإنفاق على القوات العسكرية خلال هذه الأزمة ، لذلك عادت دار صك النقود فى دمشق للعمل مرة ثانية بعد فترة توقف تُماثل الفترة التى توقفت فيها عُملة الأنباط (٤٥)، وكانت مساعدة العرب لجهود الرومان الحربية سخية كما ظهر ذلك فى إرسال الفرقة إلى تيتوس عام ٦٧ طبقًا لطلب الرومان دون شك(٤٦). ويرى بعض الكتاب المعاصرين ظهور تدهور فى ازدهار الأنباط فى عصر ماليخوس، وفى الواقع توجد بعض الأدلة القليلة التى تؤيد هذا الرأى ، فهناك طبقات من التدمير ظهرت من خلال الحفائر التى أجريت فى مدينة عُبادة تشير إلى وقوع كارثة كبرى فى النقب ، ولكنها لسوء الحظ غير مؤرخة ولا يمكن

(*) أثناء ثورة اليهود الكبرى فى يهوذا (فلسطين) ومصر وقورينة وجزيرتى قبرص وكريت ، والتى انتهت بالقضاء عليها وتدمير معبد (هيكل سليمان) اليهود فى أورشليم فى ديسمبر عام ٦٧ م، وتخصيص ضريبة النصف شاقل التى كانت مخصصة لمعبد أورشليم لمعبد الإله جوبيتر كبير الآله الرومان نكاية فى اليهود . راجع الروبى، مصر فى عصر الرومان ص٧٧ وما يليها .

(**) أى انقطاعها فى السنوات الست السابق الإشارة إليها أعلاه .(المترجمة)

تفسيرها[٤٧]، وليس هناك سبب يدعونا إلى الظن بأن الأنباط فقدوا النقب فى أثناء حكم ماليخوس ، أو أن توقف العملة فى سنوات حكمه الأخيرة تشير إلى ضعف غير عادى أصاب حكمه .

ربما يكون أقوى دليل يُسلم جدلاً بنوع من الانهيار فى عهد ماليخوس تلك العبارة التى أُلحقت كالمعتاد بلقب خليفته رابيل" واهب الحياة والمخلص لشعبه "[٤٨]، ولا يزال المعنى الدقيق لهذه العبارة غير واضح ، كما أنها لم تُلحق باسمه منذ بداية حكمه ، وربما لا تعنى شيئًا أكثر من كونها تعبر عن الرضى والمديح . وإذا اعتمدنا على أساس الشواهد المتاحة ، فإن عهد رابيل يتميز بظاهرتين مهمتين : ازدياد استخدام الرى فى النقب لتنمية المسطحات الزراعية ، والثانى انتقال العاصمة من البتراء إلى بُصرى . لذلك نظر الأنباط فى النقب إلى رابيل على أنه منقذهم ، نظرًا لزيادة الرفاهية فى عصره . أما من حيث انتقال العاصمة من البتراء إلى بُصرى ، فقد كان ينظر إليه على أنه آت منذ فترة طويلة ، وكانت انعكاسًا لتوطين الأنباط فى الشمال نتيجة لتضاؤل دور البتراء التجارى . ووصف رابيل فى نقش يرجع إلى عام ٩٣م. بأنه "سيدنا الموجود فى بُصرى "[٤٩]. وكرس النص لتمجيد إله بُصرى" أعرا" A'ra المحلى ، الذى اتحد بإله الأنباط " ذو شَاره "Du Shara وأصبح" ذو شاره أعرا ",Dushara Ara وعلى العكس من ذلك يوضح نقش يرجع إلى فترة سابقة من عهد ماليخوس الأول من منتصف القرن الأول قبل الميلاد جاء التكريس فيه لأعرا الذى لم يكن قد تم اتحاده مع ذى شاره بعد ، ولكنه وُصف فقط بأنه الإله الموجود فى بُصرى [٥٠] ، بدلاً من وصفه على أنه "سيدنا الموجود فى بُصرى " كما هو الحال فى نقش عام ٩٣.

تُقدم الآثار الباقية فى بُصرى دليلاً واضحًا على ازدهار هذه المدينة فى عهد آخر ملوك الأنباط ؛ فالقوس الذى يوجد فى الطرف الغربى للمدينة ، والثانى الذى يقع بجوار المدرسة Medreseh يعدان مثالين جيدين على فن التصميم والديكور النبطى [٥١]. إضافة إلى أن موقع المدينة فى منطقة حوران الخصبة واتصالها شمالاً بدمشق ، وجنوبيًا عبورًا إلى الداخل على طول وادى سرحان ، والجنوب الغربى على

طول طريق الملوك السريع نزولاً إلى البتراء وخليج العقبة ، هيأ لها مركزًا كبير الأهمية فى المملكة حيث يوجد الطريق التجارى القادم من شبه الجزيرة العربية الذى لم يعد له أهمية الآن . إن وصول بُصرى إلى هذه المكانة الرفيعة ، لا يعنى توقف أهمية البتراء كمدينة عالمية كبيرة ، أو أن مدائن صالح لم تواصل أهميتها بوصفها مركزًا أماميًا لنفوذ الأنباط فى الحجاز، ومن المفيد ملاحظة أن النقش الذى نملكه من آخر سنة لحكم رابيل كملك – وهى السنة نفسها التى تم بعدها ضمها كولاية تابعة للإمبراطورية الرومانية – أتى من الحجاز وعُثر عليه فى منطقة مدائن صالح فى الطريق من تيماء Teima(٥٢) .

يبدو أن رابيل قام مثل الحارث بإضفاء الشهرة على جميع أفراد أسرته ، وحفظ نقش من منطقة البتراء أسماء كل أفراد الأسرة ، وأكمل ما جاء فى النصوص الخاصة بإحياء ذكرى أفراد الأسرة منذ عصر الحارث الرابع (٥٣). ولم يُكمل هذا النقش النصوص الخاصة بعصر الملكية المبكر فقط ؛ ففيه نرى الأسماء الملكية نفسها كما كانت فى العصر المبكر ، ونرى هنا أيضًا تعدد الملكات خلال حكم الملك الواحد ، واستخدام تعبير أخت الملك بسخاء لزوجات الملك وقريباته . وفى الحقيقة نجد فى هذا النص الخاص بمملكة الأنباط اشتراك اثنين باسم رابيل الثانى ، وأغلب الظن بالتعاقب (ويمكن تمييز ذلك من خلال العملة)، وقد وُصف كل منهما بأنهما ابنا ماليخوس الثانى (٥٤). فى هذه الحالة ماذا نفعل بالأخوات الملكات ؟ لا يزال السؤال مفتوحًا عن موضوع الفسق بالمحارم فى البيت الملكى النبطى . إن حقيقة الاستخدام الشرقى الصرف لمثل هذه الكلمات مثل أخ وأخت لا يمنع من استخدامها بمعناها المختص بالمحارم مباشرة .

وأيًا كان معنى رابيل المُنقذ والمُخلص لشعبه ، فقد أدت السنوات الأخيرة من حياة مملكة الأنباط إلى تحقيق أهداف الملك الحارث الرابع الشهيرة ؛ فقد تمتع الأنباط بالازدهار والسلام ، واستطاعوا القيام بتطوير نظام ناجح للرى ، وبناء مجموعة من المدن الاستراتيجية فى أنحاء الإقليم . وتمكنت الطرق التجارية فى الزمن السابق على

ربط أنحاء المملكة عن طريق نظام للطرق الملكية التى يسرت وسائل اتصال سهلة ، ولم يعد هناك مضايقات على الحدود مع اليهود ، وعُثر على خبيئة من أوراق البردى المخبأة فى كهوف فوق إن – جدعى (En - Geddi) يرجع تاريخها لثورة بار كوخبا Bar Kokhba فى أثناء حكم الإمبراطور هادريان ، تتضمن وثائق من عهد رابيل الثانى خاصة بمفاوضات قانونية مُعقدة بين العرب واليهود يمكن تتبعها بالتفصيل فى مناطق الحدود الواقعة فى الطرف الجنوبى من البحر الميت ، وسوف نرى أن هذه الوثائق خاصة بسيدة تدعى باباثا Babatha ، توضح أن ذلك هو المجتمع الذى عاش فيه كل من العرب واليهود مرتبطين بمحض إرادتهم ، وكان كل منهما يثق فى الآخر .

مصادر الفصل الخامس

(١) Josephus,AJ 18.109:"تزوج هيرون صاحب الربع من ابنته وعاشا معًا في مدينته
'Ηρώδης ό τετράρχη γαγεί την θυγατέρα και συνην χρόνον ηδη πολύν
طابق ستاركى(J. Starcky,SDB 914) بين هذه الابنة وبين سودة Š'wdt .
CISII.354التى ظهرت في المجموعة الكبيرة الخاصة بالعائلة في نقوش وادى موسى الجديدة
(PEQ 113[1981],22)، وكذلك هى نفسها سودة ابنة الحارث التى ظهرت في وثيقة ممزقة
من عقدات 'Avdat [1961],127 (IEJ II)).وظهرت الصورة الفوتوجرافية للوثيقة
الأخيرة مقلوبة. no 4 on plate xxx in A.Negev,ANRW II.8(1977).

(٢) Josephus,AJ17.319"تكوّن نصيب فيليب من باتانانيا......إضافة إلى تراخون وحوران
وجزء من منزل زينودوروس βαταναία ...συν Τράχωνι και Αυραντιςι σύν τινι
μέρει οίκου τού Ζηνοδωρνου λεγομένου ".وينبغى التمييز جيدًا بين كل من
أورانيتيسAuranitis جبل الدروز (أو جبل حوران) وقاعدة التل وبين حوران الحديثة التى
كانت تمثل سهل باتانيا القديم : cf.R. Dussaud,Topographie historique de la Syrie
antique et médiéval(1927),pp.323,346،وعن الأدلة الخاصة بالثقافة النبطية في
الإقليم راجع على وجه الخصوص المصدر التالى عن تكريس معبد بعل الشامين
Ba'alshamin في سيع"Sī'" في الفترة الواقعة بين ٣٣/٣٢-٢/١ق.م : CIS
II.163،وهناك تكريس آخر يرجع إلى عصر فيليب صاحب الربع (٣٠/٢٩ق.م) ذكره ليتلمان
E.Littmann,PAES 1V.A,p.78,no.101. وفيما يتعلق بسيع في نصوص لمواقع
أخرى فى المنطقة راجع ملحوظة كل من J.Dentzer&J.CRAI(1981,p.101, & See
also Littlmann pp.81- 82.no.103،(وهو مسجل بلغتين)"هذا هو تمثال الربة شيى -
وشيى She'ī' هو Σεεϊα κατ γην Αυρανειν έστηκυΐα -d'slmt'dy š'y 'w''
اسم المعبودة ،ويرى ليتلمان أنه مشتق من كلمة Š'y' š التى تعنى الميدان
المستوى(πλατεῖα).

(٣) Y. Meshorer, Nabataen Coins, Qedem 3, Monographs of the Institute of
Archaeology, Jerusalem (1975), pp, 35-45:رُسم على ظهر العملة رأس الملك
الحارث الرابع ، أما وجه العملة فصُور عليه رسم غير محدد مع كلمة hgr' .

(٤) لمراجعة الدليل الخاص بهذه الأماكن راجع: Negev (above,n.I) 631-35 إن البقايا الأثرية التى تم الكشف عنها فى سوباتا Sobata (سبيتا Sheita،شيفتا Shivta)لا تزال فى حاجة إلى نشر جيد .

(٥) عـن مـشكلة الميـاه فـى كـل مـن ممبيـسيس، وسـوباتا وإليوسـا راجـع : A.Negev (above,n.I),631-35., وبخصوص نظام الرى في عبودا Obodaراجع تقرير معاصر عن إعادة بنائه والموجود لدى : M.Evenari ,et al.,The Negev :The Challeng of a Desert (1971); rev. ed., 1982).

(٦)-P. J. Parrd,G. L. Harding,andJ. E. Dayton,Bull. Inst. Arch.Univ.London8-9 (1970), 255.

(٧) راجع الدراسة الهامة التى قام بها سارتر عن بُصرى: M. Sartre,Bostra,des origines àl'Islam .

(٨) See P. Hammond,The Excavation of the main Theater at Petra,1961-1962 (1965), pp,55-65,&G.R.H. Wright,"The Structure of the Qasr Bint Far'un," PEQ 93(1961),8-37.

(٩) J.Starcky&J.Strugnell,RB 73(1966),237.CF.P.j.Parr,"The Date of the Qasr Bint Far'un at Petra,"Ex Orient Lux 19 (1965-66),550-57.

(١٠) يذكر الفيلسوف أثينودوروس أنه أثناء إقامته في البتراء وجد عددًا كبيرًا من الرومان وأجانب من جنسيات أخرى فيها وذلك بسبب توفر الهدوء لأن الأنباط كانوا شعبًا مسالمًا –

γένόμενος γοϋν παρὰ τοῖς Πετραίοις 'Αθηνόδωρς 'ανήρ φιλόσοφος καὶ ἡμῖν ἑταῖρος ,διηγεῖτο θαυμάζων. εὑρεῖν γαρ ἐπιδημοῦντας ἐφη πολλους μεν 'Ρωμαίων πολλούς δε και των ἄλλων ξένων ".

(١١)-Cf.G.R.H.Wright,"The Khazneh at Petra :Review", ADAJ 6-7(1962),24-54;see also id.,PEQ 105(1973),83- 90.

(١٢) راجع التحليل الممتاز الذى قدمه أندرياس شميدت كولنت :-Andreas Schmidt-Colinet, "Nabatäische Felsarchitektur,"Bonner Jahrbücher 180 (1980), 189-230 esp. 217- 33، عن الخزنة والارتباط بينها وبين الرسوم الجدارية .ويمكن الاطلاع على عدد آخر من الآراء التقليدية عن الخزنة فى العدد السابق من السلسلة: Bonner Jahrbücher,231-36(Adnan Hadidi).وعن احتمال وجود آثار ترجع لعصر أغسطس في البتراء راجع: David Graf notes helpfully F.Zayadine on Petra tomb 813

in ADAJ 23(1979).197&P.H.Parr on the Conway High Place in PEQ 92(1960),124-35.

(١٣) وافق نجف على التاريخ نفسه A.Negev,PEQ 114(1982),125.

(١٤) CIS II.354(Petra).Steph.Byz.,s.v. Ὄβοδα كتب أورانيوس Uranius في تقريره في العربية Arabica أن مدينة عبادة كانت هى المدينة التى دفن فيها الأنباط الملك عبادة ὅν θεοποιοῦσι.(سبق اقتباس النص في ص. ٢٥ من الكتاب ،حاشية رقم(٤٧). عن أورانيوس راجع :J.M.I.West ,HSCP 78(1974),282-84.وعن شعيرة" زيوس عبادة"، راجع النقوش التى قام نجف بنشرها للمرة الأولى Negev(above,n.1),659،ولما كان موسيل هو الذى قام باكتشافه ،فقد أعاد نجف نشره برقم ٦٦٠ للمرة الثانية.وأعيد نشر أغلب النقوش الخاصة "بزيوس عبادة"فى:SEG 28.1370.1371.1372.ويعتقد نجف فى رأيه الذى ذكره في:SEG ،أن زيوس المذكور هنا يمثل معبودًا خاصًا بالمدينة أكثر من كونه زيوس عبادة ، وهو أمر يبعد عن الاحتمال فى ضوء تقرير أورانيوس SEG 28.1373،ولا نستبعد أن عباده قد تم تأليهه.

(١٥) (وكلاهما من البتراء) CIS II.354&PEQ 113(1981),22 IEG II(1961), 127 (Oboda).

(١٦) عن مناقشة المقصود بإطلاق كلمة "أخت ḥt'" على زوجات ملوك الأنباط راجع :Meshorer(above,n.3).p.61.وعلى أى حال سوف يعد أمرًا غير مناسب أن نضع حُكمًا على أساس الفسق بالمحارم الملكية كما كان الحال فى مصر خلال العصر البطلمى .عن هذا الموضوع راجع : K. Hopkins,"Brothers&Sisters Marriage in Roman Egypt,"Com.Stud.in Society and History 22(1980) ,303-354

(١٧) J. Cantineau,Le nabatéen II (1932),p.46[Miletus].Cf Strabo 16 .4.21,C 779.See above p.53,n.35.

(١٨) Meshoerer(above,n.3).pp48-49، خاصة بقطع عملة يوجد عليها حرفا "fş" ،وفى ص.٤٩ يوجد نموذج سجل عليه الحروف fs' l كاملة.

(١٩) PEQ 113(1981),22 ،قام ميليك J.T. Milik بترميمها والتعليق عليها ص.٢٥-٢٦.قرأ ميليك السطر الأول من نقش وادى موسى على أنه الآتى :lb 'šmyn 'lh mnkw.ولابد أن القارئ لاحظ أن ميليك فضل هنا أن يدعو ماليخوس Malicus باسم مانك Mank، ولكنه هو الحاكم نفسه، حيث ثبت وجود كل من مالكو mlkw ومانكو mnkw فى اللغة النبطية

(٢٠) عن الدليل :راجع الحاشية رقم (٢) أعلاه .

(٢١) وبخصوص استمرار استخدام طريق البتراء -غزة ،على الرغم من أن المرور عليه أصبح أقل كثافة خلال القرنين الثانى والثالث(راجع الرأى المعارض لذلك A.Negev ,PEQ 98[1966], 89 - 98)، راجع؛ Rudolf Cohen, The acta of the Eighth Arcaeological Conference in Israel ،وهناك بحث هام عن البتراء وغزة منشور في BiblArch 45(1982),204-47.ويستحق الإشارة للنتائج التى توصل إليها كوهين لاعتماده على الحفائر الأثرية ،بينما اعتمد نجف فى مناقشة رأيه على أعمال الرفع المساحى التى تمت على السطح وحَدد نجف (الملحوظة المذكورة أعلاه رقم ١٣) نهاية استخدام طريق البتراء – غزة بعام ٧ ميلادى اعتمادًا على نقص كمية الفضة فى بعض العملات النبطية لهذه السنة ,ولكنها قراءة ضعيفة؛ لأن قوائم مشورير Meshorer(above,n.3),pp.73-74التى قام نجف بإعادة نشرها ،تظهر أنه خلال الإصدار عام ٧ كانت نسبة الفضة تمثل وحدها مابين ٦٢%، ٥٤%،٤١½% ،بينما بلغ وزن الفضة فى بعض عملات الأنباط نسبة ٥٤%عام ٦ق.م.

(٢٢) Josephus,AJ 18.109-112. وعن هيروديياس،راجع . Matt.14. 3-12

(٢٣) Josephus,AJ 18.112-14.

(٢٤) عن جمالاGamala كموقع لاحظ ما ذكره يوسيفوس(في أرض الجمالين

έν γη τη Γαμλικη or Γαμαλίτιδι

راجع : Joshephus AJ 18 – 115 وعن الأمر الذى أصدره الإمبراطور تيبريوس إلى فيتيلوس.ويذكر(المؤرخ الرومانى) تاكيتوس أن يتيلوس قنصل عام ٣٤م ذهب إلى سوريا في السنة التالية كحاكم على الولاية : Tac.Ann.6.32.

(٢٥) ادعى نجف خطأ (above,n.1),568-69 أن النص الذى ذكره يوسيفوس يوضح وجود جَبَلِيتيدى Γαβλίτιδι ثم أخذ يهاجم ستاركى فى تحويله أحداث الفترة إلى جمالا (Starcky SDB 914). وفى الواقع فإن نجف وليس ستاركى هو من قام بتغيير الأماكن وليس ستاركى دون وجود ضرورة لهذا التغيير .وعن موقع جمالاGamala فى جاملJamle راجع: Dussaud(above ,n.2),p. 386.

(٢٦) Josephus,Aj 18.114.

(٢٧) phus,AJ 18.114:" فر هؤلاء اللاجئون من جيش هيرون الذىكان موجودًا فى أملاك فيليب προδοσίας αυτω γενομέυης υπ 'ανδρων φυγάδων ,οι οντες εκ της - φιλίππου τετραρχίας Ἡρώδη συνεστράτευον.

(٢٨) عن فترة العشر سنوات التى تغيب فيها أيميليوس لاميا L. Aelius Lamia عن الولاية ، راجع : Tac.,Ann.6.27 يبدو أن بومبونيوس فلاكوس L. Pomponius Flaccus قنصل عام ١٧ خلف لاميا عام ٣٢م.وسجل تاكيتوس وفاته فى أحداث عام ٣٣.ولا نستطيع أن نحدد ما إذا كان يعنى ذلك أن تاكيتوس قد سجل وفاته في ذلك العام (كما هو واضح بجلاء)أم أن تاكيتوس سجل خطأ سنة وفاته لأسباب فنية لا يمكن تحديدها .ولايعرف هناك حاكم تولى بعد فلاكوس قبل أن يَشغل فيتيلوس المنصب عام ٣٥.راجع عن كل جوانب الموضوع : W. Orth,"Die Provinzialpolitik des Tiberius,"Diss.Munich(1970),pp. 82-85.

(٢٩) Josephus,AJ 18.115.120-24.

(٣٠) Josephus,Aj 18.237 . شملت المنحة التى حصل عليها هيرود أجريبا"نصيب ليسنياس την Λυσαίου τετραρχίαν"والتى يبدو أنها كانت تعنى فى ذلك الحين أبيلاAbilla ،التى تقع غرب دمشق ((AJ 19.275 and 20.138). ويبدو أن ليسنياس Lysaniasكان شخصية لها وزنها فى أثناء الحكم الثلاثى .

(٣١) 2 Cor.11.32-33.Cf.Gal.1.15-17

(٣٢) Acts 9.23-25.

(٣٣) كان قائد الملك الحارث يقوم بتأمين دمشق εν Δαμασκω ο'εθνάρχης 'Αρέτα τοῦ βασιλέως 'εφρούρει την πόλιν Δαμασκηνων" راجع" 2Cor.11.32 .

(٣٤) Josephus,AJ 18.252(Galilee):19.351(Judaea).عن تولى ماليخوس العرش مباشرة بعد الحارث الرابع دون تداخل ملك آخر بينهما (مثل أبياس Abias) الذى ذكره يوسيفوس (AJ 20.77)، راجع Starcky.SDB 916.

(٣٥) Josephus, AJ 18.108.

(٣٦) Josephus,AJ 20.138;BJ 2.247. عن هيرود أجريبا الثانى راجع: E. Schürer,The History of the Jewish People in the Age of Jesus Crist,rev. Miller & Vermes (1973), pp.471-83.

(٣٧) Periplus ,ch.19. : "فى البتراء حيث يوجد ماليخوس ملك الأنباط εις Πέτραν προς Μαλίχαν ,βασιλέα Ναβαταίων".عن النقل الحرفى للكلمة الأخيرة ،راجع أعلاه ص ٥٣ ، ٥٤ حاشية رقم ١٩.وتم الآن الفصل في القضية التى سبق أن بذل فيها الجهد فيما يتعلق بوجود ملك آخر يدعى ماليخوس الثالث من خلال أرشيف الوثائق(أوراق البردى) الخاصة بباباثا Babatha ؛ راجع :Y.Yadin,IEJ 12 (1962), 227 - 57 . وراجع أيضًا : M. Raschke, ANRW II.9.2(1978),549 ، (حيث أصبح من الممكن وضع تاريخ منتصف

القرن الأول بالنسبة لكتاب الطواف). ومن المؤسف له حقا أن جيروم لن يستطيع الاطلاع على نتائج الكشوف في السنوات العشرين الأخيرة (بسبب وفاته).

(٣٨) Periplus,ch.19. عن لكتشاف الرياح الموسمية راجع ص.٢١أعلاه ،حاشية رقم ٣٣.

(٣٩) Ibid ."يوجد مركز للضرائب في قرية ليوكى كومى φρούριον ο 'λέγεται Λευκη κώμη

"ولاحظ ليضًا "وجود قائد المائة المكلف بأمر المنطقة χάριν πραφυλακης εκατοντάρχης μετα στρατεύματος

ولايزال موقع ليوكى كومى غير واضح حتى الآن .ويقترح كيرفان أن منطقة عينونة Ainūna' "هى المكان الذى يجب البحث فيه عن ميناء ليوكى كومى القديم

L. Kirwan,"Where to Search for the Ancient Port of Leuke Kome Second ",International Symposium on the History of Arabia ,Pre – Islamic Arabia,mimeographed(Riyadh,1979).

(٤٠) Ibid:"الموظف المختص بجمع ضريبة الربع

Παρλήπτης της τεταρτης των εισφερομένων φορτίων'' . H.Seyrig, Syria 22 (1941),263-66(Palmyra)

(٤١) لاحظ منصب الكنتوريون "qnṭryn" في مدائن صالح : CIS II,217 ، ومن الممكن مقارنته بمنصب " القائد المشرف على المنطقة "χάριν παραφυλαης في كتاب الطواف Periplus, ch. 19 ،ومع الجملة المذكورة في نقش نبطى آخر من هجرا Hegra (A.Jaussen &R.Savignac,Mission arch.en Arabie II[1914],no246) -,- "fršy'nṭryn الفرسان الذين يقومون بالحراسة ".

(٤٢) Meshorer(above,n.3),p.67 يمكن ملاحظة تاريخ انقطاع صك العملة فى النقود الفضية فقط، ومن المحتمل نظريًا استمرار صك العملات البرونزية.

(٤٣) CIS II.161،العام الأول في حكمه هو ٧١/٧٠ .وسبق أن استخرجت بداية حكم رابيل الأول منذ فترة طويلة من المصدر التالى : .CIS II.349 (Cf. Starcky ,SDB 905)

(٤٤) Josephus,BJ 3.68.

(٤٥) وهذه الملاحظة أبداها مشورير :Meshorer(above,n.3).p.67.

(٤٦) راجع الحاشية رقم٤٤أعلاه .

(٤٧) عن فرضية تدهور أو حدوث كارثة في عهد ماليخوس راجع: Negev (above,n,I), 570&637, as well as id,.PEQ 108(1976),125-33.

(٤٨) على سبيل المثال "المنقذ ومانح شعبه الحياة - Cantineau "dy'hyy wšyzb ʻmh (above,n.17), p.9،ومن المنطقى أن يكون لهذه العبارة ارتباط بالقضاء على ثورة الدماسى Damasī ،راجع ملحق رقمII وأيًا كان الأمر الذى حرر رابيل شعبه منه فيمكن أن يفسر أيضًا الظهور المفاجئ للموظف المسئول عن المدن العشرة فى عصر دومتيان : B.Isaac,ZPE 44(1981),67-74 : .وكان بعض مدنها يقع فى منطقة الأنباط .(cf.above,p.30,n.12) .

(٤٩) الإله الموجود فى بُصرى - mr' n' dy bbṣr' "،انظر Cantin-eau (above,n.17), p.21.

(٥٠) "أرا الموجود في بُصرى l'r'dy bbṣr' ":CIS II. 218، ولما كان النقش يؤرخ بالعام الأول من عهد ماليخوس ،فإن الإشارة إلى رابيل (إله رابيل l'h rbl')إما أنها تتعلق برابيل الأول ، أو الأرجح برابيل الثانى قبل أن يتولى العرش ،ومن الملاحظ أنه لم يوصف هنا بأنه ملك .

(٥١) The Catalogue of the Museum of Lyon,Pétra et la Nabatène (1978), p.82 (section written by J.M.Dentzer& S.Moudad).

(٥٢) Jaussen &Savignac(above,n.41).no.321.وعن نص أخر لرابيل من السنة نفسها راجع : RB 8(1911),273 -77(Hawrān)

(٥٣) Cantineau(above,n.17),pp.9-10،راجع المناقشة الخاصة بهذا النص لدى Meshorer (above ,n.3),pp.78-79.

(٥٤) Cantineau(above,n.17)، النص المذكورفى الحاشية السابقة، السطران ٧-٨" ، w]]lḥyy gmlt wḥgrw 'ḥwt[h m]lkt nbṭw bny mlkw [mlk]' mlk nbṭw.

(٥٥) قدم بولوسكى تقريرًا عنها ولكنه لم ينشره كاملاً : J.Polotsky, IEJ 12 (1962),258-62.& Y,.Yadin,Ex Oriente Lux 17(1963) 227-41.Cf.H.J.Wolff,ANRW II.13 (1980), 763-806 نشر بولوسكى ثلاث وثائق منها : Polotsky,Eretz Israel 8 (1967). 46-50, and republished ,with English transl- ation,by N. Lewis,III.Class. Stud.3 (1978),100-14.

الفصل السادس

الولاية الجديدة

THE NEW PROVINCE

أثناء قيام الإمبراطور هادريان بجولته الكبرى إلى سوريا وفلسطين عام ١٣٢م، وخلال المرحلة المبكرة من ثورة اليهود الكبرى التى قام بها باركوخبا ضد الرومان ، لجأت باباثا اليهودية ابنة سيميون Simeon إلى الكهوف الواقعة غرب البحر الميت لكى تحمى نفسها وأرشيف وثائق عائلتها الثمين ، وكانت حياتها قد اضطربت اضطراباً كبيراً نتيجة للمشاكل القانونية التى واجهتها عقب موت زوجيها ، وحرصت بشدة على أن تحمل معها إلى الكهف خمساً وثلاثين وثيقة تتعلق بأملاك أبيها ، والوصاية على ابنها، ومُطالبَات أسرة زوجها الثانى ، أخذتها باباثا معها إلى الكهف فى عام ١٣٢ حيث كانت باباثا تأمل فى النجاة أثناء وقوع الثورة ، ولكنها لم تتمكن من ذلك ، وبعد نحو ألفى عام نجح الحفارون من استعادة أرشيف باباثا الهام من بين قطع النسيج الكثيرة والسلال ، وأدوات صناعة الجلود التى كانت موجودة فى الكهف[1]. كتبت الوثائق باللغة اليونانية والنبطية، والآرامية، وهى تغطى الفترة الكاملة لتحول مملكة الأنباط إلى الولاية الرومانية العربية الجديدة، وحتى عام ١٣٢ كانت الولاية لا تزال توصف بأنها جديدة، على الرغم من أنه كان قد تم استبدال حكم مملكة الأنباط منذ عام ١٠٦ بالحكومة الرومانية[2].

وكانت هذه فترة التغييرات السريعة فى الشرق الأدنى ، وليس من السهولة بمكان معرفة الأسباب المحددة التى أدت إلى ضم مملكة رابيل الثانى إلى الإمبراطورية الرومانية ، كان رابيل نفسه هو صاحب فكرة تحويل مركز حكمه من البتراء إلى

بُصرى، ووصف ، كما سجل فى نقشه، بأنه "واهب الحياة والمخلص لشعبه" من محن وتهديدات غير محددة .

تختص الوثائق الأربع الأولى من أرشيف باباثا بالسنوات الأخيرة من عصر رابيل ، وتؤرخ أقدم وثيقة من هذه الوثائق بعام ٩٣ م، وآخرها بعام ٩٩م.(٣). ويكشف أهم جزء فيها عن الاستقرار والمجتمع الآمن الذى أمكن فيه رؤية الطبقة البيروقراطية النبطية تبارك جهود أسرة يهودية للإقامة فى مملكة الأنباط فى منطقة مجاورة للعرب . كان سيميون بن مناحم Simeon son of Menahem قد حصل على أراضٍ فى مدينة ماحوزا Mahoza فى إقليم زوآر ,Zoar وصفت صراحة على النحو التالى :"إلى الجنوب تقع حديقة مولانا رابيل ملك الأنباط ، الذى حافظ على حياة شعبه ومخلصه، وإلى الشمال تقع الأحراش " (٤). ولما كانت أشجار النخيل تنمو فى أملاك سيميون ، فإن منطقة زوآر المذكورة ربما كانت توجد فى الإقليم الذى يقع جنوب البحر الميت ، وبالتحديد حيث تنمو أشجار النخيل التى كانت مُمثلة على خريطة الموزاييك فى منطقة مأدُبة" Madaba بعد عدة قرون تالية . وقام سيميون بشراء الأرض عن طريق قلم كُتاب الأنباط ، واشترط أنه فى حالة فسخ العقد يدفع الغرامة إلى ملك الأنباط ، وبالمثل إلى الجانب المُتضرر ، ومُنح المشترى حق بيع أملاكه ورهنها ونقلها إلى آخر ، أو التصرف فيها بالطريقة التى ترضيه ، منذ اليوم الذى تم فيه كتابة العقد وإلى الأبد . كذلك مُنح حقوق رى الأرض ، مع تحديد التفصيلات الخاصة بعدد الساعات وأيام الأسبوع التى يمكن رى الأرض فيها (٦) ، ويوضح عقد البيع إجراءات قانونية متقدمة تثير الدهشة فى مملكة الأنباط ، وقبول إقامة يهودى جديد من المجتمعات اليهودية عبر الوادى بمحض الاختيار على الدوام . أما عن مدى جودة الأرض ونجاح نمو أشجار النخيل فيها فقد تم ضمانها بقربها من أملاك حدائق رابيل الملكية لأنها تقع إلى جنوبها مباشرة .

لا يوجد فى أرشيف باباثا أى وثائق خاصة بالسنة التى وضُعت فيها نهاية مملكة الأنباط ، أو من السنوات التى تلت ذلك الحدث مباشرة ؛ ولكن يتضح من وثيقة تؤرخ

بعام ١٢٠ أن حقوق سيميون فى إدارة أراضيه والتى كان يضمنها العقد الذى عقده مع الأنباط كانت لا تزال سارية المفعول فى عهد الحكومة الرومانية ، ففى عام ١٢٠ قام هو بتحويل كل أملاكه فى أثناء حياته إلى زوجته ميريام Miriam ، والدة باباثا[٧]، وتم تأريخ وثيقة عام ١٢٠ بعصر هادريان بوصفه قنصلاً إلى جانب تأريخ الولاية (منذ تكوين الولاية العربية)، ويكشف تحديد حدود أملاك سيميون عن تحرك عدد كبير من اليهود داخل إقليم زوآر فى الفترة ما بين عام ٩٩ وعام ١٢٠ . فبعد أن كانت أسماء الجيران مقتصرة على الأنباط ، صار واضحًا الآن أنهم أصبحوا يهودًا[٨]، ولما كان من خلال عدد من وثائق المجموعة يمكن رؤية أن المنطقة وقعت تحت الإدارة العامة للبتراء، فمما يدعو للشك أنه مع تحول مركز حكم الأنباط من البتراء إلى بُصرى ، واحتفاظ الرومان ببُصرى كعاصمة للعربية ، فقد زادت الفرص نتيجة لذلك لشراء الأراضى الواقعة فى شمال غرب البتراء ، ومن المحتمل أن تحرُّك أعضاء من البيروقراطية النبطية والنبلاء إلى بُصرى مع رابيل أدى إلى إمكانية الرغبة فى شراء تلك الأراضى ، والشىء الوحيد الواضح أنه لم يكن هناك صعوبات أمام المقيمين الجدد فى زوآر .

وبخلاف الوثائق الخاصة بأملاك سيميون ، فإن أغلب وثائق أرشيف باباثا يتعلق بالمنازعات القانونية المعقدة التى كانت تحاول فيها جاهدة اتباع أفضل وسيلة للحفاظ على حقوق ابنها بعد وفاة زوجها الأول ، وبالتالى حماية نفسها ضد ادعاءات الزوجة الثانية لزوجها . إن جميع هذه المنازعات القضائية المعقدة التى تمدنا بثروة هائلة من المعلومات التى تتعلق بالإدارة القانونية فى ولاية رومانية تعود إلى الفترة التالية لضم ولاية العربية لروما مباشرة، ويبدو أن أهم الخصائص الملحوظة التى تميز الوثائق هو الظهور الواضح للطابع الرومانى للقانون الذى كان مطبقًا فى هذا الإقليم الحدودى ذى التقاليد السامية واليونانية [٩]. قام مجلس الشورى boule فى البتراء بتعيين أوصياء على ابن باباثا طبقًا لقانون الوصاية الرومانى datio tutoris، وتقدم إحدى الوثائق نسختين لنص يونانى للصيغة الرومانية actio tutelae للإجراءات[١٠]. قُدمت ادعاءات باباثا القانونية طبقًا للقانون الرومانى وكانت مشفوعة بترجمة يونانية ،

ولكن فى إطار سامٍ ، وهى تقدم دليلاً جديداً وواضحًا للأسلوب المُعقد الخاص بضم الولاية الذى ورد عند أميانوس ماركلينوس Ammianus Marcellinus ، ومما لاشك فيه أن أميانوس الذى ولد فى مدينة أنطيوخ السورية من المفترض أنه يعرف ما كتبه بخصوص ضم الولاية قائلاً: "لقد ألزم الإمبراطور تراجان العربية بالخضوع لقانوننا- obtemperare legibus nostris Traianus conpulit imperator" (*) ومن الواضح أن المعنى العام لهذه العبارة هو أن ضم تراجان كان يتضمن خضوعها لنظام القانون الرومانى ، وعلى أى حال فإن موضوع التحايل فى ضمها وطبيعته لم يتم توضيحه من خلال أرشيف باباثا.

ولا يتضح أيضًا ما إذا كان الفعل "يرغم conpulit" الذى استخدمه أميانوس يشير إلى قوة عسكرية أو أنه يعنى باختصار الإقناع المعنوى . إن جميع ما لدينا مما كتبه كاسيوس ديون Cassius Dio عن تلك الفترة عبارة عن ملخص بيزنطى ربما يتطابق أو لا يتطابق مع كلماته الفعلية ، وهذه العبارة المختصرة يوضح فيها أن حاكم سوريا" كورنيليوس بالما Cornelius Palma" تمكن من أن يجعل العربية تخضع بسلام للحكم الرومانى – την Αρααβιαν την προς τη Πετρα ετρα εχειωρσατο Και Ρωμαιωψ υπηΚοον εποιησατο[١٢].

إن إخضاع العربية لروما تم دون شك بهدوء ؛ ولكن من ناحية أخرى فإن الفعل εχειρωσατο يشير إلى نوع من الهزيمة أو الإذلال للأنباط[١٣]. وفى الواقع إن همَّة

(*) ولد أميانوس ماركلينوس لأسرة ثرية من أنطيوخ بسوريا حوالى عام ٣٣٠ م. ويعد آخر كبار المؤرخين الرومان . كان رجلاً عسكريًا ، كتب عمله Rerum Gestarum باللغة اللاتينية غطى فيه الفترة بين عامى ٣٥٣ – ٣٧٨م. فقدت الكتب الثلاثة عشر الأولى منه ، وتضم الكتب من ١٤–٣١ رواية متصلة للأحداث عامى٣٥٣/٣٧٨م. اشترك أثناء عمله العسكرى فى العمليات العسكرية ضد فارس وزار اسبرطة، وعاش فى أواخر حياته فى روما التى كتب فيها مؤلفه الذى يبدو أنه انتهى منه حوالى عام ٣٩١ . تميز أميانوس بنظر ثاقب، ورأى حيادى غير مُسبق لتقييم الأحداث ، وكان على قدر كبير من الثقافة يتضح من سعة اطلاعه على المؤلفات اللاتينية فى عصره ، والتى كثيراً ما استعار منها بعض المقاطع والعبارات. الروبى ، "الجزيرة العربية "ص. ١٠

حـاكم سـوريا فى تمكنه من ضم مملكة الأنبـاط تجـعلنا نرجح ضـرورة وجـود بعض القوات العسكرية ؛ فقد سبق تحريك فرقتين مساعدتين ونقلهما من مصر إلى يهوذا (فلسطين) فى السنة السابقة لضم العربية ، كما أنهما وجدتا منذ تاريخ مبكر فى العربية ، مما يدل على وجود خطة أكبر للاستيلاء على العربية (١٤). إن الضم السلمى لممالك أخرى فى تاريخ الإمبراطورية المبكر لا يتضح منه أن إمكانية طلب المساعدة من حاكم ولاية أخرى يُعد أمراً طبيعياً ، وتُظهر وثائق باباثا الخاصة بعصر رابيل الثانى أن رابيل كان له ابن يسمى عُبادة يبدو أنه كان وريثه كما هو واضح (١٥). لذلك لايمكن القول بأن ذلك الحدث كان بمثابة نهاية الأسرة .

فى مطلع السنة الأولى بعد ضم الولاية فى عام ١٠٦م، توضح وثيقة بردية من كرانيس Karanis(*) حضور جنود من الفرق الرومانية للعمل فى الإنشاءات فى الجزء الجنوبى من الولاية (١٦). فإذا كان جنود الفرق موجودين هناك عام ١٠٧ فالاحتمال القائم أنهم حضروا إلى هناك فى السنة السابقة خلال عمليات الاستيلاء على الإقليم . ولوحظ أن الكتابة التى ظهرت على العملة فيما بعد لتخليد تأسيس الولاية الجديدة كُتب عليها ضم العربية Arabia capta(١٧). إضافة إلى ما تقدم فلم يتخذ تراجان لقب العربى Arabicus إطلاقاً من بين ألقابه ، بينما أضاف إلى ألقابه "فاتح داكيا Dacius" لتخليد فتح ولاية داكيا على مرحلتين. وإذا قمنا برصد الأدلة الخاصة بضم ولاية العربية فإنها تشير إلى الوجود العسكرى ، وربما وقوع بعض المناوشات ، ولكن لم يكن هناك اشتباك كبير . لقد اتضح وجود فرقة قورينة الثالثة Cyrenaica 111 فى جنوب البتراء ، ولما كانت هذه الفرقة سبق وجودها فى مصر من قبل ، فهذا يعنى وجود محورين لغزو المملكة :

(*) تقع قرية كرانيس فى مدخل مدينة الفيوم من محافظة الجيزة ، كشفت بعثة جامعة متشيجان الأمريكية عام ١٩٣٦/١٩٣٨فى موقعها الأثرى عن كم هائل من أوراق البردى اليونانية واللاتينية ، كان قد نشر منها حتى عام ١٩٧٣ أكثر من خمسة آلاف وثيقة جمعتها المترجمة أثناء دراستها فى جامعة كمبردج البريطانية ، واستخدمتها فى رسالتها للحصول على درجة الدكتوراه بعنوان : "كرانيس فى العصر الرومانى ، دراسة اقتصادية اجتماعية فى ضوء الوثائق البردية"، من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦ التى حصلت عليها بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى .

من الفرق القادمة من مصر والتى دخلت من الجنوب عن طريق سيناء والعقبة ، وقوات كورنيليوس بالما Cornelius Palma القادمة من سوريا فى الشمال . وهناك عامل يدعونا إلى الاعتقاد أن فرقة فراتا السادسة Ferrata V1 التى كانت تكون جزءاً من حامية سوريا ، وجد جزء منها على الأقل فى ولاية العربية فى الفترة المبكرة [١٨]. ومن المحتمل أن حضور الفرق الرومانية إلى المناطق الرئيسية فى مملكة الأنباط كان كافياً لإقناع الأنباط بعدم القيام بشن حرب كبيرة ليس لديهم أمل فى الانتصار فيها ، والاحتمال الأكبر أن تاريخ وقوع هذه العمليات يرتبط بموت رابيل ، الذى ظل على العرش منذ عام ٧٠م.

كانت الحرب فى داكيا لاتزال دائرة حتى هذا التاريخ ، ومن الصعوبة بمكان الاعتقاد أن تراجان أولى أى اهتمام جاد للقيام بإعداد عملية عسكرية كبيرة فى الشرق . لقد كان يعرف الشرق الأدنى معرفة جيدة من خلال عمله فى معسكر والده ، الذى كان حاكماً على سوريا خلال عهد الإمبراطور فسباسيان Vespasian[١٩] ، ولاشك أنه أدرك بوضوح أن مملكة الأنباط كانت تمثل الجزء الأخير أو -الجزء المفقود - فى تأمين سيطرة الرومان على جميع أنحاء البحر المتوسط . كانت كل من مصر ويهوذا (فلسطين) أجزاء من الإمبراطورية الرومانية ولم يتبق سوى مملكة الأنباط المتحضرة والمسالمة بملوكها المثقفين ، لقد نضجت الآن وحان قطافها . ويبدو أنه سبق أن قرر فى فترة مبكرة من حكمه أنه عند موت رابيل يجب على القوات الرومانية أن تنتهز الفرصة لتحويل مملكته إلى ولاية جديدة . إن هذا النوع من التخطيط السياسى يتم تنفيذه فى اللحظة التى تقررها الظروف الطبيعية ، ويمكن أن يفسر بها القيام بالعملية فى أثناء انشغال تراجان الكثيف فى البلقان .

هناك اعتبارات مشابهة يمكن أن توضح أشكالاً غامضة أخرى وهى غالبًا لم تكن ملحوظة فى السنوات الأولى من تاريخ الولاية تتمثل فى فشل الحكومة الرومانية فى الإعلان عن ضم الولاية الذى حدث فى عام ١٠٦ قبل عام ١١١[٢٠]؛ حيث لا يوجد أى نقش أو أية عملات قبل هذا التاريخ للاحتفال بضم مملكة رابيل ، على أى حال لم يَضع الوقت سُدى ، فقد انشغلت الفرق الرومانية بشدة كما رأينا سابقًا فى أعمال

التشييد والبناء ، وربما بناء الطرق ، بعد السنة التى أعقبت ضم المملكة ، وتم الاعتراف بحاكم الولاية الجديد من قبل ، كما هو واضح من النقش النبطى المؤرخ بالسنة الثالثة من حكم الولاية [٢١].

فى خلال سنوات الصمت الخمس بعد ضم الولاية قام الرومان بتثبيت سلطتهم فى مملكة الأنباط السابقة . وتتمثل أكبر آثارهم الواضحة فى الطريق العظيم الممتد هابطًا إلى رأس خليج العقبة على طول طريق الملوك السريع . وهو طريق تراجان Via Nova Traiana, الذى سُجل اسمه لتخليده على العديد من علامات الطريق ، وجميعها مؤرخه من عام ١١١وما يليه[٢٢]. كان جايوس كلوديوس سيفروس C.Claudius Severus هو الحاكم خلال فترة البناء ولعدة سنوات تلتها، وقد مكنته فترة حكمه الطويل من إتمام البناء قبل اعتزال المنصب ، وجاء خلفًا لكورنيليوس بالما مباشرة بعد ضم الولاية رسميًا ، وظل شاغلاً لمنصب الحاكم خلال فترة قنصليته حتى عام ١١٥ على الأقل[٢٣].

وبالمصادفة التى نادرًا ما تحدث ، توافق الإعلان العام عن طريق تراجان الجديد على علامات الطريق على طول الولاية ، مع بداية الدعاية فى السنة نفسها على عُملة تراجان عن ضم العربية . وتؤرخ العملة العربية الأولى بالقنصلية الخامسة لتراجان ، التى بدأت عندها إصدار سلسلة من عُملة الولاية فى الظهور منذ عام ١١٢ واستمرت حتى عام ١١٤ . إن عملة القنصلية الخامسة سواء تم اعتبار أنها كانت خاصة بالولاية أو أنها رومانية ، لابد أن تكون قد صُكت فى العام الأخير الذى حمل فيه الإمبراطور لقب القنصل للمرة الخامسة (cos.V) وكان ذلك فى عام ١١١[٢٤]. والعملة الخاصة بالولاية التى ضربت إما فى انطيوخ أو فى بُصرى ، تحمل صورة نصفية لتراجان على وجه العملة ، وصورة عربى مع الجمل على الظهر وهى تتطابق مع ما تم تسجيله على نُصب طريق تراجان[٢٥] ، وربما لم يكن لدى تراجان الرغبة فى إثارة الانتباه إلى ما يقوم به فى حالة ما إذا توسع فى الدعاية للموضوع، ويمكن أن يفسر التأخر فى الإعلان عن ضم الولاية من خلال العملة والنقوش كعمل إدارى فى انتظار إتمام العمل،

وباختصار أن يواجه الشرق الأدنى بعمل مكتمل . وبحلول عام ١١١- كما أثبت نقش لوح الحدود - كانت العربية قد أخذت طابع الولايات redacta in formam provinciae .

وضع عام ١١٤ نهاية لصدور عملة الولاية العربية ، ولكن فى ذلك الوقت نفسه تماماً ظهر إصدار جديد ، على هيئة دراخمات مع رسم الجمل(٢٦). وعلى أى حال فإن شكل هذا الجمل لم يكن هو شكل الحيوان نفسه الذى رأيناه على عملات الولاية ، ولكنه جمل باكتيرى ذو سنامين . وتوضح العملات العربية أن التهجين كان جيداً، حيث إن هذا النوع من الجمال كان هو الذى نشاهده فى العربية ، وينتمى الجمل الباكتيرى إلى أقاليم تقع أبعد شرقاً وتتجه شمالاً فى بعض الأحيان إلى إقليم أفغانستان وإيران . ولما كان تراجان متواجداً فى منطقة الشرق الأدنى عام ١١٤م. فى المرحلة المبكرة من حملته الفارسية، فالاحتمال الأكبر هو أن إصدار عملة الدراخمات التى عليها صورة الجمل الباكتيرى من هذه السنة كان مخططاً له . ولم يعد هناك شك أن الإمبراطور كان ينوى فى عام ١١٤متابعة السير شرقاً ، لمهاجمة قلب الإمبراطورية الكبرى فى إيران(٢٧). وكان من الواضح بالنسبة له ضرورة تأمين الدول التى تقع خلفه أثناء سيره فى اتجاه الشرق . ويبدو أن تهيئة العربية بإنشاء الطريق العظيم الذى يربط سوريا بخليج العقبة ، وترسيخ السلطة الرومانية فى بُصرى كان بمثابة مراحل من خطة رئيسية لغزو الفرس .

يبدو أنه ليس من قبيل المصادفة أن النُصب التذكارى الأكبر لتراجان فى العربية الرومانية يتمثل فى قوس النصر فى البتراء، حيث قامت المدينة بتكريمه بتسجيل نقش رائع عليه ، ووضحت أنه تم تكريمها فى الوقت نفسه من قبل الإمبراطور على أنها المدينة الأم - الكبيرة - metropolis للولاية (٢٨). وحديثاً أوضح النص الكامل لذلك النقش أن تراجان كان هو اللقب الشرفى للمدينة الذى شاركه فيه الإمبراطور هادريان بزيارته للمدينة فيما بعد . إضافة إلى ذلك فإن فرقة قورينة الثالثة التى لحقت بحملة تراجان قامت بتكريم الإمبراطور بتنصيب قوس نصر كبير له فى السنة التالية فى دورا يوروبوس Dura Europus بالقرب من الفرات(٢٩). ويبدو كما لو أن مهمة كلوديوس سيڤروس فى ولاية العربية والتى دامت حقبة كاملة من الزمان ، كانت بغرض مواصلة

الاستعدادات والتجهيزات لتحقيق حلم تراجان الكبير في إعادة فتوح الإسكندر الأكبر وفتح مملكة إيران . لم يكن تراجان يعرف على نحو مؤكد متى سيموت رابيل ، ويبدو أنه كان لديه سببًا مقنعًا بسبب تقدم رابيل في السن أن وفاته ستحدث في فترة ما خلال حكمه الإمبراطوري ، وعندما حانت اللحظة ، أرغمت القوات الرومانية الأنباط على التسليم ، وسمحت للرومان بإتمام تنظيم الإقليم ، بينما كانت أنظار العالم الروماني مشدودة إلى المعارك الشهيرة في داكيا ، وعندما نستعيد تقارير حياة أسرة باباثا الخاصة عام ١٢٠ ، نرى أن تراجان قد توفي ، وقدر الفشل لحملته الكبيرة ، لكن الولاية العربية ظلت بامتلاكه لها في الشرق الأدنى قائمة، بقواتها الرومانية، وحاكمها الروماني، وقانونها الروماني .

لقد أصبح واضحًا من خلال منح تراجان لقب المدينة الأم metropolis إلى مدينة البتراء عام ١١٤، أنه لم يكن يقصد من وضع عاصمة الولاية في بُصرى ، أن يُلغي دور البتراء كمركز للقسم الجنوبي من الإقليم العربي ، وسبق أن رأينا أن الأوصياء على ابن باباثا قد تم تعيينهم في مجلس شورى boule البتراء ، كما يتضح من وثيقة ترجع لعام ١٢٤ أن هناك سجلاً للتنظيات كان موجودًا في وثائق acta مجلس البلدية[٣٠] . ووصفت وثيقة هذا العام بوضوح على أنها صدرت في مدينة البتراء الأم في العربية εν ΠετΡα μητΡοπολει Τηs Apabías . وقامت باباثا في السنة التالية باستدعاء أحد الأوصياء ليحاكمه حاكم ولاية العربية ، جوليوس جوليانوس Julius Julianus في البتراء[٣١]. إن وجود الحاكم في هذه المدينة في مثل هذه الظروف لا يدل كما يظن البعض على أن المدينة كانت عاصمة الولاية في أواخر عهد هادريان ، بل يدل ببساطة على أن الحاكم في هذه الولاية مثل غيرها من الولايات كان يسافر إلى المدن الكبيرة خارج العاصمة لكي يقوم بعقد المحاكم وإقرار العدالة [٣٢](*). إن

(*) عن تصريف الولاة الرومان لأمور العدالة في ولاياتهم ، راجع جولات والي مصر في ولايته للإشراف على هذا الجانب في : لويس(نافتال) ، الحياة اليومية في مصر الرومانية ، ترجمة الروبي (آمال) القاهرة ٢٠٠٥ ص ٢٧٩-٢٩٤.

المحكمة التى لجأت إليها باباثا فى البتراء تشير إلى أن المدينة كانت تُعد من بين مدن الولاية المهمة .

وهناك إشارات إضافية تؤكد استمرار ازدهار البتراء تحت الإدارة الرومانية ، ليس أقل شأنًا منها ذلك القبر الضخم الخاص بتيتوس أنينيوس سيكستوس فلورينتينوس T. Aninius Sextius Florentinus والذى سُجل اسمه باللغة اللاتينية على المقبرة [٣٣]. لقد ظهر هذا الشخص ثانية فى أرشيف باباثا ، ويمكن أن تؤرخ فترة حكمه بعام ١٢٧ بكل تأكيد[٣٤]. إن مجرد التفكير بأن مدينة البتراء تُعد مكانًا مناسبًا لبناء قبر موظف رومانى كبير فى الولاية بمثابة إشارة بليغة بما فيه الكفاية على رفعة شأن المدينة فى عصر هادريان .

إضافة إلى ما تقدم فإن إجراء الحفائر المنظمة فى المنطقة السكنية فى البتراء يقدم دليلاً آخر على استمرار سُكناها بدون انقطاع خلال العصر الرومانى ، وحتى وقوع الزلزال الكبير فى منتصف القرن الرابع الميلادى[٣٥]، وتم الكشف حديثًا عن معبد مع أسود مجنحة ، وبقايا تمثال درفيل، تم التأكد من أنه معبد لربة وجدت صورتها هناك ، وكانت معروفة من قبل فى تيماء 'Teimā والرمة Ramm فى الجنوب بأنها العُزى al- 'Uzzā التى تطابق الربة السورية أتارجاتيس Atargatis ، أو بمعنى آخر أفروديت Aphrodite العربية [٣٦]. وقدّم اكتشاف هذا المعبد شرحًا لإحدى الجُمَل الغامضة فى أرشيف باباثا . حيث تذكر الوثيقة أنها صدرت "فى البتراء الأفروديسية εν τω εν Πετρα, 'ΑΦρΟδεισιω [٣٧]. وعلى الرغم من اقتراح أحد الباحثين أن ذلك البناء هو قصر البنت[٣٨] ، فإن اكتشاف معبد أفروديت العربية (العُزى al- 'Uzzā) رجح الاحتمال بأننا هنا على الضفة الشمالية لوادى موسى فى قلب المدينة حيث يوجد مكان معبد أفروديت [٣٩]، تأتى الصعوبة الرئيسية فى المشكلة فيما قرره القائمون على عمليات الحفر فى الموقع بأن المعبد قد حُرق فى آخر سنة من حكم رابيل الثانى لذلك تُرك بدون سقف بعد ذلك [٤٠]، وبطبيعة الحال وضِع سقف خشبى فى مكانه على المبنى فى الحقبة المبكرة من تاريخ الولاية ، وربما يشتبه فى أن الدمار الذى تسبب فى ذلك

وقع فى فترة متأخرة بعض الشىء تتفق مع الدمار الذى سُجل فى عقدات Avdat (إذا أمكن تأريخه بمنتصف القرن الثانى الميلادى)(٤١).

لم تكن البتراء هى المدينة الوحيدة الكبيرة فى الولاية إلى جانب بُصرى ، فقد اتضح من طبعات الأختام التى تم كشفها فى ممبسيس Mempsis فى النَقب والتى ترجع لعصر هادريان أن خراكموبا Characmoba كانت مركزاً هامًا وكان لها ختمها الرسمى (٤٢). وبالإضافة إلى ذلك سجل أرشيف باباثا أن تلك المشاكل التى عانت منها هذه السيدة دفعتها إلى أن تقدم تقريراً بأملاكها إلى قائد رومانى كان يوجد مقره فى رباثموبا أو ربه Rabbathmoba or Rabba فى مدينة رباثموبا εν Ραββαθμωβοις πολει(٤٣). ومن الجدير بالذكر ملاحظة التباين فى عدم وجود أى إشارة عن أى مركز لإدارة رومانية فى الحجاز . ويبدو أن عصر هجرا Hegra مدائن صالح) الذهبى قد ولى ، ويشتبه فى أن فيلاديلفيا Philadelphia وهى إحدى (حلف) المدن العشر Decapolis بدأت تدعى لنفسها استثناءً خاصًا من التدخل الرومانى فى شئونها بسبب عضويتها التقليدية فى المجلس المحلى لجوف سوريا Coele Syria(٤٤). وعلى ذلك يمكن القول إن المراكز الرومانية الرئيسية فى الولاية الجديدة كانت تتمثل فى بُصرى ، والبتراء ، وخراكموبا ، ورباثموبا.

لقد أرغم تراجان شعب الأنباط فى العربية كما ذكر أميانوس على الخضوع للقانون الرومانى . لذلك كان على باباثا وخصمها الظهور ليس فقط أمام حاكم الولاية ولكن أيضًا كان عليها التعامل مع البيروقراطية الرومانية ، فعندما كانوا يؤدون اليمين كان عليهم الآن أن يقسموا بحياة fortune الإمبراطور وحظه السعيد . ويمكن مشاهدة هذه العبارة فى إحدى وثائق باباثا عندما قالت :"أقسم بحياة مولانا قيصر ذى الحظ السعيد بصحة المعلومات التى قمنا بتقديمها-ομνμι τυχην ΚαισαΡος"

πιστει απογραψθαι Καλη (٤٥) والذى كان يفرض من قبل على الذى يقوم بنقض الاتفاق المبرم فى العقد أن يدفع غرامة لكل من الجانب المتضرر ، وملك الأنباط ، والآن أصبح عليه دفع الغرامة للجانب المتضرر والإمبراطور الرومانى(٤٦).

كان من بين اليهود الآخرين الذين لهم أملاك فى ولاية العربية فى الفترة المبكرة أقارب لزوج باباثا الثانى ، وظهر محل إقامة العائلة فى إن – جدعى En -Geddi فى يهوذ ا(فلسطين) على الساحل الغربى للبحر الميت ، كما استقروا فى أراضى ليزان Lisàn الخصبة فى الجانب الأردنى من النهر ، وكانوا مثل باباثا تابعين هناك للحكام الرومان للعربية (٤٧). وتؤرخ آخر وثائق باباثا بشهر أغسطس عام ١٣٢(٤٨)، ويمكننا الادعاء أنها فرت ومعها أغلى ما تملك عقب ثورة باركوخبا مباشرة التى قامت فى التاريخ نفسه ، وربما حاولت فى المرحلة الأولى من هروبها اللحاق بأقارب زوجها فى عام ١٣٢ فى إن – جدعى قبل أن تعتزم الاختباء فى الكهف الذى يقع فى المنطقة المجاورة . ويمكن الافتراض أن المستوطنين اليهود فى ليزان قرروا الفرار من الولاية الرومانية العربية فى الوقت نفسه ، ولاشك أن ثورة اليهود التى قامت عبر الوادى هددت أمن اليهود المقيمين فى الولاية المجاورة ، ولكى يتفادوا الثأر عادوا إلى موطنهم للاختباء والانتظار ، وحتى الآن لم تظهر أى إشارة تدل على أنهم عادوا نهائيًا إلى حدائق النخيل فى العربية ، ولا يمكن أن تكون باباثا هى اللاجئة الوحيدة التى ماتت فى كهوف صحراء الأردن .

مصادر الفصل السادس

(١) أعاد يادين Y.Yadin رواية قصة اكتشاف وفحص أرشيف باباثا Babatha فى كتابه: Bar Kokhba(1971),pp.222-53. ويوجد ملخص عن مادة الوثائق فى : Ex Orient Lux 17(1963),227-41. ونشر منها ثلاث وثائق فقط (منها نسختان لوثيقة واحدة) حتى الآن على الرغم من مضى عشرين عامًا على ظهورها. راجع المصادر الإضافية فى الحاشية الأخيرة للفصل السابق .

(٢) عن الوثيقة التى تؤرخ في ١٩ أغسطس ١٣٢ "طبقًا لتاريخ الولاية العربية الجديدة

κατά τον της νέας'ε[πα]ρχίας 'Αραβίας" αριθμόν

نشر بولوتسكى النص لأول مرة H. J. Polotsky Israel 8 (1967), 50 , Eretz ، وأعاد ليموس نشره: III. M.Lemosse,The Irish Jurist 3 (1968), 365; N.Lewis, Class. Stud.3, (1978) 112 ; &H.J.Wolff,ANRW II,13 (1980),771.

(٣) Y.Yadin.IEJ 12 (1962),239-41;Ex Orient Lux(above. -n.I),229-32.

(٤) Yadin,Ex Orient Lux(above,n.I,231 : "إلى الجنوب من حديقة مولانا الملك رابيل ، ملك الأنباط ، منقذ شعبه ومانحه الحياة ،وإلى الشمال من البركة (المستنقع) wlymyn' gnt mr' n' rb' l mlk' "mlk nbṭw dy 'ḥyy wšyzb ' mh wlšmwl' rqq'. يبدو أن الكلمة النبطية الأخيرة هى التى تطابق الكلمة السوريالية 'my' rqyq' بمعنى المياه الضحلة أو الراكدة ".

(٥) راجع :Josephus,AJ I.204 فى زوآر Ζωώρ (وتحديد نطقها غير مؤكد) المجاورة لمنطقة سودوم Sodom. ولما كانت تنمو فيها بعض الأعشاب القليلة بدون رى ؛ لذلك ادعى يوسيفوس أنها سميت بهذا الاسم لأنه يطابق الكلمة اليهودية التى تعنى القليل τό'ολίγον. (الجذر الآرامى للكلمة z'r راجع الكلمة الآرامية z 'yr التى تعنى الصغير).أما بخصوص زوآرا Zoara المُسجلة ضمن مدن مواب Moab يذكرها يوسيفوس زوايرا Josephus, AJ 13. 397,14.18(Zoira) ويبدو أنه خمن اسم المكان في كتابه الحروب اليهودية :BJ 4.454. وظهر الاسم في جغرافية بطلميوس Ptolemy,Geog.5.17.5 . ومكان زوآرا في قائمة بطلميوس (يأتى بعد عدرة Αδρου' جنوب شرق البتراء)، يتفق مع ما ذكره يوسيفوس في BJ 4.454 (وإذا كان التخمين صائبًا)، فمن المحتمل وجود زوآرا أخرى

تقع جنوب البتراء .ووصفت الوثائق اليونانية موقع أملاك سيمون على النحو التالى :"في ماوزا Maoza القريبة من زوآرا- Ζοάραν ἐν Μαωζα περι أوقرية موزة κώμη Μαωζα راجع : Yadin, IEJ [above ,n.3],242;Ex orient Lux [above ,n.1],231)، بينما تُقرأ النصوص النبطية على هذا النحو "mhwz ʿgltyn".وعثر على وثيقة عبرية في الكهف نفسه كما يذكر أرشيف باباثا"هالوهيتha-Luhit فى منطقة أجالتين Agaltain"مما يثبت موقع ماهوزMahozal جنوب شرق البحر الميت.وعن هالهيت راجع : Isa.15,5&Jer.48.5.وعلى ذلك تكون زوآر هى صافى Şafi الحديثة .

(٦) بخصوص العقوبات والضمانات والقواعد التنظيمية راجع J.Yadin, IEL (above,n.3), 241&Ex Oriente Lux(above,n.1) ,231- , -32 وتسمى فترة السماح باستخدام المياه باسم ʿnymy.

(٧) Yadin,IEJ(above,n.3),242-244;Ex Oriente Lux (abov- ,n.1),232-33.

(٨) Yadin, Ex Oriente Lux,(above,n.1),232. حيث كان من جيران سيمون عام ٩٩: حبيبة Habiba ، ابنة [ ]إيلاهىIllahi وطاحةŢaha ،ابنة عبدوبداتAbdobdat'، ومن الذين ظهروا فيما بعد عام ١٢٠ ورثة يوسف بار باباJoseph bar Babba، وورثة مناحم Menahem ،وورثة يوسف بار درمنسJoseph bar drmns.

(٩) راجع الدراسة الشاملة التى قام بها ولف:H.J.Wolff,ANRW II.13(1980).763-806 ، وهى على هيئة كتاب نشر بعد ثمانى سنوات من ظهور المقالة التى صدرت فى عام١٩٧٢ والتى تحمل صفحاتها أرقام من١-٤٤ ؛ للمؤلف نفسه بالفرنسية في RIDA 23 (1976), 271-90.

(١٠) عن هذه الصيغ راجع ،Lemosse(above,n.2),367-69 .

(١١) Amm.Marc.14.8.3.

(١٢) Cassius Dio 68.14 .عن استبدال تاريخ ضم الولاية عام ١٠٦ بعام ١٠٥ (والذى يوافق البعض عليه كما سبق ورأينا) راجع:G.W.Bowersock,ZPE 5(1970),39. ويذكر بارديزان "Bardaişan,Book of the Laws of Countries(ed.F.Nau[1931],p.27) والنص باللغة السوريانية). أن الرومان هزموا العربية حديثًا " ومنعوا إجراء الختان فيها - "tmly ʾḥdw rhwmy ʾlʿrb" . ولا يمكن أن يكون المقصود بهذه الإشارة ولاية تراجان ، لأن بارادايزان كان يعيش فى النصف الثانى من القرن الثانى وأوائل القرن الثالث .إضافة إلى ذلك فإن الجملة السابقة لهذه الجملة مباشرة توضح أن العربية التى تشير إليها تقع بجوار المنطقة التى كان النقاش يدور حولها والتى تقع بالقرب من الليقون

qryb'lkwn وتقعان فى إديسا Edessa. إن المقصود بهذه الإشارة هى منطقة ما بين النهرين Mesopotamia التى ضمها سبتيموس سيروس، والتى كثيرًا ما كان يتم وصفها في المصادر القديمة على أنها ولاية عربية (Eutropius 8. 18.4; Festus 21 ;HA, Sept. Sev.18;Zosimus, I.8 ولا أذكر هنا إشارات هيروديان الغامضة Herodian 3.9.3).

(١٣) ذكر في نقشين graffiti (*) صفويين"سنة حرب الأنباط- snt ḥrb nbṭ:AAES IV (1904),p.143,no.45;&F.V.Winnett&G.L. Harding. Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns (1978) p.325,no.2113. حيث قام الناشرون بمطابقة الحرب المذكورة فيهما بالثورة التى قام بها الدمشقيون عام ٧١ -BASOR 211[1973],54 (57).ومن الواضح أنه لا يوجد سبب يدفعنا إلى الاعتقاد بأن حرب الأنباط ضد القبائل الصفوية لها أى علاقة بروما، وأكثر أهمية من ذلك أن المخربشات التى ذكرها كل من وينيت وهاردنج Winnett&Harding,pp.406-7,n0.2815 تذكر "سنة ثورة الأنباط ضد الشعب الرومانى – snt mrdt nbṭ 'l'l rm".مما يدفعنا إلى الظن بوقوع بعض العمليات العسكرية على الأقل .

(١٤) وجدت وحدات من الفرقة الإسبانية الأولى I Hispanorum وفرقة طيبة الأولى I Thebaeorum : راجع M.Speidel,ANRW II.8(1977),709-10&719. ويعتقد سيم Syme أن إلحاق تيبريوس كلوديوس كوارتينوس T.Claudius Quartinus(بريتور عام ١١٣ والقنصل المرشح لعام ١٣٠) بطبقة السناتو كان مكافأة له على الدور الذى قام به في ضم العربية و سبق أن خدم كوارتينوس كتريبون عسكرى فى فرقة قورينة الثالثة III Cyrenaica (CIL, 13.180) : R.Syme 14 (1965) 353, n.53, reprinted in Danubian Papers(1971),p.237 ,n.53 .

(١٥) Yadin,IEJ(above,n.3).239-40;Ex Oriente Lux (above,n.1),230:w 'l ḥyy 'bdt br rb 'l mlhw mlk nḍṭw dy ḥyy wšyzb 'mh''.وناقش يادن في العملين السابقين أن كلمة 'l ḥyy' المعروفة في النقوش النبطية لا تعنى كما يبدو فى العادة "من أجل حياة "ولكنها تعنى "فى عهد"(أى تشير إلى ترتيب الوقائع التاريخية)، لكن هذه الفرضية غير مقنعة على وجه الإطلاق .وإذا قمنا بتقديم مثال واحد على ذلك والممثل فى النقش التالى CIS II.354(Petra) ،والذى يتم فيه تأريخ تنصيب تمثال للإله عبادة 'l ḥay'، الحارث الرابع وشقيقته وأبنائه الستة(الذين ذكرت جميع أسماؤهم)،وواحدًا من أحفاده "فى العام التاسع والعشرين "من حكم الحارث الرابع .ولدينا هنا أسماء لثمانية أفراد من الأسرة الملكية لم يكن هناك ضرورة لوضعهم فى قائمة تضمهم بالاسم لتحديد تاريخ سنة حكم الملك .إن التحديد

(*) نقوش قصيرة وسريعة (مخربشات) بالكتابة الثمودية. (المترجمة)

القاطع لكلمة ḥyy ʿ l يشبه المناقشة التى دارت حول كلمة lyqrh ("على شرف"، راجع:H. J. W.Drijvers,Le muséon 95 (1982),183-٨٨

(١٦) Pap. Mich.,8(1951),no.466(cf.465).See also E. Husselman ,Papyri from Karanis,3rd.ser.(1971),no .562 وتؤرخ الوثيقة في ٢٦ مارس عام ١٠٧ ، وتصف كلوديوس سيروس بأنه حاكم (ὑπατικός وهو لقب غير رسمى ،لأن سيفروس لم يكن حتى عام ١١٢ اقد أصبح قنصلا)، وكان العمل عبارةعن قطع الأحجارطوال اليوم (أغلب الظن لإقامة الطريق الجديد). ذكر كاتب (البردية) أن اسمه أدرج في الكتيبة التى سوف تذهب إلى بُصرى Bostra والتى قال إنها تبعد ثمانية أيام من البتراء .

(١٧) E.g.H.Mattingly&E.A.Sydenham,Roman Imperial Coinage vol. 11 (1926) ,pp.278 & 287

(١٨) عن تحركات فرقة فيراتا السادسة VI Ferrata راجع الدراسة الممتازة التالية D.L.Kennedy,"Legio VI Ferrata:the Annexation and Early Garrison of Arabia ," HSCP 84(1980),283-309 .ويعتقد كيندى أن الفرقة الأساسية قورينة الثالثة تم سحبها من العربية بين عامى ١٢٣/١١٧وحلت محلها فرقة فيراتا السادسة ،كما يمكن الافتراض أيضًا أن هذه الفرقة على وجه الخصوص استخدمت لكى تملأ الفجوة نتيجة لتجارب سابقة مع بالما خلال فترة الضم ،وعلى أى حال فإننى أتفق الآن مع سبيدل في مناقشته للوثيقة البردية Pap. Mich 466 من أن فرقة قورينة الثالثة كانت الفرقة الرئيسية فى الولاية: (above,n.14),961-93 .

(١٩) G.W.Bowersock,,"Syria under Vespasianus,"JRS 63(1973),133-40 .

(٢٠) أثيرت هذه الفكرة عند استعراض كتاب سبيجكرمان Spijkermann, The Coins of the Decapolis and Provincia Arabia (1978): G.W. Bowerscok, JRS 72 (1982), 197-98.واعترف ستارك بالمشكلة المتعلقة بالإصدارات المتأخرة لعملة العربية في دراسته التالية: Untersuchungen zur römischen Reichsprägung des zweiten Jahrhunderts:I,Die Reichsprägung zur Zeit des Traian (1931), p.194.

(٢١) J.T.Milik,Syria 35(1958),244 :" في السنة الثالثة لحاكم eparch بُصرى- (bšnt tlt lhprk bsr' ،ويُقرأ النص اليونانى لهذه النقوش المسجلة بلغتين بكل بساطة على النحو التالى "في السنة الثالثة من عهد الحاكم- ἔτους τρίτου ἐαρχίας". وتم العثور على أقدم النقوش

التـى تـؤرخ بعهـد الولايـة الجديـد فـي عقـدات .راجـع Negev:IEJ 13(1963),117-18,no.11(year2).

(٢٢) عن مضمون نقوش الأحجار milestones التى سجل عليها اسم كلوديوس سيفروس راجع : PIR2 C 1023. وتمت المعالجة الكاملة للموضوع فى العمل التالى : P.Thomsen,"Die römischen Meilensteine der Provinzen Syria ,Arabia und Palaestina ,"ZDPV 40 (1917),1-103.

(٢٣) وعن الدليل على وجود سيفروس في العربية ،راجع الآن M.Sarter,Trois études sur l'Arabie romaine et byzantine(1982),pp.78-80

(٢٤) BMC Roman Empire III,p.185.no.877;cf.p.203. عن تاريخ عملات (الولاية) العربية في القنصلية الخامسة راجع: W. Metcalf, Amer. Num. Soc. Mus.Notes 20(1975),104; وعن عملة الثلاث دراخمات tridrachms خلال القنصلية الخامسة راجع M. Weder,Schweizer Münzblätter 27 (1977),60-61.See below, plate 16.

(٢٥) عن مناقشة كاملة لهذه العملات راجع Metcalf(above,n.24),39- 108 ،الذى يبرهن فيه على أن دار صك النقود لم تكن فى كبادوكيا قيصرية ،وفضّل متكّالف Metcalf عليها بُصرى بينما فضل فيدر Weder أنطيوخ .

(٢٦) Metcalf(above,n.24).96.See below.plate 16.

(٢٧) عن خطط تراجان وعملياته العسكرية راجع ، F.A.Lepper,Trajan's Parthian War(1948) ومازالت لهذه الدراسة قيمتها .

(٢٨) قمت بنشر النص الكامل لنقش قوس نصر البتراء ،وأقدم شكرى إلى جون ستروجنل John Strugnell لإمدادى بالصور الفوتوجرافية والرسوم: JRS 72(1982),198 ،ولما كان النص جديدا وهاما ، فمن المفيد تقديمه هنا "الإمبراطور قيصر المؤله نيرفا بن نيرفا، تراجان مولانا أغسطس جرمانيكوس قاهر داكيا الحاكم العظيم ،صاحب السلطة الإمبراطورية من السنة السابعة إلى السنة الثامنة عشرة .... الذى رفع البتراء إلى مرتبة المدينة الأم للعربية على يد جايوس كلوديوس سيفروس الذى رُفع إلى طبقة السناتو الحاكم Yίω Θεοῦ

[A'υτοκράτορι Καίσα]ρι θ εού [Νέρουα υίω Νέρουα Τρ[αιανω]/ [Αρίστω Σεβαστω γερμανικω Δακικ]ω 'αρχιει μεγίστω δ[ημαρ]χικης εξουσίας το[ι]η' αυτοκράτορι το ζ'ύπ[άω τό ς']/[vac.ή της 'Αραβία μη]τροπολις Πέτρα επι Γαΐου Κλ[αυδίο]υ Σεουήρου πρεςβευ[το]υ αντιστρτήγου vac

ويؤرخ النقش بعام ١١٤م.

(٢٩) Exc.Dura- Europus 4 (1933),57-65;6(1936);480-82.

(٣٠) H.J.Polotsky , IEJ 12 (1962),260;Yadin,Ex,Oriente Lux(above,n.1).234:
"من مضبطة مجلس شورى البتراء المدينة الأم απο άκτων βουλης Πετραίων της".
- μητροπόλεως ويوجد صورة فوتوجرافية لهذه الكلمات فى الوثيقة رقم ١٢٤ في
ص240 Yaden's Bar Kokhba(above,n.1), . ولاتزال الوثيقة غير منشورة بالكامل .

(٣١) Yadin ,De Orient Lux (above,n.1),23. عن جوليوس جوليانوس ،المعروف الآن
باسم تيبريوس يوليوس الإسكندر Tiberius Iulius Alexander؛الذى كُرّم فى جيراسا
ADAJ 21[1976] 8, See Sartre (above,n.23), pp. 81 - 82 Gerasa105

(٣٢) وعن تنقل حكام الولاية للقيام بالفصل فى القضايا راجع، A.J.Marshall,"Governors on the Move",Phoenix 20 (1966),231-46,PG.P.Burton,'Proconculs,Assizes and the Adminstration of Justice under the Empire.", JRS 65 (1975),92-106.

(٣٣) R.E.Brünnow&A.von.Domaszewski,Die Provincia Arabia I (1904), p. 382 راجع الملحق رقم III من الكتاب .

(٣٤) Polotsky IEJ(above,n.35),259;Yadin,Ex Oriente Lux (above,n.1)238.

(٣٥) Philip C. Hammond ."Cult and Cupboard at Nabataean Petra", Archaeology 34.2(1981),27-34.Cf.id "New Evidence for the Fourth-centry A.D.Destraction of Petra," BASOR 238(1980),65-67.

(٣٦) Hammond,Archaeology(above,n.35),32-34;AJA 86 (1982),268 وعن
صور الربة والربات السابقات عليها فى البتراء راجع: J.Starcky in Pétra et la Nabatène,Musée de Lyon cat .(1978-1979),pp.42-43;& Hammond,"Ein nabatäisches Weiherelief aus Petra ,"Bonner Jahrb. 180 (1980),265- 69
راجع عن حجر تيماء 'Teima،عبد الوهاب يحيى ،العرب فى العصور القديمة، (١٩٧٨)،
اللوحة رقم (٩)، وعن مطابقة أفروديت مع العُزى راجع النقش المدون باللغتين اليونانية
والنبطية والذى عثر عليه فى كوس *Cos راجع : G.Levi della Vida,Clara Rhodos
9. (1938), 139-48, وعن النص النبطى راجع : F.Rosenthal,Die aramäistische Forschung (1939), p.91,n.4. Cf.also J.&L. Robert, Bull.épig.1940.89,&Starcky,SDB 1003.

* جزيرة صغيرة من الجزر اليونانية تقع فى شرق البلوبونيز ، إلى الجنوب الشرقى من إقليم اتيكا. (المترجمة)

(٣٧) Yadin,Ex Oriente Lux(above,n.1),235.

(٣٨) Yadin ,Ex Oriente Lux (above,n.1),235-37,&again in his Bar Kokhba (above ,n.1),p.240.

(٣٩) سبق أن قدم ستاركى هذا التصنيف فى إعداد الكتالوج الخاص بحجر البتراء (above ,n.36) p.43.

(٤٠) Hammond,Archaeology(above,n.35),34.

(٤١) عن مستوى الحريق في عقدات راجع: A.Negev,Arahaeology 14(1961),125;IEJ 13 (1963),121,&17(1967).46;PEQ 101(1969),6. أرخ نجف طبقة الحريق ما بين منتصف القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني الميلادى ، وهويّفضل الآن التاريخ المبكر: ANRW II.8(1977),659.

(٤٢) A.Negev,"Seal Impressions from Tomb 107at Kurnub(Mamphis)," IEJ 19 (1969),89-106.

(٤٣) Polotsky,IEJ(above,n.30),260;Yadin,Ex Oriente Lux (above,n.1),239.

(٤٤) لاحظ أن عُملة فيلادلفيا (تذكر)"فيلادلفيا(التى تقع) فى جوف سوريا- "Φιλαδελφέων Κοίλης Συρίας"خلال القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الميلادى . Spijkerman (above ,n.20),pp.242-57.

(٤٥) Polotsky,IEJ(above,n.30),260;Yadin,Bar Kokhba (above,n.1)p.245.

(٤٦) Yadin AEJ (above ,n.3),246: "وإلى مولانا الإمبراطور -'wlmrn' qysr".

(٤٧) Yadin,Ex Oriente Lux(above,n.1),240

(٤٨) نشرها بلوتسكى Polotsky, Eretz Israel(above,n.2), 50 ،وأعاد ليموس نشرها Lemosse (above,n.2),365 Lewis (above,n.2).112;and Wolf (above,n.2), 771-7.

الفصل السابع

الحدود والدفاعات

BOUNDARIES AND DEFENSES

إن الحدود الثابتة للولاية التى هَربتْ منها باباثا تمثل مشكلة شائكة . إن تكرار تعاملها مع حكام العربية لم يترك شكًا فى أن الأملاك التى امتلكها والدها فى منطقة زوآر Zoar كانت تكون جزءًا متممًا من الولاية الجديدة ، وهو الوضع نفسه الذى كان قائمًا فى عهد مملكة الأنباط ، إن اختفاء ملوك الأنباط والتنظيم الذى وضعه الرومان سواء فيما يخص الجزء الصحراوى أو المزروع يدعو إلى الاعتقاد بقيام الرومان بضم كل أجـزاء مملكتهـم ، ويبـدو أن ذلك هو ما حدث بالفعل ، ولكن ينبغى توضيـح الأمر تفصيلاً.

ومن سوء الحظ أن كلوديوس بطلميوس Claudius Ptolemaeus جغرافى القرن الثانى الميلادى لم يستطع أن يقدم لنا ما يمكن أن يفيدنا بخصوص الإدارة الرومانية للحدود . ومن الواضح أن العمل الذى قام به بالتفصيلات الموجودة لديه ، والذى زوده بقياسات لخطوط الطول والعرض اعتمد فيه على رؤية جغرافية إقليمية أكثر من اعتماده على رؤى الإدارة الرومانية . ويبدو أن المصدر الأكبر للخرائط ، التى أُلحقت بالمتن الذى بين يدينا الآن كان هو مصدر خريطة بيوتنجر أيضًا Peutinger Table .(١) ولكن سواء أكان ذلك صحيحًا أم لم يكن ، فهو لم يسجل الأماكن طبقًا للولايات الرومانية . ويظهر ذلك مباشرة من خلال النظرة السريعة لمعالجته لمدن شرق الأردن : فقد خصص بعضها للعربية الصخرية Arab Petraea (وهى بطبيعة الحال تصف المنطقة التى تقع بصفة عامة فى جوار البتراء وجنوب شرق الأردن)؛ بينما خصص

أخرى لمنطقة جوف سوريا Coele Syria والذى لم يصبح اسماً علماً على الولاية إلا بعد أن أطلقه بطلميوس فى جغرافيته (٢). وعلى أى حال كانت منطقة جوف سوريا وحدة محلية جغرافية هامة ، تنتمى إليها مدينة فيلادلفيا (عَمَّان 'Ammān) Philadelphia . وكانت مدينة فيلادلفيا مدينة فى الولاية العربية وفى الوقت نفسه وحسب التعابير الدارجة مدينة فى جوف سوريا . إن الشىء الجدير بالاعتبار والذى يمكن التسليم به كدليل على الوحدة الجغرافية المحلية هو عُملة فيلادلفيا(٣) . وحيث إن بطلميوس لم يكن يتعامل مع وحدات الولاية الرومانية فى كتابته لعمله الكبير ، لذلك ليس من المقبول القول ، كما فعل أحد كبار الدارسين مؤخراً ، إن المعلومات كانت تختلط عليه من حين إلى آخر بسبب كثافة كم الإصلاحات الجغرافية لمدن عديدة . ولكن إذا كان قد قام بإدخال أدرا Adraa وأدرو Adrou تحت عنوانين منفصلين، فيجب أن لايوصف ذلك بالخلل، ولكنه جاء نتيجة لوجود مدينتين تحملان اسمين متشابهين (٤). وتقع أدرا Adraa ، (درعا Der'a الحالية) فى الشمال ، وكانت مكاناً كبيراً ، مثلما كان المعسكر الحربى فى أدرو Adrou ، وهى حالياً عذرة Udhruḥ فى الجنوب . لذلك من المعقول القيام باستشارة بطلميوس كدليل لنا عن وجود المدن ، ولكن ليس بخصوص تعيين أماكن حدود الولاية الرومانية .

ليس لدى أحد الرغبة فى الدخول فى جدال حول ما إذا كان جوهر مملكة الأنباط يماثل جوهر الولاية الرومانية ، ويظهر هذا بوضوح من إنشاء طريق تراجان الجديد Via Nova Traiana بجانب طريق الملوك القديم السريع . كانت كل من العاصمة بُصرى، والبتراء العاصمة القديمة هما المدينتين الرئيسيتين فى الولاية، مثلما كان عليه الوضع نفسه فى السنوات التالية من عصر ملوك الأنباط . وظهرت على الأطراف مشكلة نزف الولاية فى الصحراء وأيضاً داخل ولايات أخرى . ويرجع ذلك لسبب وحيد يتمثل فى أن التكتل القديم للمدن الهللينستية الذى عُرف باسم المدن العشر Decapolis كان قد انتهى بعد ضم العربية . وتم توزيع المدن العشر بين الولايات الرومانية المجاورة وآلت كل من أدرا Adraa ، وجيراسا Gerasa ، وفيلادلفيا إلى الولاية العربية ،

ويبدو أن كل من غدارة Gadara وبيلا Pella وكابيتولياس Capitolias قد آلت إلى يهوذا (فلسطين)[٥]. أما المدن الشمالية من مجموعة المدن العشر فكونت جزءاً من ولاية سوريا ثم أضيفت واحدة منها على الأقل إلى ولاية سوريا بعد حدوث تغيير فى حدود الولاية فى تاريخ لاحق [٦].

إن إلغاء المدن العشر كحلف رسمي للمدن الكبيرة فى الشرق الأدنى ربما كان لا يعني وجود أى اختلاف عملى فى طريقة إدارة شئونها ؛ فقد ظلت المدن العشر لها مكانتها فى العصور التالية ، مثل فيلادلفيا التى أعلنت من نفسها مدينة تابعة لجوف سوريا Coele Syria بينما كانت تُعد فى الواقع جزءاً من الولاية العربية . وكان يمكن لمدينة الأبلا Abila أن تصف نفسها على أنها عضو فى المدن العشر بينما كانت تابعة لما يسمى ببيرايا Peraea فى يهوذا (فلسطين) [٧]، ويبدو أنه لم يكن من قبيل المصادفة أنه فى أثناء تأسيس الولاية العربية أن تقوم الإدارة الرومانية بتقسيم تلك المناطق الهامة التى كانت تقع خارج مملكة الأنباط، والذى هيأ لوجود ليس أقل من ثلاث ولايات متميزة، والتى سيكون من الصعب عليها اتخاذ موقف واحد فى وقت الأزمات ، ولذا أصبحت العضوية فى المدن العشر خاوية المعنى ، على الرغم من عدم نسيان التشرف بها.

إن ترتيب المدن العشر يعنى أن الحدود الغربية للعربية لم تكن واقعة فى مكان واضح على طول وادى الأردن والبحر الميت ؛ أما يهوذا (فلسطين) فكانت على العكس من ذلك تمتد إلى الجانب الشرقى من الوادى هبوطاً حتى بداية وادى مجيب Wādi Mūjib وسهول مؤاب Moab . ولما كانت مادبة Mādaba لاتمثل جزءاً من يهوذا (فلسطين) بيرايا Judaean Peraea (يهوذا الصخرية) فى شرق الأردن ، فيمكن أن يوضع الخط الفاصل بينهما إلى الغرب من مادبة ثم يمتد هبوطاً إلى تقاطع وادى مجيب مع البحر الميت . ولذلك ستقع حَسبان Hesbān ضمن تخوم الولاية العربية [٨]. أما فى الجنوب من وادى مجيب ، فقد كان واضحاً أن الولاية مثلها مثل مملكة الأنباط امتدت على طول حافة البحر الميت ثم بعد ذلك جنوبياً داخل إدوم Edom .

وكما أوضحت وثائق باباثا ، فإن الإقليم الخصب زوآر الواقع جنوب البحر الميت كان يكوِّن جزءًا من الولاية ، كما كان الحال فى عهد المملكة ، ولايوجد أدنى شك أن النقب Negev جميعها تم ضمها أيضًا إلى روما . وأظهرت مدن الأنباط الكبيرة فى هذا الإقليم التصاقها بالولاية الجديدة بتأريخ سجلاتها العامة منذ الآن فصاعدًا طبقًا لتأريخ حقِبة الولاية ، وفى الوقت نفسه فعلى الجانب الجنوبى من وادى عَربة الذى امتد جنوبيًا من حديقة النخيل فى زوآر، قامت مملكة الأنباط بضم كل إقليم الحسمى Ḥisma الذى يقع أسفل المنحدر الواقع فى المنطقة جنوب البتراء ومعان Ma'an عند أقصى الطرف الأسفل لأدوم ، ويهبط طريق تراجان الجديد Via Nova Traiana المنحدر فى نقطة تقع إلى غرب الطريق الحديث، ويصل من صَدقة Sadaqa إلى المعسكر الرومانى فى الحُميمَة Ḥumaima عبر المكان الذى يعرف بالبيضاء Baiḍā ، ثم يهبط بعد ذلك على طول وادى يُتم Wadi Yutm ، ليمر أبعَد إلى معسكرات رومانية فى القُويرة Quweira ، والخالدى Khālde وكيثارا Kithāra . (٩) وهناك سبب جيد يدعونا إلى الاعتقاد بأن كل هذه الإنشاءات الرومانية قد أقيمت فى الأماكن التى كان الأنباط يقيمون فيها لحراسة الطريق المؤدى إلى رأس خليج العقبة (١٠)، وتبعًا لذلك لا يوجد مجال للشك من أنه تم إنشاء الولاية الجديدة فوق الجزء المركزى لمملكة الأنباط ، مع إضافة عدد من المدن العشر ، ثم ضم النقب النبطى أيضًا .

فيما يتعلق بسيناء كان من المعروف مدى نشاط الأنباط فى هذا الإقليم ، ويبدو أنهم انخرطوا فى أعمال التعدين فى مناجم الفيروز والنحاس الواقعة بالقرب من وادى فيران Wādi Feirān ، (١١) ومن المحتمل قيامهم بإنشاء طرق فى هذه المنطقة. إن تاريخ المخربشات Graffiti والنقوش طبقًا لتاريخ حقبة ضم الولاية العربية يدل على أن سيناء أُدرجت فى إطار الولاية الجديدة (١٢). ومع أن هذا لا يعد دليلاً قاطعًا على الضم (حيث إنه ليس هناك ما يفسر لماذا لم يقم الزائرون للمنطقة بالتأريخ لها طبقًا للصيغة المألوفة لديهم) . ومن غير المحتمل أن تكون الحكومة الرومانية قد أهملت فى تسجيل تلك الصلة الهامة بين مصر والنقب، ويشير نص لاتينى من منطقة أم سديرة، Umm Sidaira Wadi إلى وجود نوع ما من الضم على الأقل لفرقة العربية قورينة الثالثة(١٣).

وهناك نص آخر من المنطقة نفسها يسجل انتصاراً لأغسطس يشير أيضًا إلى شكل من أشكال التواجد العسكرى الرومانى الرسمى(١٤)، على الرغم من أنه ليس هناك دليل قاطع على أن سيناء شكلت جزءاً من المنطقة ، فإنه من المؤكد أن الأفراد المسئولين عن إدارة المقاطعة قد حرصوا على اتباع النظام الإدارى الخاص بشبه الجزيرة ، ومن الممكن أن نفترض بشىء من الحذر أن المنطقة كانت فى الحقيقة جزءاً من المقاطعة(*).

(*) إن الحجج التى استند عليها الأستاذ بورسوك فى ترجيح هذا الاحتمال فى حاجة إلى مراجعة للأسباب الآتية :

أولاً : أن المخربشات (النقوش السريعة) التى قدمها وعددها ستة (من عام ١٥٠/٢١٢م) وتشير إلى انخراط الأنباط فى أعمال التعدين فى مناجم الفيروز والنحاس بالقرب من وادى فران، والتى استند على تاريخها بالتأريخ المتبع فى الولاية على إلحاق سيناء بها ، هو أمر لا يدل على وضع سياسى بقدر ما يدل على أن العاملين كان من بينهم عرب من الأنباط ، نظراً لموقع المنطقة على مقربة منهم وفى مجال حركتهم التاريخية فى ميدان نقل التجارة العربية والشرقية من إيلات إلى البحر المتوسط ، وتدل النقوش النبطية التى عثر عليها فى مصر وعددها ٢٨٥١ على أن سواحل البحر الأحمر الشمالية وسيناء هى المكان الذى توجهت إليه القبائل النبطية منذ بداية القرن الثانى بحثًا عن الاستقرار والأمان بسبب سوء أحوال بلادهم نتيجة التدخل الرومانى فى بلادهم، بالإضافة إلى أن أجواء الحرب السائدة فى المنطقة ترتيبًا على الاستعدادات المطلوبة من الجيش الرومانى فى حربه ضد الإمبراطورية البارثية التى سيطرت على أجزاء من الرافدين ، دفعتهم إلى العمل فى موانئ البحر الأحمر الشمالية ومناجم سيناء. راجع الذيب (سليمان ابن عبد الرحمن)، نقوش نبطية قديمة، دراسة تحليلية، الرياض ١٩٩٥ ، ص٢١ ؛ Al-Theeb (S.A),Aramik and Nabataean Inscriptions,Riyad 1414/1989, P202-249، البحث رسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة درهام Durham عام ١٩٨٩ .

ثانيًا : أما فيما يخص النقش اللاتينى فهو نقش قصير يذكر فيه الجندى الرومانى اسمه (ت.أتيليوس توربو T.AtiliusTurbo) العامل فى فرقة قورينة الثالثة، فهو لا يعد دليلاً على إلحاق سيناء بالعربية ، فسيناء منطقة عبور إلى سوريا ومنها، لذلك فهو أمر وارد بل مؤكد أن يترك الجنود نقوشًا على الطريق ويسقط منهم بعض قطع العملة . أما بخصوص التواجد الرومانى فى المنطقة فهو أمر لايحتاج إلى دليل لأن سيناء جزء لايتجزأ من مصر التى تحولت إلى ولاية رومانية منذ عام ٣٠ ق.م. ونظراً لأهمية سيناء الاقتصادية والعسكرية فمن الطبيعى أن لا تغفل روما هذه الأهمية، ثم ما هى الداوعى الأمنية أو الاقتصادية التى تدفع روما بشدة إلى اقتطاع سيناء من ولاية حدودها ثابتة ومستقرة منذ أن كان تاريخ البشرية لا يزال فى المهد صبيًا ، وتلحقها بولاية حدودها التى تربطها بكل من سوريا وفلسطين مذبذبة شديدة الاضطراب وغير مستقرة . (المترجمة)

أما فيما يخص الحجاز فى الشمال الغربى من العربية السعودية والتى تقع عبر خليج العقبة من شبه جزيرة سيناء ، فهناك دليل أكيد يوضح ضمها للرومان ، كان هذا الأقليم يعد دون منازع جزءاً من مملكة الأنباط ، يمكن ملاحظة ذلك بسهولة من خلال مقابر هِجرا Hegra مدائن صالح [١٥].

فيما بين واحة العلا Al-Ula (ديدان القديمة) ومدائن صالح ، وهى عبارة عن كم هائل من المخربشات Graffiti التى سُجل عليها وجود أسماء عدد من جنود جيش الأنباط والجيش الرومانى فيما بعد [١٦]. إن وجود الدليل الحالى يمثل أقصى منطقة خِفارة عسكرية فى الجنوب فى عهد ملوك الأنباط والولاية الرومانية . وعلى أى حال فحتى عهد قريب لا يمكن أن نؤكد بثقة أن هذه الحراسات كانت تمثل شيئًا أكثر من كونها عبارة عن أفراد من العسكريين وضعوا فى نقاط أمامية مناسبة خارج حدود المملكة أو الولاية . ولاجدال فى أنهم كانوا تابعين لوحدات السلطة المركزية فى قلب منطقة شرق الأردن . وسُجل على أحد المخربشات النبطية اسم شخص يدعى صابرو Sabru ، وصف صراحة أنه من صَلخد Ṣalkhad فى حوران Ḥawran . [١٧] والمخربشات اليونانية بإثباتها وجود جنود من الجيش الرومانى فإنها تذكر فى مواضع عديدة، أسماء الوحدات التابعين لها مثل وحدة السهام ala Gaetulorum، ووحدة ركوب الجمال ala dromedariorum . [١٨] وكشفت لوحة فى مأدبة فى مدائن صالح تسجيل وجود رسام يتبع فرقة قورينة الثالثة [١٩].

إن وجود معبد الإمبراطورين الرومانيين ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius ولوكيوس ڤيروس Lucius Verus فى الموقع البعيد عند روافا Rwwāfa عند الشمال الغربى من مدائن صالح وإلى الجنوب من القريات كان معروفا منذ قيام موسيل Musil بكشوفه فى المنطقة منذ بداية القرن العشرين [٢٠]، ولم يتم نشر النقش الكبير المُسجل باللغتين اليونانية والنبطية كاملاً إلا فى العقد الأخير فقط [٢١]، ولهذا النقش أهمية كبيرة فى تاريخ الولاية العربية ؛ فقد ثبت أن الذين قاموا بإهداء المقصورة اتحاد من عرب ثمود Thamud ، ويؤرخ إهداؤهم بحكم كلوديوس موديستوس Claudius Modestus ، حاكم ولاية العربية ، الذى ظهر اسمه فى أحد النقوش اليونانية فى صيغة مؤرخة ، كما ذكر

خليفته أنتيستيوس أدڤنتوس Antistius Adventius ، وكان هو الآخر حاكم الولاية العربية بوضوح فى النص النبطى ، لجهوداته الطيبة فى إعادة السلام وإنهاء النزاع مع الأطراف المتنازعة فى الحلف الثمودى . إن هذا النقش يوضح الدور الرسمى للحاكم الرومانى فى الحجاز خلال القرن الثانى الميلادى ، ويضع جانباً الشكوك حول إلحاق هذه المنطقة بالولاية ككل . إنه شيء يفوق كل تصور أن نجد أسماء حكام الرومان ، كما حدث فى الروافة ، فى نقوش تذكارية فى مكان لم يكن جزءاً من الإقليم الذى يقومون بإدارته .

توضح نصوص الروافة أيضاً أن الثقافة النبطية كانت ذات قدم راسخة فى الحجاز وأن تحالفًا آخر من العرب وهو الثمودى استخدم فى هذا الإقليم اللغة النبطية وحروفها بدلاً من استخدام لغتهم (التى ثبت وجودها فى مكان آخر). إن وجود اتحاد عربى فى تخوم ولاية رومانية هو فى حد ذاته أمر جدير بالملاحظة . ولكن التعبير اليونانى لم يكن محدداً كما يتوقع المرء εθνος Θαμουδηνων بينما جاء النص النبطى محدداً srkt tmwdw . على الرغم من أن الاصطلاح الاغريقى ʼεθνος يمكن أن يكون وصفًا إما لقبيلة أو لاتحاد ، لكن الكلمة النبطية ليست غامضة. إن الإشارة تعنى اتحاد ولا تعنى ببساطة قبيلة ثمود . كذلك يبدو أن السلطات الرومانية قد اعتمدت على وجود مثل ذلك الاتحاد العربى لكى يساعد فى إدارة هذا الإقليم المنيع ، وفى الواقع فإن اعتماد الرومان هذا يفسر جهود الحكام لتحقيق السلام بين القبائل المختلفة التى تندرج فى عضوية الاتحاد (٢٢). إن استخدام مثل هذه الجماعات الذى جاء فى فترة زمنية أسبق مما يتوقعه المرء يتبئ بدور الاتحادات العربية فى إدارة الشرق الأدنى وخلال القرون التالية وخصوصاً فى العصر البيزنطى .

من الواضح استخدام الأنباط الجيد لوادى سرحان فى الصحراء الواقع إلى الشرق من الجزء الذى تمت زراعته فى مملكتهم (٢٣)، وكان هذا الطريق الداخلى الذى يمتد من الأجزاء الوسطى فى العربية السعودية إلى داخل واحة الجوف ثم إلى واحة الأزرق Azraq عند رأس الوادى كان يُعد وسيلة هامة فى المواصلات والتجارة فى

العصر القديم ، وكما هو الحال اليوم . وكان من الصعب على الإدارة الرومانية، فور انتهائها من حكم ملوك الأنباط أن تتحمل إهمال وادى سرحان ، وهى قد فعلت ذلك . إن الدليل الخاص بوجود قوات رومانية من فرقة قورينة الثالثة لا يوجد فقط فى منطقة الأزرق نفسها؛ بل وجد فى أماكن مجاورة فى الإقليم، مثل قصر السخين Qasr Asaikhin وقصر العوينيد Qasr 'Uweinid ويدل على الاهتمام بالتجارة على طول وادى سرحان(٢٤). ومن قبيل حسن المصادفة وجود نقش يثبت وجود أحد رؤساء المشاة stratopedarch فى الجوف، قرب نهاية الحد الجنوبى لوادى سرحان . ويمكن مقارنة هذا النص بنص آخر من العصر الرومانى(٢٥). ويسجل نقش لاتينى من الجوف "إهداء إلى سادتنا الأوغسطيين" ، ويبدو أن المقصود بهم الأباطرة ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius ولوكيوس ڤيروس Lucius Verus أو سبتيموس سيڤيروس Septimus Severus وكاراكالا Caracalla ، (٢٦) وأهدى قائد مائة من فرقة قورينة الثالثة وهو فلاڤيوس ديونيسيوس Flavius Dionysius النقش إلى الإله جوبيتر هامون Juppiter optimus Hammon والإله سولموس sanctus Sulumus . ولما كان كلا الإلهين عربيين ولهما أتباع فى بُصرى وأم الجمال فى إقليم بُصرى ، لذلك فنحن متأكدون أنه تم إرسال هذا الجندى من معسكر فرقة الولاية لتأدية مهمة ما فى الجوف (٢٧)، وربما كان هذا الجندى عربيًا يحمل اسمًا رومانيًا ، أى أنه من ذلك النوع من الجنود الذى يتوقع منه معرفة كيف يمكنه العيش فى مكان مثل الجوف .

إن اهتمام الرومان بوادى سرحان فى أقصى حدوده الجنوبية والشمالية ، يدل على أن الإقليم مثله مثل الحجاز كان يُعد جزءًا من ولاية العربية . ولعله من الحماقة محاولة البحث عن خط واضح للحدود فى الجانب الشرقى من الولاية ، مثلما كان الحال مع الرومان الذين لم يكن لديهم حدود إقليمية مع مياه البحر المتوسط ، كذلك فإنه يبعد عن الاحتمال أنهم قد اتخذوا حدودًا واضحة مع الصحراء السورية الكبرى القاحلة ، ومن المنطقى القول إن حاكم العربية كان يُعد الإقليم الذى يمتد على الأقل حتى وادى سرحان داخلاً فى دائرة مسئوليته من الناحية القانونية . ولا يمكن أن يقال أى شىء أكثر من ذلك . أما فى شمال واحة الأزرق ، وفى الواقع إلى أقصى الشمال والشرق

من الأجزاء المستقرة للولاية الرومانية العربية ، فكان يقع حصن رومانى بعيد هو قصر البُرقع 'Qasr Burqu النائى . وإذا كان هذا الحصن يمثل – كما يبدو محتملاً الآن – محل إقامة له برج رومانى لا يزال قائماً ، فهذا يعنى أنه أصبح لدينا تصور عن مدى ما كان يرغب الرومان فى الوصول إليه فى الصحراء بحيث أصبح فى استطاعتهم توطيد أقدامهم حتى يضمنوا الأمن لمزيد من الأقاليم الواقعة غرباً .(٢٨)

أصبح الآن من اليسير تحديد الحدود الشمالية لولاية العربية نظراً لوفرة النقوش التى جاءت من مختلف الأنحاء المترامية الأطراف للمنطقة . ومن المنطقى القول بصفة عامة إن المناطق التى سُجلت التواريخ فيها طبقًا لحقبة ولاية العربية كانت تُعَدّ فى ذلك الوقت جزءاً من الولاية ، بينما أن تلك المؤرخة بالحقبة السلوقية ، أو باختصار بسنة تولى حكم الإمبراطور ، فهى فى أغلب الظن تنتمى إلى ولاية سوريا المجاورة (٢٩). ومن الواضح أن سهل الحوران Ḥawrān ، الذى تقع فيه العاصمة بُصرى ، كان جزءاً من العربية ، مثله فى ذلك مثل المنحدر الجنوبى لجبل الدروز الواقع إلى الشرق من السهل، ومدينة صَلخد Ṣalkhad الكبيرة التى تقع شرق بُصرى وجنوب جبل الدروز بالإضافة إلى القرى المجاورة كانت جميعها تقع فى إطار الولاية العربية (٣٠). وكانت مدن الشمال مثل حَبران Ḥabrān ، وعتيل Atil ، مشنّف Mushannaf، والسويداء 'Suweidā، وقنوات Qanawāt كانت جميعها جزءاً من ولاية سوريا بعد ضم العربية (٣١). ومن الطبيعى توقع أنه ما زال هناك مناطق شمالية أخرى مثل منطقة الليجا الصعبة التى يمكن توقع وقوعها بالمثل فى الولاية السورية ، الأمر الذى تؤكده النقوش (٣٢)، ولذلك يبدو أن الرومان قاموا فى القرن الثانى الميلادى بتوسيع خط الحدود الشمالية للولاية الجديدة قليلاً إلى شمال بُصرى وإلى شرقها .

نبعت مشكلة الأقاليم التى تم ضمها فى شمال وغرب بُصرى فى الحقيقة من عدم وجود نقوش كتابية من ذلك الإقليم الذى يسمى النُّقرة Nuqra ، ولكن هناك نقشاً حجرياً عثر عليه فى بداية هذا القرن فى موقع السجن Sijn ، فى الركن الشمالى الشرقى من "النقرة "، جنوب الليجا مباشرة ، وبالقرب من الشمال الغربى لمنحدرات جبل الدروز (٣٣). ويظهر أن النص المهشم الذى يبدو بعيداً عن الوضوح يسجل تاريخ

عام ١٧٩-١٨٠م . طبقًا لحقبة الولاية (٣٤). وعلى أى حال فمن الصعوبة بمكان الاعتقاد بأن الرومان قد استوعبوا فى العربية كل إقليم النقرة الذى يقع على حدود المنحدر الغربى لجبل الدروز ، بينما كانوا مهتمين بإضافة كل الأجزاء المتطرفة من جنوب جبل الدروز نفسه إلى ولاية سوريا . لم يكن هناك سبب واضح لتوسيع الحدود فجأة إلى الشمال فى المنطقة التى تقع شرقى بصرى فى حين الامتناع عن فعل ذلك فى المنطقة الواقعة إلى الشمال. ولما كان حَجر" السجن " يعد دليلاً وحيداً، وحيث لا توجد نصوص شبيهة له من الإقليم على الإطلاق ، لذا فيبدو أنه يمكن القول بحذر أنه كان حجراً جوالاً ، أخذ طريقه إلى السِجن Sijn من أى مكان آخر يقع فعلاً فى ولاية العربية (٣٥).

ومن جانب آخر ، فمن الواضح أن خط الحدود على طول المنحدر الجنوبى لجبل الدروز لم يمتد فى اتجاه الغرب ، ولكنه كان ينحنى إلى حد ما شمالاً، حتى يصل على الأقل إلى مدينة عيرا Ira ، التى كانت تؤرخ بحقبة الولاية منذ فترة مبكرة ترجع لعام ١٧٦-١٧٧ . (٣٦). وحتى الآن يمكن القول إن الحدود الشمالية كانت تمر قليلاً فوق "درعا" وغرب "حوران" ، وإذا كانت الكرك "Karak" تعتبر كما اقترح حديثًا جزءاً من إقليم القنوات (كاناثا Canatha) (٣٧) ، فهذا يؤدى إلى الرفض القاطع لكون " السجن Sijn " الذى يقع فى شمال هذا الإقليم يعد جزءاً من الولاية العربية، ولم يكن هناك شك فى أن القنوات نفسها كانت جزءاً من سوريا فى القرن الثانى الميلادى . وإلى الغرب من درعا يبدو أن حدود العربية قد استدارت بشدة ناحية الجنوب لتترك معظم المدن العشر Decapolis فى إطار بيرايا التابعة ليهوذا (فلسطين) Judaea، وكما سبق أن رأينا أن كلا من جيراسا Gerasa وفيلادلفيا فى أقصى جنوب المدن العشر جنوب درعا قد ألحقت بالولاية العربية ، بينما ألحقت المدن البعيدة الواقعة غرباً مع يهوذا (فلسطين) ، وألحقت المناطق التى تقع بعيداً فى الشمال بسوريا . .

رسمت حدود الولاية العربية بدقة معقولة فى الشمال والغرب ، وعلى امتداد الشاطئ الغربى للنقب . ولما كانت الولاية تلتصق بالصحراء ، لذلك لم يكن هناك خط فاصل للتحديد بينهما ولايتوقع المرء أن يجد واحداً هناك . ففى كل من سيناء والحجاز

وفى الصحراء السورية الكبرى إلى الشرق نستطيع أن نميز فقط المناطق التى وقعت فى إطار مسئولية حاكم العربية . ومن الصعوبة بمكان القول إلى أى مدى امتدت تلك المسئولية ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الادعاء على أراضى الصحراء يجب ترجمته بأنه يعنى بأن مثل هذه الأماكن المفتوحة كانت لا تعد جزءاً من ولاية العربية . لقد كانت حدود هذه المناطق مفتوحة ؛ كما كان الوضع فى عهد ملوك الأنباط ، وكانت قوات الجوف ومدائن صالح تستطيع عند الضرورة القيام بالمغامرة خلف هذه المناطق النائية عندما تتهددها الأخطار ، لذلك وجدوا أنه من الأفضل التمركز فى الواحات الهامة الواقعة على الطرق الرئيسية .

ظل هذا هو الوضع القائم فى الجنوب والشرق بوجه خاص ، والذى يمكن وصفه بحق على أنه يمثل الدفاعات فى العمق [٣٨]. ووضعت قوات من المشاة ، والفرسان وراكبى الجمال فى أماكن استراتيجية فى الأجزاء الأكثر بعداً من الولاية ، بينما يوجد بالقرب من الأماكن التى يقيم فيها السكان والمزروعة قوات أساسية أكثر وشبكة معقدة من أبراج المراقبة والقلاع . وكان هذا النوع من الحدود العميقة فى العربية هو الذى أصبح يعرف فى تاريخ لاحق فيما بعد بأنه الدفاعات العربية limes Arabicus [٣٩] . وينبغى أن نوضح أن اصطلاح limes لم يستعمل لكى يدل على الحدود المحصنة للعربية فى القرن الثانى والثالث الميلاديين ، إذ كانت الكلمة تستعمل تقليدياً بطبيعة الحال لتصف خطاً دفاعياً محصناً مثل تلك التى كان يمكن رؤيتها بسهولة فى ألمانيا أو فى البلقان أو على طول الراين أو الدانوب أو عبر قمم الجبال . أما تحصينات العربية فقد كانت مختلفة اختلافاً كبيراً وتتواءم بصعوبة مع المعنى العادى لاصطلاح الحدود limes الرومانى فى الوقت الذى تم فيه ضم الولاية . وعندما ظهر اصطلاح الحدود العربية limes Arabicus فى مصادرنا كان قد أصبح للاصطلاح معنى آخر ربما بسبب تأثير الضغوط للدفاع عن الصحراء. وأصبح يعنى المناطق المحصنة أكثر من كونه خطوطاً محصنة ، وبهذا المعنى يمكن أن ينطبق بالنسبة إلى شمال أفريقيا والشرق الأدنى منذ القرن الثالث الميلادى وما يليه [٤٠].

وفى الواقع فإن العبارة التى استخدمها المؤرخ أميانوس ماركللينوس Ammianus Marcellinus بالنسبة للأجزاء الواقعة أقصى الحدود السورية ، وهى الحدود الداخلية interiors limites ، يمكن أن نرى الآن أنها تعنى ببساطة الأماكن المحصنة فى أجزاء الولاية والواقعة فى داخل البلاد (interior) (٤١) . ومن سوء الحظ أدى عدم الفهم فى الماضى لكل من معنى الحدود limes والداخلية interior إلى الخلط بينهما عند تناول الحدود الشرقية ، فقد أخطأ اثنان من كبار المنقبين (عن الآثار) فى العربية الرومانية وهما برونو Brünnow ودوماسفسكى Domaszewski فى الاعتقاد بأن كلمة الحدود limes فى إقليم العربية لابد أن تعنى خطًا دفاعيًا من النوع التقليدى ، وكانوا متأثرين بكلمات أميانوس فى هذا الاعتقاد ، لأنه إن كان يوجد مثل هذا التفكير والذى يعنى حدوداً داخلية interior limes فإنه يمكن أن يكون هناك فى الوقت نفسه حدود خارجية exterior لذلك افترضوا جدلاً وجود حدود داخلية وخارجية limites فى الولاية العربية ، ثم أوضح الفحص فيما بعد أن هذه الترجمة لا يمكن الدفاع عنها ، فى ضوء الدليل المستمد من أراضى الولاية . التى لم يكن لها حدود واضحة ، فيما عدا "طريق تراجان الجديد "، والذى يقع فى جزئه الأكبر أبعد كثيراً خلف المنطقة السكنية أكثر من كونه ذا فائدة صغيرة لحماية الحدود ، والتى لم تكن فى الوقت نفسه مقراً للتجهيزات العسكرية الكبيرة (٤٢). فهذه قد وضعت فى منطقة أبعد شرقًا ، على شكل نقاط متفرقة أخذت فى اعتبارها مستويات الأرض ليسهل منها القيام بإعطاء الإشارات (العسكرية)، كما وضعت فى اعتبارها أيضًا سهولة الحصول على المياه. ونجح الأنباط قبل الرومان فى اختيار المناطق المثالية لإقامة معسكراتهم الحربية فى أغلب الأحيان .

ولذلك عندما نتحدث عن الحدود العربية limes Arabicus فى الإشارة إلى الحدود العربية المحصنة ، فإننا نتحدث عن منطقة دفاعية للحماية فى العمق ، وتمتد هذه المنطقة على الإقليم من المعسكر الرئيسى للفرقة الذى يقع فى الليجون Leijūn بجوار الكرك (بالقرب من البحر الميت) إلى القوات العسكرية الموجودة فى وادى سرحان ووحدة ركوب الجمال فى جنوب مدائن صالح . ومن الواضح أنه كلما ازداد الاقتراب من المنطقة السكنية فى الولاية ، زادت كثافة شبكة التحصينات . وإذا اتجه المرء

غربياً من الأزرق فى اتجاه الطريق الجديد الذى يتجه من فيلادلفيا إلى بُصرى ، يجد هناك زيادة فى التحصينات العسكرية ، متضمنة من بينها نقاط الحراسة الأمامية فى أم الجمال وقصر الحلابات Qaṣr al Ḥallabāt . والشىء نفسه عند الاقتراب من الشرق إلى وادى الحسا Wadi Ḥāsā ووادى مجيب Mujib، يوجد حزمة من المعاقل وأبراج المراقبة التى تقوم بحماية المناطق السكنية فى الأجزاء الغربية للولاية ، كما تقوم بحماية مدخل من الجنوب على طول حافة الصحراء (٤٣).

وتوجد أدلة وفيرة توضح وجود الفرقة الحربية الجديدة للولاية وهى فرقة قورينة الثالثة فى معسكر العاصمة فى مدينة بُصرى ، ثم أخذت الأدلة فى التناقص وقل وضوحها لكى تبين متى بنيت المعسكرات الكبيرة الأخرى والتى كانت تقع فى الولاية وكم على وجه التحديد عدد الجنود الذين أقاموا فيها. ويمكن رؤية حدود معسكر الليجون من الصور الفوتوجرافية الجوية للمنطقة التى كانت تجرى فيها الحفائر عام ١٩٨٢ . ولا يمكن معرفة تاريخ نشأة المعسكر أو طبيعته نتيجة لعدم وجود نقوش أو كتابات ، ولذلك لا يزال هذا الموضوع قيد البحث . وتشير قطع الفخار أنه يرجع إلى فترة متأخرة بعض الشىء من حياة الولاية ، وربما لم يتم تشييده قبل عصر الحكام الأربعة Tetrarchy (٤٤) . ويبدو من جانب آخر أن المعسكر الذى يقع عند أذرح الحديثة Udhruḥ يمثل بالتأكيد الموقع القديم أدرو Adrou (فى المنطقة التى يطلق عليها بطلميوس الجغرافى العربية الصخرية Arabia Petraea) ، ويبدو أنه يرجع للسنوات الأولى لتكوين الولاية . وتشير الحفائر الأثرية الجارية الآن والأدلة المستمدة من العملة ودراسة طبقات التربة أنه يرجع لعصر تراجان (٤٥)، وإذا كان الأمر كذلك ، فربما كانت أذرح Udhruh تستخدم كموقع للقوات المدافعة عن الجزء الجنوبى للولاية ، مثلما كانت بُصرى تقوم بمهمة الدفاع عن الشمال ، ومن الواضح تماماً فهم السبب فى وجود حامية كبيرة فى الجنوب بالإضافة إلى وجود الحصون وقلاع المراقبة ، لأن ميناء مدينة أيلة Aela فى ذلك الوقت لم يكن قد أصبح بعد مقراً لقوات فرقة عسكرية (كما أصبح فيما بعد فى القرن الرابع) .

وفوق كل ذلك فقد أسندت مهمة الدفاع عن العربية إلى فرقة قورينة الثالثة ، والذى كان قائدها فى الوقت نفسه هو حاكم الولاية . وعلى الرغم من إمكانية تتبع آثار وجود هذه الفرقة خارج الولاية فى مناسبات عديدة بعد ضمها ، فإن هناك قليلاً من الشك حول أنها كانت الفرقة التى خصصت للولاية منذ البداية وذلك بعد المناقشات العلمية الكثيفة التى دارت بين المتخصصين فى السنوات الأخيرة (٤٦). وربما تم استعارة فرقة فيراتا Ferrata السادسة من سوريا فى فترة أو أخرى خلال سنوات تنظيم الولاية ، ولكن تم ترحيلها نهائيًا إلى فلسطين فى فترة مبكرة ، وربما عام ١٢٣م(٤٧). ومن الواضح أنه حتى عصر ديقلديانوس لم يكن هناك وجود لأى فرقة بخلاف فرقة قورينة الثالثة التى خصصت للعربية بصفة دائمة، أو حتى بصفة مؤقتة(٤٨). لقد ظلت هذه الفرقة هى الوحيدة الموجودة فى الولاية لأكثر من مائتى عام .

أما بخصوص وحدات القوات المساعدة Auxilia ، فلم يتم العثور على أية براءة عسكرية diploma (*) من الولاية يمكن أن تساعدنا فى هذا المجال. ولكن يمكن من خلال النقوش وأوراق البردى أن نعرف تركيب القوات الرئيسية. ويبدو أنه كان هناك حوالى اثنتى عشرة وحدة (٤٩)، من بينها وحدة الجمال ala dramedariorum ، وكتيبة حاملى السهام ala veterana Gaetulorum، المعروفتان من كتابات مدائن صالح والعُلا فى الحجاز . أما الكتيبة الإسبانية الأولى cohorts 1 Hispanorum وكتيبة طيبة الأولى cohors I Thebaeorum فيبدو أنه تم تحريكهما عام ١٠٥ لتشاركا فى تنظيم ولاية العربية (٥٠). وكتيبة إسبانيا السادسة VI Hispanorum cohors ويبدو أنها دخلت الولاية من مركز قريب يقع على الحدود السورية بين دمشق وتدمر (٥١)، وهناك كتيبتان

(*) هى شهادة عسكرية تمنح للجندى الأجنبى المُسرَّح تسريحًا مشرفًا من القوات المساعدة والأسطول (وليس الفرقة)، بعد خدمة تراوحت بين ٢٤-٢٦ عامًا يحصل الجندى بمقتضاها على الجنسية الرومانية وحق الزواج Cnoubium لتعامل زوجته الأجنبية كما لو كانت رومانية ليحصل أبناؤه على الجنسية الرومانية. راجع، الروبى، الحياة اليومية، ص٤٢-٤٣ ؛ الإبيارى (حسن)، تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى فى عصر الرومان، ص١١٠وما يليها .

سوريتان كذلك تم تحركهما إلى الولاية فى فترة مبكرة ، وهما كتيبة أغسطس التراقية الأولى للفرسان cohors I Augusta Thracum equitata، والكتيبة العسكرية الطراقية الأولى cohors I miliaria Thracum[٥٢]، ويشير نقش من إمتان Imtān إلى أن كتيبة أغسطس الكناثية الأولى للفرسان cohors I Augusta Canathenorum equitata كانت موجودة فى العربية قرب بداية تكوين الولاية [٥٣]. ويبدو أنه كان يوجد أربع كتائب أخرى على الأقل ، ولكننا لانستطيع تحديدها حتى الآن ، حتى يمكنها أن تغطى أعداد القوات المساعدة التى تتناسب مع احتياجات فرقة الولاية .

ولوحظ أن القوات المسلحة الرئيسية كانت بالضرورة تمثل جيشًا من الأجانب[٥٤]. وجاءت الفرقة المحتلة ، وكذلك عدة كتائب من مصر ، وجاءت كتيبة الجيتوليين من فلسطين ، ويبدو أن عدة كتائب أخرى قد قدمت من سوريا، ومن جانب آخر جاءت عدة كتائب من خارج الولاية ، من مناطق تقع فى إطار الشرق الأدنى الرومانى، منها ست كتائب أولبيا الصخرية six cohores Ulpiae Petraeorum التى تراوح عددها بين ٤٠٠٠ -٥٠٠٠ جندى [٥٥]. ويبدو أن هذه الكتائب بالإضافة إلى فرقة تراجان لحاملى السهام gentilicium of Trajan وفرسان الأنباط الذين ينتمون إلى المركز الرئيسى فى البتراء كان يتم إرسالهم خارج الولاية لخدمة الجيش الرومانى ، وهؤلاء الأنباط الذين خدموا فى مرتبة أدنى كفرسان كتائب equites cohortates بدلاً من أن يخدموا فى الوحدات الأساسية alae، كان يتم إرسالهم إلى خارج الولاية ربما لدواعٍ أمنية ، وخدم هؤلاء الشباب المهرة ليحلوا محل الوحدات التى تم سحبها من الولايات الأخرى لكى يقوموا بحراسة بلادهم، وعلى أى حال لم يمضِ وقت طويل قبل أن يقوم الجيش العربى بالتجنيد محليًا لكل من القوات المساعدة auxilia والفرقة legion ، إضافة إلى القوات الأخرى التى خدمت خارج الولاية [٥٦].

ظلت قوات الدفاع عن العربية فى القرن الثانى الميلادى تقوم بمهمتها بجدارة لحماية الحدود ، فى كل خطوط الطول والعرض فى الشمال والغرب ، وفى الخطوط المفتوحة فى الجنوب والشرق ، دون أن يرتبط ذلك بأى غزو معروف أو اضطرابات .

ولكن هناك إشارات تشير فقط إلى مشاكل من نوع آخر ؛ من بينها ذلك الحادث الذى يُعد أكثرها غموضًا، حيث كُشف حديثًا عن كشط بعناية لاسم الحاكم هاتريوس نيبوس Haterius Nepos من نصوص من جيراسا Gerasa (٥٧) . ولما كان هو الحاكم عام ١٣٠ ، وأنه ظل فى الحكم بعد تلك السنة ، فيبدو أن احتقاره جاء لأمر يتعلق بسلوكه فى العربية خلال فترة المشاكل التى أثارها باركوخبا Bar Kokhba . ونحن نعلم أنه تم سحب جزء من فرقته إلى يهوذا (فلسطين) للمساعدة فى سحق الثورة . ومن خلال مشاهدة قيام باباثا بالانسحاب السريع غير السار من حيث كانت تقيم فى ولاية العربية إلى منطقة الحرب فى يهوذا (فلسطين) ، يمكن أن نقول دون تجاوز إن هاتريوس نيبوس كان مسئولاً عن تورط ما فى مذبحةٍ لصالح الرومان فى أثناء ثورة اليهود. وفى كل الأحوال فإن كشط اسم حاكم الولاية كان شيئًا نادر الحدوث ؛ ولكنه لم يكن شيئًا فريدًا تمامًا . ويوجد نقش من صَلْخَدْ Salkhad يرجع لعام ١٦٩ م. تظهر فيه الظاهرة نفسها (٥٨)، ويحمل هذا النقش اسم أفيديوس كاسيوس Avidius Cassius الذى عانى من التشهير به (إزالة الاسم) damnatio memoriae نتيجة للثورة التى اندلعت فى سوريا ضد ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius بعد عدة سنوات . وعلى أى حال فإن صَلْخَدْ التى تقع جنوب الحدود السورية هى الولاية التى كان يحكمها ماركوس أوريليوس . إن التشهير بالحاكم فى نقش صلخد كان يجب أن يكون لشخص آخر غير أفيديوس ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإن هذا الكشط يقدم دليلاً مناظرًا للتشهير بهاتريوس نيبوس ، وباستثناء هذه الإشارات الدالة على المشاكل وسوء التصرف ، فقد مرت المراحل المبكرة من عصر الولاية العربية الجديدة بهدوء بصفة عامة .

مصادر الفصل السابع

(١) راجع الملحق رقم(٤).

(٢) Ptolemy,Geog.5.15 (Coele Syria) and 517(Arabia Petraea).

(٣) راجع أعلاه ص ١٤٥ حاشيه رقم٤٤.

(٤) M.Sartre,Trois études sur l'Arabie romaine et byzantine(1982),p.42 حيث دارت المناقشة حول عدرا Αδρα' التى ذكرها بطلميوس فى(Ptolemy,Geog.5.15.23) جوف سوريا -Coele Syria،وبين عادروا (5.17.5)'Αδρου'في العربية الصخرية Arabia Petraea،والتى يعتقد أنها المدينة نفسها "il s'agit à coup sûr de la même ville,"،وهى مدينة درعا Der'ā. كما يعتقد أن أدرامة Adrama(5.15.26) الواقعة في باتانيا Batanea هى المكان نفسه .

(٥) راجع عن المدن العشر بصفة عامة : H.Bietenhard,ZDPV 79(1963),24-58,& ANRW II. 8 (1977), 221-61; S. T. Parker , JBL 94 (1975), 437-41; وعن مصادر كل مدينة على حدة راجع العمل القيم الذى قام به سبيجكرمان : A.Spijkerman ,The Coins of the Decapolis and Provincia Arabia (1975);Cf also B. Isaac ,ZPE 44(1981),67-74، الذى أثبت أن المدن العشر كانت تمثل وحدة إدارية رومانية واحدة في عهد الإمبراطور دومتيان .وعن جدارة Gadara وبيلا Pella وكابيتولياس Capitolias،لاحظ رأى سارتر (above,n.4),p.45). وعن الحفائر الحالية في بيلا (عام ١٩٨٤)،راجع: R. H. Smith , Archaeology 34.5(1981),46-5:، للمؤلف نفسه راجع ،(Pella of the Decapolois (1973 .

(٦) أصبحت كناثا Canatha(القنوات Qanawāt)جزءًا من العربية في عهد سبتيموس سيفروس . راجع أدناه ص١٧٦/١٧٧.

(٧) مدينة أبيلا عضوة اتحاد للمدن العشر -'Αβιλ̓ηνος της Δεκαπ*πόλεος [sic](133-134), Waddington ,IGLS no.2631.

(٨) راجع :Spijkerman(above,n.5),pp.122-23. قامت جامعة أندروز بإجراء حفائر أثرية في موقع إسبوس Esbous القديم ، ولم يتم دراسة الآثار الهامة التى كشف عنها وترجع إلى القرن الثانى:A.L. Mitchel,AJA(1980),224.

(٩) راجع المسح الجديد الهام الذى قام به جراف - David .F. Graf,ADAJ 23(1979),121-27.وعن المحاولات المبكرة التى تمت لتتبع الطريق الذى يربط بين صَدقة Sadaqa والحُميمة Humaima،راجع على وجه الخصوص A.Musil,The Northen Heĝâz (1926), p.58 & Aurel Stein in D.L. Kenndy,Arch-Explor, (1982),pp271-87. أخطأ سارتر Sartre(above,n.4),pp.22- 23،عندما حذف الحُميمة من قائمة الخاصة بالمواقع الكبيرة على جانبى الطريق الجديد Via Nova في الحَسمى Ḥismā ولخبرنى دافيد جراف أنه يعتقد أن الطريق الجديد Via Nova عندما كان يصل إلى أسفل المنحدر كان يقترب من الطريق السريع الحديث الواقع غرب الطريق السريع القديم .

(١٠) Graf(above,n.9)،وعن القويرة Quweira، والخالدى Khālde وكيثارا Kithāra راجع،S.T.Parker,ADAJ 21(1976),19-31.

(١١) وهناك العديد من المخربشات فى وادى مُكتاب Wadi Mukattab ووادى فيران Wadi Feirān.راجع B.Rothenberg",,An Archaeological Survey of South Sinai",PEQ 102(1970), 4-29.وعن نبذة مختصرة عن تاريخ المخربشات راجع Sartre(above,n.4),pp38-39.See also A. Negev,"Nabataean Inscrptions in Southern Sinai", BiblArch 45 (1982),2-1-25.

(١٢) راجع النص الذى اقتبسه سارتر Sartre(above ,n.4),p.38.لاحظ على سبيل المثال (عام ٤٥ من تاريخ الولاية =١٥٠/١٥١)في النقش التالى:CIS II 1325،وعام ٨٥ من تاريخ الولاية=١٩٠/١٩١فى، CIS II.964؛عام ١٠٠من تايخ الولاية مع "صلاة لثلاثة أباطرة"،عام ٢٠٥-٢٠٦ ميلادية المذكورة فى CIS II 963،وأرخ سارتر النقش الأخير بعام ٢١١/٢١٢ ، ويرى دى فوج De Vogüé فى تعليقه أن هذا التاريخ لا يمكن الدفاع عنه .

(١٣) من وادى تويبا Tuweiba، AE 1972. 671 (Cf. M. Speidel, A NRW II. 8 [1977], 694-95, &Sartre [above, n.4],p.39): "تيتوس أتيليوس توربو من مشاة فرقة قورينة الثالثة – T.Atilius Turbo m(iles) leg(ionis)III Cyr(enaicae).وعُثر على النقش بالقرب من منجم للنحاس الأمر الذى يفسر وجود الجنود هناك .ولمزيد من المناقشات التى دارت حول النقش راجع : IEJ, 22 (1972),145-47. E.D.Kollmann

(١٤) ZPE (1971),152,n.3 مع التصحيح الذى قدمه سبيدل- Speidel (above,n.13), 695 , n.23: Victoria Augg.

(١٥) P.J.Parr ,G.L.Harding, & J.E.Dayton, Bull. Inst. Arch. Univ .London 8-9 (1970), 226 -38.

(١٦) H.Seyrig,"Postes romains sur la route de Médine," Syria 22 (1941) 218-23;. أعاد سارتر نشر النص فى Sartre(above ,n.4),pp30-33.

(١٧) قام كل من جوسين سافيناك بنشره لأول مرة ، A. Jaussen & R.Savignac,Mission archéologique en Arabie II(1914), p.193.no.226(the text is no.19 in Sartre's list[above,n. 4],p.32, وهو يشمل ترجمة النص فقط: şbrw br'wšw dy mn șlhdw.

(١٨)(كتيبة جيتولون Jaussen & Savingnac (above,n.17),pp.647-48,nos.14 &16 (ἄλα Γετουλων)، وأعاد سبيدل نشره Speidel (above,n.13), 705; & Sartre (above, n.4) pp.30-31, nos.1&3 عن كتيبة راكبى الجمال ala of dromedarii راجع .Jaussen & &Savignac,p.645,no.6(Speidel,704;Sartre,p.31,no.9).

(١٩) نشر بَرجر T.C.Barger قراءتى(بورسوك) للنقش ملكن من خلال مسودة خطأ فى Archaeology 22(1969),139-40 ويمكن رؤية صورة فوتوجرافية لها فى Archaeology 19 (1966),218 .&JRS 61 (1971),plate XIV.1 والنص كالآتى : "من أجل الحظ السعيد لرسام بُصرى هادريان في فرقة قورينة الثالثة – Τύχη βόστρων ('Αδριανος ζωγάφος συν λεγ.) راجع : Archaeology 19(1966), 218, &JRS 61(1971),XIV.I وعن عمل الرسامين العسكريين راجع المرجع التالى، ولم يكن لديه علم بنقش مدائن صالح ، G.M.A . Hanfmann,"A Painter in the Imperial Arms Factory at Sardis",AJA 85 (1981),87-88. ويقوم رسام الفرقة بزخرفة الدروع.

(٢٠) Musil (above,n.9) ,p.185.Cf.G.W. Bowerscock ,JRS 61(1971),230-31.

(٢١) J.T.Milik.inP.J.Parr,G.L.Harding ,&J.E.Dayton, Bull. Inst. Arch. Univ. London 10 (1972), 54-57 أعاد بورسوك تقديم النقش وناقشه فى : G. W. Bowerscok, Le monde grec :Hommages à Claire Préaux(1975),513-22;Davide –F. Graf, BASOR 229(1978),9-12;Sartre(above,n.4).pp27-29 (قدم ترجمة للنص النبطى فقط) وجاء أقدم نشر للنص فى- eim &R. F. Alth-Stiehl,Die Araber in der alten Welt V.2(1969) pp24-25، وهو عديم الفائدة على الرغم من أن الصور الفوتوجرافية التى جاءت فى اللوحات ٢-٥ جيدة .

(٢٢) ينتهى النص النبطى بالعبارة الآتية : [..ca.10] whḥfyt 'ṇtsṭys 'dwnts hgmwn' wrmṣhm. أن الدور الذى قام به أنتستيوس أدفنتوس Antistius Adventus تشير إليه الكلمة النبطية hfyt والتى تظهر فى اللغة اليونانية على النحو التالى μετα

[προτρο[της]και ʽεκ πει[θους في النص الذى قدمه ميليك Milik.وسبق أن اقترحت أننى أفضل أن يحل محلها كلمة [πρo[νoίας ʼεκ في above,n.21],5160]).ويدل الفعل rmş على أن أدفنتوس كان يقوم بعملية تحقيق السلام بين القبائل .ولم تظهر الكلمة في قاموس كانتينو Cantineau'Lexicon ؛ ولكن الكلمة العربية الكلاسيكيةهى to make",(bαinα) ramαşαpeace (between عن دراسة حديثة (لنقش) الرواقة وثمود راجع

J. Beaucamp, SDB : 9(1976),1467-75.

(٢٣) راجع الملحق رقم (II) من الكتاب ؛ وأيضًا G.W.Bowerscok,on the work of Nelson Glueck &F.V.Winnett,in JRS 61(1971),221.

(٢٤) D.L.Kennedy in Roman Feontier Studies1979, BAR International Series 71(1980).879-87 للباحث نفسه ؛ ArchExplor (1982),chap.4 عن واحة الأزرق ومحيطها .

(٢٥) عن منصب قائد المشاة Stratopedarch (rb mšryt')فى الجوف راجع: R.Savignac &Starcky,RB 64(1957),215.

(٢٦) لم يتم نشر النص اللاتينى فى الجوف رسميًا حتى الآن ولكنه متوافر الآن كاملاً ; راجع: Speidel, (above, n.13), 694, & Kennedy, Arch Explor (1982), p.190,no. 39:"تحية إلى الأوغسطين،جوبيتر المعظم هامون ، والمقدس سولموس،من فلافيوس ديونيسيوس من فرقة قورينة الثالثة- Pro Salute/domm. nn,Augg./I.o.Ham/mo -ni et san/cto Sulmo/Fl.Dioysi/us 7 leg.III Cyr./v.s", راجع اللوحة رقم ١٤ أدناه (ويرجع الفضل فيها إلى محمود غول).

(٢٧) عن الرابطة الوثيقة بين زيوس هامون مع بُصرى وفرقتهاالعسكرية راجع العُملة التى تحمل اسم الفرقة وصورة زيوس هامون A. Kindler,IEJ 25 [1975], 144 & SNG, Amer. Num . Soc., part 6 ,Palestine –South Arabia [1981],nos.1222-26 [Bostra]. ;D.Sourdel ,Les cultes du Hauran à l'éoque romaine (1952), p.89, وقُدم فيها نقوش بُصرى التى ورد فيها ذكر زيوس هامون . وعن سولموس Sulmus راجع :PAES III .A.no.239 (من أم الجمال) "الإله سولموس "θεω Σόλμω"،وقام سوردل بإعادة نشر النقش Sourdel,87 .

(٢٨) أثبت كينيدى أن البرج" رومانى بيزنطى" Kennedy,Arch- Explor(1982),p.300 وعن النقش اليونانى هناك راجع : S. Dow, in H.Field,North Arabian Desert

وعن آثار برقع Burqu' Archaeological Survey 1925-50(1960),pp.161-63
راجع:-H.G راجع : H. Gaube,ADAJ 19(1974),93-100

(٢٩) قام كتنهوفين بدراسة الدليل بدقة وقدم كتالوج عنه ، E.Kettenhofen,"Zur Nordgrenze der provincia Arabia im 3. Jahrhundert n.Chr.",ZDPV 97 (1981),62-73 وقام سارتر أيضًا بتقديمه على حدة (above,n.4),pp48-54.وقمت مع سارتر بالخوض في التحليل القيم للدليل الخاص بالحد الشمالي فى الفصل الرابع للإطروحة (رسالة دكتوراه)التى لم تنشر بعد والتى تحمل عنوان: Studies in the History of the Roman Procince of Arabia " (Univ. Manchester,1979),by H.I.Mac Adam. ويرى سارتر أن التأريخ فى القرن الثالث طبقًا لسنة حكم الإمبراطور لا يوضح شيئا عن ضم الولاية.

(٣٠) عن المواقع الأثرية فى هذا الإقليم راجع Kettenhofen above, n.29),71-72 ومناقشتها لدى سارتر (above,n.4),pp49-50.

(٣١) راجع عن حَبران Ḥabrān: PAES III A.nos.661-63(IGR 3.1292,1294-95)؛عن عُتيل ʻAtil:(IGR 3. 1237: AAES 427 a)؛ سويداء Suweidā': Waddington, :IGLS, 2306,2308 (2309 (IGR 3.1274, 1276-77)؛قنوات Qanawāt: Waddington, IGLS 2330—31 (IGR 3. 1224, 1226) . عن المدن والقرى الأخرى التى تقع في المنطقة راجع: . .Sartre(above,n.4),p.51.

(٣٢) عن قائمة بمواقع الإقليم راجع . Kettenhofen,region A 2(above,n.29),65-66.

(٣٣) راجع : R.Savignac &A. Abel ,RB 14(1905),95,no 10,reprinted in R.E Brünnow&A. von Domaszewski, Die Provincia Arabia III (1909), 318 (Cf.p.267) درس مـالك آدم هذا النقش بعناية فى (above,n.29)، ومن سوء الحظ أن كتنهوفين Kittenhofen افتقده بالكامل ،أما سارتر فقد عالجه فى (above,n.4),pp.50-52.

(٣٤) قام الناشرون بترميم النقش على النحو التالى :"السنة السابعة عشر والرابعة من حكمه – ἔτους τοῦ ʽεβδο[μηκόστου καί τετ]άρτου της ἐπα[ρχείας] واستبدلوا حرفى ut فى النسخة التى كانوا يعملون عليها (مع حرفى εs)، لذلك ظهرت الكلمة ετους بدلاً من σιους وكلمة εβδο بدلاً من οβδο .

(٣٥) كان ذلك هو الرأى الذى انتهى إليه سارتر p.52, (above, n.4).وهو يتعارض مع النقش النبطى الخاص بدير المشقوق Deir al Mashqūq (PAES IV,A,no. 27)؛والمؤرخ بسنة حكم هادريان ، وكان سارتر محقًا عندما ذكر أن هذه الطريقة في التأريخ لم تكن معروفة تمامًا في القرن الثانى فى العربية (p.52).ويبدو أن الموقع ، فى جنوب غرب صَلْخد

Sakkhad كان يتبع الولاية .أما بخصوص اسم الحاكم الذى أزيل فلا يعنى ذلك أنه هو اسم الحاكم (PAES III.A,n.155) أفيديوس كاسيوس Avidius Cassius كما لاحظ سارتر باهتمام ، وحتى لو كان الأمر كذلك فقد كان ليتلمان على صواب عندما استدعى أفيديوس على اعتبار أنه صاحب السلطة العليا maius imperium عند نشره النص فى PAES.

(٣٦) SEG 7.1149.

(٣٧) راجع مقالة سارتر التالية : M.Sartre, "Le territoire de Canatha," Syria, forthcoming.

(٣٨) E.Luttwak,The Grand Strategy of the Roman Empire (1976), chap.3 , "Defenses in the Depth",pp 127-90.

(٣٩) ظهر هذا التعبير مرة واحدة فى النصوص القديمة لدى : Rufinus ,HE 2.6:Palestini et Arabici limitis oppida atque urbes. ويمكن أن يؤدى استخدام هذا الاصلاح فى العصر المبكر إلى الوقوع بسهولة فى الخطأ . لقد كانت الحدود الشرقية للعربية تعد دفاعًا فى العمق قبل استخدام اصطلاح "limesحدود" ليشير إلى مثل هذا الدفاع .إن إطلاق اصطلاح "المشروع العربى لحدود الدفاعات الوسطى"المعاصر على الحفائر الأثرية الهامة التى قام بها S.T. Parker يعد أمرًا خطيرًا . إن الحدود العربية لم يحدث فيها تغيير مثل ذلك الذى حدث فى اصطلاح limes: فقد كانت تعنى دفاعات فى العمق منذ البداية .

(٤٠) وعن توضيح معنى limes (حدود) كمنطقة محصنة راجع G.W.Bowersock ,"Limes Arabicus,"HSCP 80(1976), pp.219-29. وعن نموذج من القرن الثالث بهذا المعنى فى شمال أفريقيا راجع:Inscr.Rom. Tripol.,no 880، وأعاد جودشيلد نشره مع تعليق مفيد عليه فى : R.Goodchild , Libyan Studies,ed.J.. Reynolds(1976), pp 27 - 28: regionem limi[tis Ten]theitani partitam .

(٤١) قام كل من مالاولتا وإيزاك كل على حدة بمناقشة المقصود بمعنى" الداخلىinterior" حديثًا، واستفاد كلاهما مما ورد لدى فيلليوس باتريكولوس Vellius Paterculus 2.120.2من قوله:"يدخل من الحدود الداخلية ويخرج من الحدود الخارجية – Penetrat interius aperit limites".راجع: M. Malavolta,"Interiores Limitites,"Octavia miscellanea greca e romana(1982),587-610;& by B.Isaac"Bandit in Judaea and Arabia"HS- .CP واستخدم فيستوس Festus فى الفقرة (٢١)اصطلاح داخلى Interior بالمعنى نفسه فيما كتبه عن قيام سبتيموس سيفروس بإجلاء العرب الذين هزمهم فى منطقة ما بين النهرين بأنهم (عرب الداخل–Arabas interiores).وبالمثل فيما كتب باللغة

السوريانية عن حياة رابيلا Rabbūla الكبير عندما قيل له بأن يرحل إلى المناطق الموحشة (فى داخل الصحراء madbrā gawāyā).

(٤٢) عن كل ماتقدم راجع:Bowersock,HSCP(above,n.40).

(٤٣) راجع نتائج المسح الذى تم على السطح: S.T.Parker," Archaeological Survey of the Limes Arabicus:a preliminary Report,"ADAJ 21 (1976),19-31: &the same auther,"The Central Limes Arabicus Project:The 1980 Campaign, ADAJ25 (1981), 171-78." وعن اسم المشروع راجع الحاشية رقم ٣٩ أعلاه .وأعلن في ADAJ عن توقع كشف أثرى مثير يقوم به ماكدونالد فى أقصى الجانب الشرقى من وادى الحَسا Hàsà.

(٤٤) S.T. Parker,Roman Frontier Studies (1979),BAR International Series 71(1980), 871,&ASOR News 8 (June 1981),8-20 ؛وعلى أى حال فإن الدليل الأثرى المستخرج من الحفائر وهو عبارة عن قطع من الشقف وجدت على السطح غير كافية لتأييد الافتراض الذى قدمه باركر من القيام بعمل ضخم لتقوية دفاعات العربية فى أثناء فترة الحكم الرباعى . إن مثل هذه العملية العسكرية التى ترتبط بتأسيس الليجون تظل فى نطاق الممكن (وحتى المحتمل ولكن لم يتم إثباتها بعد) .

(٤٥) يرجع الفضل فى هذه المعلومات إلى التقرير المبدئى الذى تفضل كيليك A.C.Killick المشرف على الحفائر فى أذرع Udhruh مشكورا بإرساله لى .

(٤٦) راجع المناقشة الكاملة عن الموضوع في D.L.Kennedy,"Legio VI Ferrata:the Annexation& Early Garrison of Arabia ,"HSCP 84(1980),283-309 كان لفرقة قورينة قوات فى دورا-Dura عام ١١٥ Exc.Dura-Europus 4[1933],57-65:6[1936],480-82،وفى أورشليم عام ١١٦-١١٧(CIL III. 13587) ،راجع التريبون (ضابط) فرقة قورينة الثالثة الذى كرمه تراجان لخدمته فى الحرب الفارسية المذكور لدى D.J. Blackman .in J.Schäfer,Phaselis:Beiträge Zur Topographie und Geschichte der Stadt und ihrer Häfen ,Istanbuler Mitt.Beiheft 24 (1981),p.155.

(٤٧) نبعت المشكلة من وضوح إقامة فرقة قورينة الثالثة في مصر عام ١١٩(BGU.I.140).من هنا جاءت الافتراضات المبكرة أنها لم تكن الفرقة التى خُصصت للعربية ، ولكن جاء الدليل من الوثيقتين البرديتين رقم ٤٦٥،٤٦٦ من مجموعة بردى جامعة متشيجان Pap.Mich. 465-466 على وجود فرقة قورينة الثالثة في العربية منذ البداية

M.Speidel(above,n.13).691-94:، وعن وجود فرقة فيراتا السادسة فى العربية راجع النقوش المذكورة فى C.H.Kraeling Gerasa(1938),p.435,no.171، كما قام كينيدى بمراجعته وإعادة نشره(above,n.46).297-99) بالإضافة إلى نقش جديد قام بنشره 299-(300)،ونقش آخر نشره سارتر في ZPE 13 (1974),85-89.ودارت مناقشة كينيدى على أن فرقة فيراتا السادسة كانت موجودة فى العربية من عام ١١٦إلى عام ١٢٣، بينما قامت فرقة قورينة الثالثة بمد تراجان بقوات منها خلال حملته الفارسية وأيضًا لأورشليم ، بعد ذلك استقرت لفترة قصيرة فى مصر قبل عودتها إلى العربية .

(٤٨) عن وصول (فرقة)مارتيا الرابعة IV Martia وربما كان ذلك في أواخر القرن الرابع ، راجع Speidel (above,n.13),699.ورافقت الفرقة الفارسية الفليبية الأولى Legio I Parthica Philippiana الإمبراطور العربى فى العربية بعد حملته الفارسية ،لكن هذه الفرقة لم تكن مخصصة للولاية العربية: Speidel,698-99 .

(٤٩)عن التسجيل الرسمى للوحدات المعروفة والرأى الخاص بعددها الكلى راجع : Speidel (above,13), 699-717.

(٥٠) راجع ص١٣١ من الكتاب ،حاشية رقم (١٤): Speidel(above, n.13)709-10&719.

(٥١) Speidel (above, n. 13) , 709 وعن نقش الحلابات Ḥallabāt الذى يثبت وجود هذه الكتيبة فيها عام ٢١١/٢١٢ راجع الآن :.Ken ArchExplor (1982), pp.39-40.no.3 nedy

(٥٢) Speidel(above,n.13),710-711. وعن كتيبةأغسطس الأولى التراقية للفرسان cohors I Augusta Thracum equitata راجع: ,R.Mellor&E.Harris ,ZPE 16 (1975)(121-24 في سوريا عام ٨٨) ;A. Negev,IEJ 17(1967),54 ،(في مامبسيس في أوائل القرن الثانى). وعن الكتيبة التراقية الأولى cohor I miliaria Thracum فيبدو أنها هى الوحدة السورية التى ثبت وجودها عام ٨٨ و٩١ (Speidel, 711)). وذكرت العربية مرة واحدة فى نقش الحلابات(n.51 above).

(٥٣) CIL III.14379 (cf.Speidel [above, n.13].كانت كناثا مدينة تابعة لولاية سوريا في القرن الثانى م.ولذا لابد أنه كان عليها العبور للوصول إلى العربية .

(٥٤) Speidel (above,n.13),719.

(٥٥) عن فصائل أولبيا الخاصة بالبتراء Cohortes Ulpiae Petraeorum راجع : C. Cichorius, RE 4.1.324-25 and Speidel (above,n.13) 719.

(٥٦) راجع :Speidel ,(above,n.13),720،وعن التجنيد المحلى لفرقة قورينة الثالثة لاحظ على وجه الخصوص النقش التالى :IGR.3.1257 ،"ميساماروس فارس فى فرقة قورينة بن نبيس Μεσάμαρος ἱππευς Κυρ .γένο[ς] Νάβας". –

(٥٧) كانت نقوش جيراسا معروفة منذ فترة ، وأرخها كريلنج بزيارة هادريان عام ١٣٠: (above,n.47),nos.58&143-44. ونعرف الآن من خلال أرشيف باباثا اسم حاكم العربية فى تلك السنة IEJ 12[1962],259))، ويبدو تبعًا لذلك أن اسمه هو الذى أزيل من فوق أحجار جيراسا، وكان سارتر هو أول من أبدى هذه الملاحظة .

(٥٨)PAES III.a,no.155.See n.35above.Sartre(above ,n.4) p.54،حيث قام سارتر بعقد مقارنة مع هاتيريوس نيبوس Haterius Nepos

الفصل الثامن

تأثيرعصر سبتيموس سيڤيروس

THE IMPACT OF SEPTIMIUS SEVERUS

أدرك الإمبراطور هادريان خلال جولاته فى كل من سوريا وفلسطين خلال عامى ١٢٩ و ١٣٠ أهمية ولاية العربية الجديدة . وحيث إن بُصرى Bostra كانت قد حصلت من قبل على لقب مدينة تراجان (من اسم) مؤسس الولاية، وأصبحت تسمى باسم بُصرى التراجانية الجديدة Traiana Bostra Neo لذلك اتجه هادريان إلى البتراء لمنحها اسمه، وأصبحت البتراء تتباهى باسم هادريان Hadriane(١) منذ ذلك التاريخ. ويمكن افتراض قيام هادريان بزيارة بُصرى، التى لم تتسبب فى أى نوع من المشاكل خلال جولاته (٢). ولاجدال فى أنه مرَّ على مدينة جيريسا Gerasa إحدى مدن حلف العشرة وهو فى طريقه إلى فلسطين وأورشليم . وخلدت مدينة جيراسا الزيارة ببناء قوس نصر ضخم ، تماماً كما فعلت الشيء نفسه مدن أخرى على طول طريق هادريان فى الشرق (٣). وقامت مدينة الكرك ، وهى مدينة متواضعة الأهمية وتقع بالقرب من البحر الميت بتخليد زيارة هادريان بإصدار أختام خاصة تحتفى بالعربية ، وربما قامت أيضاً بصك عملة تتواءم مع الأختام (٤).

وهناك عمل شرفى آخر لم يقم الإمبراطور هادريان به خلال زياراته ويتمثل فى عدم منحه البتراء لقب المدينة الأم metropolis، وأصبح من المؤكد الآن من خلال نقش مدون على قوس نصر تراجان قيام سلف هادريان بمنح هذا اللقب من قبل إلى العاصمة القديمة لملكة الأنباط (٥). وإذا نظرنا إلى المشاعر التى كانت تحرك هادريان فهو لم يكن مضطراً إلى منح لقب المدينة الأم لأكثر من مدينة فى الولاية الواحدة ، ويبدو أنه اتخذ

قراراً واعيًا بعدم تكريم بُصرى فى طريقه (٦). كان من الواضح أن بُصرى تُعد مدينة تراجان إضافة إلى ذلك فقد كان هادريان شخصًا تقليديًا يميل بعض الشيء إلى الرومانسية ، وعلى الرغم من إعلان تأسيس عاصمة الولاية فى بُصرى ، فيبدو أنه رأى فى البتراء قدراً من العزّة والأصالة .

وبطبيعة الحال سرعان ما طُمست الرحلة الإمبراطورية الفخمة نتيجة للحرب المدمرة التى نشبت فى يهوذا (فلسطين) عام ١٣٢ ، والتى استمرت حتى عام ١٣٤ . أما مدينة أورشليم التى كانت تتفاخر بحصولها على لقب أيليا كابتولينا Aelia Capitolina الذى كان يمجد كلا من أسرة الإمبراطور والكابيتول(*) فى روما ، فقد وجدت فى هذا الاسم الجديد إهانة كبرى لها(٧)، وظلت كل من بُصرى التراجانية Traiana Bostra والبتراء الهادريانية Hadriana Petra راضيتين خلال العقود التالية باستعادة مظاهر الشرف التى أصبغها عليها الأباطرة الأوائل ، واستمرت كل منهما تستخدام الألقاب التى مُنحت لها (٨).

وأكدت منشآت هادريان فى كل من جيريسا وبُصرى حالة الازدهار والهدوء الذى ساد العربية خلال القرن الثانى ، وقام المهندسون المعماريون فى جيراسا فى منتصف القرن بجهد ضخم لإعادة تنظيم تخطيط المدينة ببناء معبد ضخم جديد للربة أرتيميس Artemis ، وكان له دور فعال فى تحريك مركز المدينة فى اتجاه الشمال من الميدان القديم forum (٩) ، وقام المهندسون فى جيراسا بعد فترة قصيرة من انتهاء العمل فى معبد أرتيميس ببناء معبد جديد للإله زيوس Zeus ، إضافة إلى مسرح فى الجزء الشمالى من المدينة (١٠)، ووثقت النقوش جميع هذه الأعمال التى تدل بجلاء على نشاط المدينة خلال تلك المرحلة وثرائها فى الوقت نفسه ، وكان نمو بُصرى على العكس من ذلك أقل وضوحا مثله فى ذلك مثل الوضع فى المدينة نفسها التى أصبحت أقل تميزاً ، فهى لم تكن قط عضواً فى اتحاد المدن العشر، وأصبحت أهميتها الرئيسية الآن تتمثل

(*) أكبر تلال روما السبعة ، والذى أقيم عليه المعبد الرئيسى للإله زيوس كبير آلهة الرومان . (المترجمة)

فى كونها تعد المراكز الرئيسية لقيادة الفرقة . وعلى الرغم من ذلك ، فإن أقواسها العظيمة ومسرحها الرائع كانا على رأس المنشآت التى تقع فى تلك المدينة الشمالية من الولاية . ويبدو أن بعض أصول هذه المنشآت يرجع إلى أصل نبطى ، ولكن لاشك فى اهتمام الرومان بها خلال القرن الثانى ، على الرغم من أنهم لم يكونوا مسئولين فى المقام الأول من الناحية العملية عن بنائها (١١)، إضافة إلى ما تقدم فقد قام الرومان بتوسيع المدينة فى الجانب الغربى من حى ماكسيموس cardo maximus (١٢) .

يبدو أن الأحداث التى أقلقت مضجع السلام فى سوريا فى عهد ماركوس أوريليوس لم يكن لها سوى أثر طفيف على الولاية الجنوبية ، أما الحرب ضد فارس التى قام بها لوكيوس ڤيروس Lucius Verus فلم يكن لها أثر سوى أنها أصبح يتم الاحتفال بها فى العربية (١٣)، كما أننا لا نعرف عن تحرك أى قوات من فرقة قورينة الثالثة للاشتراك فى هذه الحرب . أما ثورة أڤيديوس كاسيوس فى سوريا ضد ماركوس أوريليوس فيبدو أنها لم تُعرض ولاية العربية للخطر ، ربما بسبب وعورة إقليم الليجا وجبل الدروز اللذين يهيئان حاجزاً كافياً لمنع أڤيديوس من الحصول على مساعدة شرق الأردن وسكان سوريا ذوى الطموح . إن هذا النوع من الشك فى النوايا بين الإقليمين لا تزال أسبابه غير معروفة حتى يومنا هذا .

مع قيام الحرب الأهلية التى أزاحت سبتيموس سيڤيروس من على العرش، دخل تاريخ الولاية العربية مرحلة جديدة؛ إذ قام حاكم آخر لسوريا بإعلان نفسه إمبراطوراً، وهو بسكينيوس نيجر Pescennius Niger فى أنطيوخ Antioch السورية عام ١٩٣ وقامت هذه العاصمة الكبيرة بتأييده (١٤)، وفعلت ولاية العربية مرة أخرى الشىء نفسه الذى فعلته من قبل فى أثناء الثورة التى أشعلها أڤيديوس كاسيوس ، ورفضت أن تتّبع قيادة سوريا. إن إخلاص الولاية وفرقتها تجاه سبتيموس سيڤيروس يمكن ملاحظته من خلال دليلين حيويين : إن حاكم الولاية عام ١٩٣ فى أثناء فترة حكم برتيناكس Pertinax القصيرة وهو إيليوس سيڤيريانوس ماكسيموس Aelius Severianus Maximus استمر فى منصبه فى عهد سيڤيروس (١٥). ويمكن أن يكون هناك سبب واحد لتجديد حكمه ،

ويتمثل فى عدم وجود أى شك حول إخلاصه فى أثناء تمرد نيجر. وبالإضافة إلى ذلك فإن حصول فرقة قورينة الثالثة على اللقب الشرفى سيڤيريانا Severiana يعد دليلاً واضحاً على ولاء الفرقة وعلى تقدير الإمبراطور لذلك[16] .

بعد هزيمة نيجر عانت المدن الرئيسية التى قدمت له المساعدة من الإذلال والعقاب، وكانت أنطيوخ نفسها على رأس هذه المدن ، مثلها فى ذلك مثل نيكايا Nicaea فى آسيا الصغرى [17] أما هؤلاء الذين خا[illegible] انهم لنيجر فقد حصلوا الآن على جائزتهم، فحصلت لاوديكيا Laodicea منافسة انطيوخ الكبرى على لقب "المدينة الأم metropolis" الذى تم انتزاعه من أنطيوخ ؛ ولكى يتفادى سبتيموس سڤيروس تكرار جريمة أڤيديوس كاسيوس اختار ضرورة القيام فى الحال بتقسيم ولاية سوريا إلى قسمين وهما جوف سوريا Syria Coele وفينيقيا السورية Syria Phoenice [18] . ولكى يقوم بتقرير فينيقيا السورية التى هى الجارة المباشرة لولاية العربية من الشمال، يبدو أن سيڤيروس قرر إتمام إزالة خطر منطقة الليجا وشمال جبل الدروز من قبضة حاكم سوريا . وعلى أى حال فقد كان عليه أن يدرك أولا الحاجة إلى تأمين وسائل الاتصال بين حوران وشمال الليجا ، وهى المنطقة التى كانت العصابات تجد فيها ملاذاً آمناً [19].

من المؤكد قيام الإمبراطورمنذ أوائل القرن الثالث بتوسيع ولاية العربية من الشمال ، وأصبح فى الإمكان رؤية المدن والبلدان التى كانت فى القرن الثانى تابعة لسوريا دون منازع ، وقد أصبحت قسماً من الأجزاء الداخلية فى العربية فى عصر كاراكالا Caracalla ، وعلى سبيل المثال تم العثور على نقش فى قنوات Qanawat أقامه ضابط مائة من فرقة قورينة الثالثة لتكريم جوليا دومنا Julia Domna ، كما أقيم فى عتيل Atil' نصب تكريمى قدمه ضابط مائة آخر من الفرقة نفسها فى نحو التاريخ نفسه[20]. إن نشاط ضباط المائة المنتمين إلى الفرقة العربية لا يجب أن يكون بحد ذاته دليلاً قاطعاً ، إذا لم يكن لدينا إشارات واضحة عن تأريخ بمرحلة تواجد بُصرى فى حابران Habran ، فى إقليم كان يكُوِّن فى السابق جزءاً من سوريا [21]. لدينا كذلك إلى جانب هذه الوثائق نقش مثير آخر من عَهير Ahire' فى وسط الليجا يوضح

تأريخًا طبقًا لحقبة بصرى فى عام ٢٢٥ ميلادية (٢٢)، ومنذ تم نشر هذا النقش لأول مرة أصبح دليلاً قاطعاً على توسع ولاية العربية فى منطقة الليجا .

وبعد ، فإذا كان سيڤيروس قد خطط لتنظيم الحدود الشمالية (لولاية العربية) فى الوقت الذى قام فيه بتقسيم ولاية سوريا إلى قسمين : جوف سوريا وفينيقيا ، فمن الواضح أنه لم يقم بتنفيذ توسيع (الولاية العربية) فى اللحظة نفسها ؛ وذلك لأن حاكم سوريا الفينيقية مانيليوس فوسكوس Manilius Fuscus كُرم عام ١٩٤-١٩٥ على أحجار علامات الطريق الواقع جنوب ميسِميى Mismîye (٢٣) ، ويبدو أنه كان نشيطاً فى إصلاح الطريق الرومانى الذى يَعْبر هضبة الليجا . وعلى الرغم أن هناك من اعتمد على هذا الدليل فى القول بأن سيڤيروس قام بضم جنوب الليجا مع الجزء الشمالى الواقع على طول جبل الدروز (الذى يضم قنوات والسويداء) بينما ترك الجزء الشمالى من الليجا فى سوريا، فإنه يبدو معقولاً إلى حد ما اعتماد تقسيم هضبة الليجا . وببساطة لا يوجد ما يوضح وجود مانيليوس فوسكوس جنوب عهير وتلك المدن إلى حدود السويداء، ومع ذلك لا يمكن القول بتأكيد إنه يوجد دليل على قيام سيڤيروس بضم الإقليم الذى يقع بين العهير وتلك المدن ليصبح تابعاً لأى من سوريا أو العربية .

ونظراً لأن أقدم دليل على توسيع العربية يرجع إلى أوائل القرن الثالث ، فيبدو أنه من الممكن القول إن سيڤيروس قام بإعداد الترتيبات لتغيير الحدود بالعمل الذى تم إنجازه فى الليجا تحت إشراف مانيليوس فوسكوس ، وبعد أن تم إنجاز العمل ، وربما قرب نهاية القرن الثانى ، كان فى استطاعة سيڤيروس القيام بعد ذلك بضم كل الإقليم الشمالى من جبل الدروز والليجا مرة واحدة (٢٤). وربما من المناسب تأريخ فترة إعادة رسم الحدود لصالح العربية فى عهد سيڤيروس بحرب ما بين النهرين الثانية ، التى أدت إلى ضم المنطقة التى تقع بين نهرى دجلة والفرات ، وهى الحرب التى تعرف فى المصادر الأدبية باسم الحرب العربية (٢٥). إن النتائج الناجحة لهذه المعركة ربما هيأت اللحظة المناسبة لإعادة تخطيط حدود الولايات الواقعة غرب ولاية ما بين النهرين Mesopotamia المستحدثة .

انعكس الدور الذى قام به سيفيروس فى التغييرات التى أجريت على حدود سوريا والعربية فى الصفة أو اللقب التى حصلت عليه مدينة القنوات (كَناثا القديمة) فى تلك الفترة الزمنية نفسها؛ فقد غدت المدينة تسمى مدينة كَناثا سبتيموس Septimia Canatha ، ويمكن رؤية هذه الصفة على نقش جنائزى لعربى دفن فى ثاسوس Thasos (جزيرة فى البحر الإيجى) ومثله فى ذلك مثل النقش الذى دون بلغتين فى ليون Lyon لإحياء ذكرى شخص معين يدعى "ثايم Thaim " بن سعد Sa'ad ، من كَناثا مدينة سبتيموس Septimia Canatha (٢٦) . لقد رأى البعض صعوبة فى قبول ضم كَناثا داخل إطار الولاية العربية على يد سيفروس اعتماداً على هذا النقش الذى وصفت فيه المدينة بأنها مدينة سورية επι Συριας ، ولكن اصطلاح سوريا الذى يستخدم بهذه الطريقة العامة من الصعوبة أن يشير إلى وحدة محلية جغرافية (٢٧) ، مثل تلك التى يجدها المرء فى جغرافية بطلميوس ، وتحديداً فى قُصاصة البهنسا (البردية) التى وصفت فيها مدينة بُصرى بأنها مدينة سورية (٢٨). إن استخدام كنية سيفروس gentilicium فى تسمية كناثا يعد شهادة واضحة ليس فقط بالنسبة لتاريخ سيفروس المدون على لوحة قبر ثايم Thaim ، بل أيضًا بالنسبة لما قدمته المدينة للرجل الذى قام بإعادتها إلى حوزة المدن الشمالية ذات الثقافة النبطية ، وسوف نتذكر أنه منذ عصر المملكة النبطية كانت المدن الشمالية لجبل الدروز ذات ثقافة نبطية قوية (مثل السويداء وسيع والقنوات) – ضُمّت فى إطار ولاية سوريا ، على الرغم من صلتها الطبيعية مع بصرى ومدن سهل الحوران.

من بين الأدلة التى يمكن تجميعها عن تنظيم سيفيروس لسوريا والعربية هناك عبارة واحدة وردت فى كتاب تاريخ الأباطرة Historia Augusta بخصوص فرقة قورينة الثالثة (٢٩)، حيث أخبرنا المؤلف أنه فى أثناء حرب سيفيروس ضد منافسه كلوديوس ألبينوس ClaudiusAlbinus وصله تقرير عن انحياز الفرقة العربية إلى جانب ألبينوس ، ومن الصعوبة بمكان الأخذ بهذا القول نظراً لإخلاص هذه الفرقة لسيفيروس خلال التهديد الخطير والمباشر الذى تعرض له فى أثناء ثورة بيسكينيوس نيجر ، وأيضًا بالنسبة

للتكريم الذى قُدم إلى سيڤيروس على شاهد القبر الذى سبق ذكره ، وربما يكون من السهل والبساطة القيام بإسقاط هذا التقرير الخاص بالانحياز إلى ألبينوس على أنه تقرير مُصطنع آخر قام به مؤلف "التاريخ الأوغسطى" ، ولكن ربما يكون هناك بعض التفسير لهذه الرواية الشاذة .

هَزم سيڤيروس ألبينوس فى معركة ليون جنوب بلاد الغال ، ومن الطبيعى أن تكون تلك المدينة قد أيدت موقف منافسه ، لذلك يجوز لنا أن نفترض أنها قامت بتقديم كل ما تستطيع حتى يتحقق له النصر . كانت ليون مركزاً للتجارة العالمية بفضل موقعها على نهر الرون Rhône ومنفذها المائى إلى المتوسط . وكان يمكن ملاحظة التجار السوريين من أمثال ثايم فى المدينة ، والذين يبدو أنهم كانوا جزءاً من جماعة تمثل الشرق الأدنى القديم الذين كانوا يترددون غالباً على الأسواق الدورية (٣٠). وهناك قدر كبير من الاحتمال أنه خلال الأيام الأخيرة من الصراع ضد ألبينوس قام السوريون المؤيدون لأعداء سيڤيروس نتيجة لفقدهم الأمل فى النصر فى إشاعة أنباء عن انحياز أكثر جيوش سيڤيروس إخلاصاً له فى الشرق إلى جانب بسكينيوس نيجر . إن مثل تلك الشائعات كانت بالتأكيد تثبط الهمم على الرغم من عدم احتمال صدقها ؛ ومن المؤكد أنها كانت زائفة ؛ بمعنى أن هذه الأخبار المزيفة التى انتشرت وصل تأثيرها إلى حد كتابتها فى التقرير ، لذلك سوف يلاحظ المرء أن كاتب تاريخ الأباطرة لم يتوخَّ الدقة عندما كتب عن انحياز الفرقة العربية إلى جانب ألبينوس legio Arabica defecisse ad Albinum nuntiate est .

إن الخاتمة المظفرة التى اختتمت بها حروب سبتيموس سڤيروس ضد منافسه، مع ضم ولاية مابين النهرين وإعادة تنظيم ولايتى سوريا والعربية ، فتحت الباب لعهد جديد مزدهر للشرق الأدنى مع باقى أنحاء الإمبراطورية . لم يُحرز سيڤيروس فقط نتائج باهرة فى ذلك الإقليم ؛ بل يوجد هناك حقيقة هامة أخرى تتمثل فى زواجه من سيدة أرستقراطية من (مدينة) إيميسا Emesa السورية (حمص المعاصرة)، وهى جوليا دومنا Julia Domna التى تميزت بالتعليم الراقى والطموح ، ومن المثير للدهشة أنه ظهر

خلال جيل واحد عدد من العائلات السورية على لائحة رجال مجلس السناتو الرومانى ، بينما أصبح حفيد شقيقتها جوليا مايسة Julia Maesa إمبراطوراً لروما . كان كاسيوس يوليوس أفيتيوس ألكسيانوس زوج مايسة قد تم رفعه على يد سبتيموس سيفيروس من طبقة الفرسان equestrian ordo إلى طبقة السناتو ، ثم تقدم وشغل منصب القنصلية (٣١). كما تم رفع زوجى ابنتى مايسة من درجة الفرسان equestrian status إلى درجة السناتو ، وعلى النسق نفسه تم إضافة الرونق والبهاء على مدن موطنها ، أباميا السورية Apamea وأركا – قيصرية Arca- Caesarea ، وكان أحدهما والد الإمبراطور إلاجابالوس Elagabalus والآخر والد الإمبراطور سيفيروس الإسكندر Severus Alexander . وهكذا تمكن العرب خلال مدة قصيرة تثير الدهشة من الوصول إلى قمة الحكومة الرومانية من خلال نفوذ بيت سيبتيموس سيفيروس .

كانت العائلات السورية أكثر المستفيدين من النفوذ العربى فى البلاط الإمبراطورى ، وكان أكثرهم من المدن الكبيرة مثل أنطيوخ Antioch ، وإيميسا ، وبيريتوس Berytus ، وهيليوبوليسHeliopolis (٣٣) . ولم يُهمل سيفيروس عرب الصحراء، وانعكس تشجيعه لتدمر Palmyra مدينة قوافل الصحراء فى انتشار اسم أسرته بين نبلاء تلك المدينة ، وكان المدعو سبتيموس أذينة Setimus Odenathus سيناتوراً من قبل فى السنوات المبكرة من القرن الثالث ، وألّف خلفاؤه عائلة زوج الملكة التدمرية زنوبيا Zenobia (٣٤) ، وبَرز عدد قليل من العرب فى مجلس السناتو خلال القرن الثالث من أقاليم غير محددة ، ولعلهم قد جاءوا من أجزاء بعيدة من المناطق السورية والعربية. وهناك شاب من أسرة سيناتورية ، كان يحمل اسمًا رومانيًا لاتخطئه العين وهو كاسيوس أنيوس فوندانوس C. Annius Fundanus كان له أخت تدعى أنيا مليكة أفيتا Annia Maleca Avita (٣٥) ، ومما لاشك فيه أن اسم مليكة اسم عربى كان منتشراً فى مملكة الأنباط . وبناءً على ذلك فمن المحتمل أن ذلك يدل على وجود عائلة أخرى فى ولاية العربية ، ومن المحتمل مرة أخرى وليس بالضرورة أن عضو السناتو

الذى كـان يحـمل الاسم الفـخم ليكينيـوس يوليـوس إيرونيـوس مـاينوس بيـوس سـلامـاليـانوس L.Julius Apronius Maenius Pius Salamallianus (*) الذى عُـرف كقنصل مـعـين Consul designatus فى أوائل القرن الثالث من المرجح أنه يرجع إلى أسرة عربية من الولاية (٣٦).

عندما أحيط سيڤيروس علماً بتجار تدمر أظهر اهتمامه بنقاط حراسة الصحراء وطرق التجارة الداخلية ، ولا يمكن أن يكون قد غاب عن ذهنه مدى زيادة أهمية وادى سرحان فى العربية بعد انتقال مركز الولاية من البتراء إلى بُصرى ، والذى كان يتفق تماماً مع سياسته التى كانت تهدف إلى حماية الممر الداخلى عبر الصحراء من شبه الجزيرة العربية ، وأثبتت الكشوف الحديثة فى داخل وحول واحة الأزرق Azraq المهمة، التى تقع فى نهاية الطرف الشمـالى من وادى سـرحـان ، أنهـا لفتت بوضـوح اهتـمـام سـيـڤيـروس لنمـو هذه المنطقـة من الولاية ، فـقد عُـثـر على نقش من قـصـر العـوينيد Qasr'Uweinid الواقع إلى جنوب غـرب واحـة الأزرق – كـان قـد أمكن قـراءة جـزء منه فـقط ، أمـا الآن فـقـد تمت قراءة النص كامـلاً (٣٧)، وهو يُوثِّق إنشـاء وحدة الحراسـة السيڤيرية praesidium Severianum مع وحدة الحراب vexillation لفرقة قورينة الثالثة وتم تأريخ النقش بالتاريخ القنصلى عام ٢٠١ ، ولحق بهذا النقش نقش آخر من العوينيد يشـيـر بوضـوح إلى برج سـيـڤيـروس الجـديد castellum novum Severianum (٣٨) . وهو منشأة كُرس النقش المدون عليها لتكريم الإمبراطور سبتيموس سيڤيروس وابنيه كاراكالا Caracalla وجيتا Geta ، وبعد كشف غموض الإشارة إلى الحاكم المذكور فى النص وهو لوكـيـوس مـاريوس بيـربيـتـوس L. Marius Perpetuus ، اتضح أن نقش العوينيد الثـانى يرجع للفـتـرة من ٢٠٠-٢٠٢ (٣٩). كذلك يبدو أن القلعة التى تقع فى شمـال غرب الأزرق عند قـصـر ألسكَين Qaṣr Asaikhin ترجع لعصر سيڤيروس (٤٠). وعلى ذلك يكون لدينا دليل جيـد عن وجـود منشـآت عـسكرية على جـانبى الأزرق منذ أوائل القرن الثالث .

(*) يعنى الاسم بالعربية حليف السلام . (المترجمة)

ومن الطبيعى أن يتوقع المرء أن الموقع الرئيسى لتلك المنطقة ، وهى واحة الأزرق نفسها قد تم تحصينه بمقتضى التقسيم الجديد الذى قام به سيڤيروس . وحتى الآن كان أقدم نقش يقف شاهداً على ذلك هو البرج castellum القائم الآن فى الأزرق وهو يرجع لعصر الحكم الرباعى Tetrarchy (٤١) ، ولكن صورة فوتوجرافية جوية منذ نصف قرن مضى أضافت إضافة مثيرة ومهمة إلى معلوماتنا . إن اقتفاء الدلائل التى لاتخطئ لمنشأة أكبر من البرج castellum الحالى يمكن رؤيتها على الأرض بشكل يتناسب تماماً مع قلعة castrum ترجع لعصر سيڤيروس (٤٢)، ولم يعد فى الإمكان الآن رؤية هذه الآثار على الأرض أو الجو بسبب النمو السكانى فى المنطقة بجوار البرج ، ولهذا فإن الصور الفوتوجرافية الجوية تُعد شيئًا ثمينًا ودليلاً مقنعًا يثبت أن تنظيمات سيڤيروس على رأس وادى سرحان كانت فى الحقيقة تشمل من بينها معسكراً كبيراً فى واحة الأزرق .

يبدو أن اهتمام سيڤيروس بالجيش العربى يوضحه ظهور أول فرقة من القوط فى عهده على الحدود الشرقية . ويظهر نقش من عنات I'nat فى جنوب الحوران نُصب لشخص يدعى جوثاثا بن إرميناريوس Guthatha son of Erminarius ، وصف على أنه قائد لقوات قبيلة gentiles تتمركز بين الموثانى Mothani (٤٣) ، والموثانى هم أهل قرية موثا Motha ، (إمتان Imtan الحديثة) ، ويشير اسم كل من جوثاثا Guthatha وإرميناريوس Erminarius على أنهما ألمانيان بكل تأكيد، وترتيباً على ذلك فيمكننا أن نرى هنا قائداً لقبيلة قوطية Gothi gentiles (٤٤) . وتاريخ النقش طبقًا لحقبة الولاية هو عام ٢٠٨ ميلادية . ويبدو أن سيڤيروس قد أحضر معه قوات قوطية فى معركة ما بين النهرين Mesopotamia الثانية ضد الفرس، واختار، بعد النهاية الناجحة لتلك المعركة ، أن يترك هؤلاء الجنود كجزء من حامية الحدود العربية ، وقد سبق واقترح رأى وكان صحيحًا عن أهمية القوط فى القوات الرومانية خلال النصف الأول من القرن الثالث والتى كان قد تم التقليل من شأنها فى الماضى ، ونرى ذلك فى التقرير الذى كُتب فيما بعد عن معركة شابورShapur الأول ضد قوات جيش جورديان Gordian الثالث فى

نهاية القرن الثالث (٤٥). كان قرار سيڤيروس بترك القوط على الحدود العربية يتلاءم بشدة مع سياسة الرومان فى الاحتفاظ بقوات عسكرية تم الحصول عليها بواسطة انتصار عسكرى فى أماكن بعيدة عن مواطنها الأصلية . إن اهتمام سيڤيروس بالشرق الأدنى وتفهمه للعمل فى حدود مفتوحة فى حزام الصحراء ، ربما يكون فى جزء منه انعكاساً لأصوله التى ترجع إلى شمال أفريقيا؛ فهو ينتمى إلى مدينة طرابلس Tripolis (الغرب) التى تقع ضمن (ولاية) ليبتيس الكبرى (لِبْدَة) Magna Leptis (*) ، ويمكن أن تقف العناية التى أولاها للتحصينات فى الشرق الأدنى على قدم المساواة مع عملياته العسكرية فى صحراء ليبيا والجزائر ، فقد وضح أنه أبدى اهتماماً خاصاً بمد مراكز الحدود بعيداً فى الصحراء ، وحتى يمكنه تحقيق هذا الهدف استورد فرقة من سوريا . إن مراكز حراسة سيڤيروس فى بونجم Bu Njem ، وغِريان الغربية Gheria el Gharbia (غريان) وغداميس Gadames وفى برج ديميدى castulium Dimmidi فى ليبيا يماثل تماماً تحصينات الدفاعات عند رأس وادى سرحان (٤٦). إن الحاكم أنيكوس فاوستوس Anicus Faustus الذى كان مسئولاً عن العمليات فى نوميديا Numidia خلال فترة الخمس سنوات التى تم فيها بناء قلاع كان هو نفسه على دراية بمشاكل الصحراء , حيث عرف عنه أنه كان من أهل يوذابا Uzappa الواقعة بجوار مكتار Mactar (فى تونس الحالية)(٤٧).

إن سياسة سبتيموس سيڤيروس فى العربية وإدخاله العرب فى البلاط فى روما كان تمهيداً مبكراً وطبيعياً للاعتراف فى المستقبل بالإقليم فى القرن الثالث . أبدت كل من حفيدة أخت جوليا دومينا Jolia Domna ، وجوليا مايسه Julia Maesa اهتماماً بالولاية ، ومَنح إلاجابالوس Elagabalus البتراء لقب مستعمرة الشرقى colonia ، ومَنح سيڤيروس الإسكندر اللقب نفسه إلى المدينة الجديدة بُصرى(٤٨)، وعلى أى حال استمرت البتراء محافظة على تميزها فى كونها المدينة الوحيدة فى العربية الحاصلة

(*) ميناء فى طرابلس الغرب (ليبيا) ، وهى مدينة لبدة الحالية وتضم كثيراً من الآثار الرومانية الهامة. (المراجع)

على لقب المدينة الأم metropolis ، وظل الأمر على هذا المنوال حتى عصر فيليب في منتصف القرن الثالث عندما تمكنت بُصرى من الحصول على لقب شرفي مشابه [٤٩]، وانخرطت بُصرى في عهد الإمبراطور نفسه في جمعية دوساريا Actia Dosaria التي تحتفل بالمسابقات ذات الطابع الإغريقي الخاصة بأبطال الرياضة وممثلي المسرح [٥٠] (*) . أظهر اسم هذه المسابقات الاتحاد بين روما والعربية باستحضار انتصار أغسطس في أكتيوم وإله الأنباط الرئيسي دو شارة Dushara (أو دوساريس Dousares في اليونانية).

كان فيليب عربياً من مدينة الشهباء Shahbā ، التي تقع على حافة الليجا بالقرب من المنحدرات الغربية لجبل الدروز [٥١]، وكان وصوله إلى عرش القياصرة لحظة تاريخية في تاريخ العرب قبل الإسلام ، وقام بتكريم مدينته بإعادة تسميتها باسم مدينة فيليب Philippopolis والاعتراف بعاصمة الولاية لتصبح مدينة أم metropolis . هكذا يتضح أنه بعد ضم الليجا خلال عهد سبتيموس سيفيروس ، تم سحب هذا الإقليم الموحش تدريجياً ليصبح وثيق الصلة بأكثر الأقاليم تطوراً في الحوران، ويرجع الفضل الأكبر إلى سيفيروس في إعطاء الفرصة لبروز شخصية مثل فيليب ، فلم يصف أوريليوس فيكتور Aurelius Victor الوضع في الشهباء في أيامه فحسب عندما كان يروى عن أصل فيليب العربي ، بل إنه كما حدث كثيراً كان مُحقاً في أن يقرر أن ماركوس چوليوس فيليبوس الطرخون العربي Arab Trachonites M. Julius Philippus جاء إلى روما بعد أن قام بتأسيس مدينة فيليب Philippolis بعيداً في العربية apud Arabiam .

(*) عن الجمعيات الدولية للرياضيين في الإمبراطورية الرومانية راجع : الروبي (آمال)، مصر في عصر الرومان ، ص٢٧٨ ؛ وعن الوثائق البردية الخاصة بالموضوع راجع : المترجمة "هرموبوليس ماجنا - الأشمونين - في العصر الروماني ، دراسة اجتماعية اقتصادية في العصر الروماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٧١ ، ص. ١٣٤-١٣٧ .

مصادر الفصل الثامن

(١) تقدم العُملة أدلة وفيرة عن الصفات(الكُنيات) التى حملتها بُصرى والبتراء، راجع: A. Spijkerman ,The Coins of the Decapolis and Provincia Arabia (1978), pp. 68-77 (Bostra), pp.220-35 (Petra);&SNG, Amer. Numis. Soc.,part 6(1981),nos 1178-91,1193-96,1202-5 (Bostra), nos. 1360 =67, 1369-61 (Petra).

(٢) W.Weber,Untersuchungen zur Geschichte des Kaisers Hadrianus (1907), p.239، والذى افترض أن هادريان توقف في بُصرى.

(٣) C.H.Kraeling,Gerasa(1938),pp.73-83(by A.h. Detweiler-)؛وعن النقش الذى يوجد على القوس راجع رقم ٥٨ فى : Welles's corpus in Kraeling volume, pp.401-2؛وعن الأقواس في المدن الأخرى راجع مناقشتها فى : G.W.Bowersock,"Hadrian and Metropolis,"Bonner Historia-Augusta Colloquium 1982.

(٤) A.G.Negev,"Seal Impressions from Tomb 107 at Kurnub(Mampsis),"IEJ 19 (1969),89-106 .

(٥) انظر النص المذكور ص ١٤٣ أعلاه الحاشية رقم (٢٨) .

(٦) عن سياسة هادريان فى منح لقب عاصمة الإقليم : Bowersock, "Metropolis"،والحاشية رقم (٣) أعلاه.

(٧) عن تأسيس إيليا كابوتيلينا Aelia Capitolina كمظهر للابتهاج خلال رحلة هادريان للشرق الأدنى ، راجع: G.W.Bowersock ,"A. Roman Prespective on the Bar Kokhba War,"in Approaches to Ancient Judaism II.ed.W.S.Green (Brown Judiac Studies no.9,(1980),pp131-41,esp.,on Aelia Capitolina, pp.135-36.

(٨) ظهرت الألقاب((الكُنيات) على عملات المدينتين حتى عصر إلاجابالوسElagabalus،وليس فى أثنائه ، راجع: A.Spijkerman & SNG(both above,n.1).

(٩) Kraeling(above,n.3),pp52-53(Cf.pp.125-38,C.S.Fisher عن بناء المعبد . وعن تخطيط جيراسا راجع ص١٨٨ أدناه .

(١٠) Kraeling(above,n.3),p.54.

(١١) S.A. Mougdad, trans.by H.I. MacAdam, Bostra: Historical and Archaeological Guide(1978). انظر ص١٨٩ أدناه عن تخطيط بُصرى . وفوق كل ذلك ينبغى للمرء أن يستشير سارتر فى بحثه القادم عن Sartre,Bostra,des origins à l' Islām. وراجع عن المسرح فى بُصرى: H.Finsen,Le levé du théâtre romain à Bostra,Syria (1972).

(١٢) Mougdad(above,n.11). وعن معالجة جيدة لتخطيط مدينة بُصرى راجع البحث التالى: F.E.Peters,"City Planning in Graeco –Roman Syria : Some New Considerations,".

(١٣) عن نقش الروافة راجع على سبيل المثال : Le monde grec:Hommages à Claire Préaux(1975),514-15،وعن النقش التدمرى فى قصر الحير Qasr al Ḥair الذى نشرته فى :Chiron 6(1976),349-55. أما عن فكرة ريترلنج Ritterling عن اشتراك فرقة قورينة الثالثة فى حرب ڤيروس Verus ثم بعد ذلك فى ثورة أفيديوس كاسيوس Avidius Cassius فهى لا تقوم على أساس .

(١٤) Herodian 2.8.6;cf.HA,Pesc. Niger 2.1.See also G. Downey,A Histroy of Antioch in Syria (1961),p.286.

(١٥) ثبت وجود اسم سيريانوس Severianus كحاكم على أحجار الطريق في العربية أثناء حكم برتيناكس Pertinax(e.g.ZDPV 80[1964],126) ؛ وسبتيموس سيروس Septemus Severus(eg.CI- L3.13612; Kraeling[above,n.3],p.464,nos.261-63).Cf.P-IGLS A 260 لاحظ أنه سُجل قنصلاً معينًا cos.desig على الحجر فى بُصرى: IGLS 13.9069.Halfmann,Die Senatoren aus dem östlichen Teil des Imperium Romanum bis zum End des 2.Jh.n.Chr.(1979),pp.205-6.no.149، وقدم توثيقا كاملاً عن سيريانوس ، وناقش برينثوس Perinthus على أنها المدينة التى يرجع أصله إليها .ولما كانت هذه المدينة هى القاعدة الأساسية لتموين سيبروس Severus فى حربه ضد قوات نيجر فى مدينة بيزنطة Byzantium (Cassius Dio 75.6.3&14.3) لذلك يبدو أن ولاء سوريا لسيفيريانوس كان له صلة بجذوره فى بيرينثوس .

(١٦) CIL 3.94&p.969.

(١٧) عن نيكايا Nicaea راجع : L.Robert,"La titulature de Nicée et de Nicomédie : La gloire et la haine ,"HSCP 81(1977),1-39.: وعن أنطيوخ راجع : Downey (above,n.14),pp. 239-43,&Bowersock ,"Metropolis "(above,n.3).

(١٨) كان قد تم التقسيم بالفعل في أواخر عام ١٩٤ أو أوائل عام ١٩٥ راجع : H.Ingholt,Syria 13(1932),278-8 وعن حكام منطقة جوف سوريا، راجع : J.F.Gilliam,AJP 79 (1958), 225-42. وعن تصور لجغرافية منطقة جوف سوريا راجع: E.Bikermann,"La Coelé-Syria:Notes de géographie historique,"RB 54 (1947),265-68.

(١٩) راجع البحث التالى: B.Isaac,"Bandits in Judaea and Arabia , HSCP. عن الطريق الرومانى الذى أقيم عبر الليجا راجع: M. Dunand,"La voie romaine du Ledja,"Mém.Ac- ad.Inscr. et Belles-Lettres 13.2(1930),521-57.

(٢٠) القنوات: Waddington,IGLS no.2331b(CIL 3.121&p.970. كانت الفرقة تسمى أنطونينيانا Antoniniana بعد موت جيتا .عن عطيل Atīl' التى كانت فرقتها تسمى أيضًا أنطونينيانا،راجع: Waddington ,IGLS 2374b(IGR 3.1239).

(٢١) Waddington,IGLS no.2287(PAES III.A,no.664;IG L 3. 1298).

(٢٢) R.Mouterde,Mél.Univ.St. Joseph de Beyrouth 16(1932),79-82(SEG 7.980).

(٢٣) Dunand(above,n.19),543.Cf.Ingholt(above,n.18),28 3-84.

(٢٤) مثل ذلك الافتراض المُغرى الذى قدمه سارترفى : M. Sartre,Trois étides sur l'Arabie romaine et Byzantine(1982),p.59-61. وهويقف ضد فكرة التوسع الجزئى لحدود الولاية العربية الشمالية، ليشمل جبل الدروز وجنوب الليجا (وليس الجزء الشمالى منها)،لاحظ تعليق سارتر الذكى بخصوص مانيليوس فُسكوس Manilius Fuscus عندما ذكر"أن عدم الوجود الفعلى لأى رجل عسكرى يمثله في جنوب منطقة العيرلا يُعد دليلاً على أن حكم الولاية لم يمتد حتى السويداء ، كما لم يُوثق وجود لأى قوات عسكرية أخرى على ذلك الجزء من الطريق - : Le fait qu'aucun milliaire à son nom n'ait été retrouvé au Sud d''Ahiré ne prouve en rien que sa province ne s'étendait pas jusqu'à Suwaydā:aucun autre milliaire n'a été décovert sur cette portion de la route".

(٢٥) Cf.Aur.Victor 20.15:Neque minus Arabas,simul adortus ut est, in dicionem redegit provinciae modo. وأطلق عليهم أيضًا المؤرخ هيروديان خطأ اسم

Herodian 3.9.3;HA,Sept.Sev.18.I;Eutrop.8.4;Festus 21; العربية السعيدة
Zosimus 1.8 . لاحظ أيضًا خطبة ماركوس أوريليوس التى وردت لدى كاسيوس ديون
Cassius Dio 72.25.2 عندما وصف حملة لوكيوس فيروس Lucius Verus الشرقية
على أنها "الحرب العربية ضد الفرس الذين يقيمون بجوارهم τόν Αραβικον τόν τε
Παρθικον έκεινον πόλεμον".

(٢٦) L. Robert , Hellenica 2 (1946),43(Thasos); CIL 13.2448(Lyon)with J. & L. Robert,Bull.épig.1976.800.

(٢٧) كما اقترح روجيه J.Rougé,Actes du 96e Congrès des sociétés. savantes, Tolouse (1976),p. 214,n.12. راجع تعليق سارتر Sartre(above.n.24),p.62 .

(٢٨) Pap. Oxy.42.3054 : " من بُصرى التابعة إلى سوريا – άπο βόστρας της Συρίας". ولفت ماك آدم انتباهى إلى وثيقة بردية مماثلة PSI 771(Oxy.)، "التى يذكر فيها "من بصرى السورية – άπο βόσρων Συρίας". وتأكد القيام بتصريف بُصرى فى حالة المؤنث المفرد وأخرى في حالة المحايد الجمع .

(٢٩) HA,Sept. Sev.12.6.

(٣٠) Cf.C.P.Jones,"A Syrian in Lyon",AJP 99(1978), 336-53.

(٣١) عن الأسر السورية في مجلس السناتو راجع : G.W.Bowersock,"Roman Senators from the Near East ,"Acta of the colloqium Epigrafia e ordine senatorio ,Rome (forthcoming)See also H.-G. Pflaum,"La carrière de C.Iulius Avitus Alexianus ,grand'père de deux empereurs," REL 57(1979),298-314

(٣٢) Sex.Varius Marcellus & Gessius Marcianus respectively :nos 8&9 in The Register provided by Bowersock ,"Senators "(above,n.41).

(٣٣) راجع قائمة الأفراد الذين ذكرهم بورسوك Bowersock: "(above,n.31) .

(٣٤) CIS II 4202.Cf.J.T.Milik,Dèdicaces faites par des dieux (1972),pp.316-17.

(٣٥) CIL 6.37060=11724 with p.3509.Cf.Milik(above,n. 34)p.321.

(٣٦) ILS 1196;CIL 3.14184,8.17639,19131,8782 with 18018;AE 1917-1918.51,1942-1943.93 .تم إدراجه في مجلس السناتو قبل عام ٢٢٢م.راجع : PIR I . 161

(٣٧) Kennedy ,ArchExplor (1982),p.125(no.20);Cf.id.; "The Frontier Policy of Septemus Severus,"Roman frontier Studies 1979,BAR International Series 71(1980),pp.879-88,esp.p.881.

(٣٨) Kennedy,ArchExplor (1982),p.124;id,"Frontier Policy"(above,37),p.881 نشر باركر وديرموت النقش لأول مرة S.T.Parker&P.M.McDermott, ZPE 28 (1978).61-66 .

(٣٩) عن استمرار فترة حكمه Perpetuus راجع :- D. L. Kennedy ,ZPE 49(1942),284-86. وراجع أدناه ص ١٦٠ .

(٤٠) عن قلعة السخين Asaikhin وفخارها (لم يعثر على أى نقش بعد)،راجع: Kennedy ,ArchExp;or(1982),pp.107-13,Sartre(above,n.24),p.20,n.17، ويبدو أنه يعتقد أن السخين والعوينيد Uweinid' هما نفس المكان ،ولكنه كان حريصًا عندما لاحظ أن باركر عالجهما على أنهما مختلفتان Parker(above,n.38).

(٤١) راجع المناقشة الهامة عن الأزرق وقلعتها castellum لدى كنيدى : Kennedy .,ArchExplor (1982),pp.75-96.

(٤٢) نشرت إحدى الصور الفوتوغرافية(عام ١٩٢٨)في اللوحات ٥٨,٢ لدى كيندى : Kennedy, "Frontier Policy "(above,n.37), p.882" ونشرت أدناه (اللوحة رقم ١٢).وظهرت صورة أخرى (حوالى عام ١٩٢٢) في اللوحة 17 b في : Kennedy, Arch Explor (1982), . p.72 ورسمت الخطوط الرئيسية للقلعة castrum فى ضوء بقايا الآثار كما في الشكل رقم ١٨ في ص٨٧ فى عمل كيندى (الأخير-Cf.Kennedy's comment on pp.88 .(90)

(٤٣) PAES III.A,no.223.

(٤٤) Cf. O. Fiebiger, ZDPV 66 (1943), 69-71,andJ.&L. Robert rt, Bull. épig.1943.76

(٤٥) هذه هى ترجمة سبيدل M.Speidel,ANRW II.8(1977),712-16 .عن أعمال المؤله Res Gestae شابور Shapur راجع، A. Maricq,Syria 35(1958),295-360 ويقرأ

السطر السابع فى اللغة اليونانية على النحو التالى "كان جورديان قيصر هو الوحيد بين الحكام الرومان الذين أبقوا القوات القوطية والجرمانية موجودة هناك لاستخدامها عند الحاجة

Γορδιανός Καισαρ απο Πασης της 'Ρωμαίων 'αρχης Γούθθων τε και Γερμανων 'εθνων [δύναμιν συνέλεξ]εν.

(٤٦) عن بونجم Bu Njemوتأسيسها عام ٢٠١راجع: R.Rebuffat, "l'arrivée des romains àBu Njem" , Libya Antiqua 9-10(1972-1973),121-34.وعن تأريخ سيفيران Severan لقلعة غريان الغربية Gheria el gharbia راجع: R. Goodchild in Libyan Studies ,ed. J.Reynolds(1976), p.55,together with the supplementary n.26 on p. 58. عن غدامس Ghadamés، راجع Goodchild, p.56، وعن ديميدى راجع: G.Charles Picard,(1947),p.45) Castellum Dimmidi, أسست عام ١٩٨م).وعن مهمة توطين وحدةالحراب فى الفرقة الغالية الثالثة Gallica III راجع: Picard,pp.47-48.

(٤٧) A.Birley,Septemus Severus(1971),p.337.

(٤٨) SeeSpijkermann(above, n.1),237(Petra),p.81(Bostra) ; &SNG (above,n,1), nos 1373-77(Petra),1217-28(Bostra) Cf also S.Ben-Dor,"Petra Colonia,"Berytus 9 (1948), 41-43. على الرغم من نظرية بن دور فإنه لا توجد أى قطعة عملة أصلية تشير إلى أن بصرى كانت مستعمرة colonia فى عهد الإجبالوس Elagabalus.

(٤٩) Spijkerman (above,n.1), p.83. & SNG (above,n.1) .nos. 1242-45: COL METROPOLIS BOSTRA .

(٥٠) Spijkerman(above,n.1),p.83&SNG(above,n.1),nos.1246-50 تحمل عملات ابن فيليب صورته كقيصر حاملاً إكليلاً من الزهور على ظهر العملة مع الكلمات اليونانية AKTIA ΔΟΥΣΑΡΙΑبالإضافة إلى العبارة اللاتينية "مستعمرة بصرى عاصمة الإقليم- COL METROPOLIS BOSTRA".وتتناسب الكلمات اليونانية مع النظام الهيللينى الذى تشير إليه، على الرغم من أن العملات التى صدرت بعد فيليب تظهر فقط الصيغةاللاتينية Actia Dusaria راجع:.Spijhkerman,pp.87-89 .عن تسجيل النصر في بُصرى، راجع: ILC 5233 (Ostia): Actia aput Bo[s]tram.

(٥١) Aur.Victor 28.1.

الفصل التاسع

من فيليب إلى زنوبيا
FROM PHILIP TO ZENOBIA

إن طول مدة حرب جورديان Gordian الثالث ضد الفرس الساسانيين ، الذين أسقطوا البارثيين فى إيران منذ أقل من عقدين من الزمان أتاحت الفرصة المناسبة إلى ماركوس يوليوس فيلييوس ، العربى من الشهباء (لتولى العرش). ففى عام ٢٤٣ م توفى تيميستيوس Timesitheus قائد الحرس البريتورى praetodian prefect للإمبراطور الصغير جورديان وأقوى رجل فى حاشيته فى المعركة وحل محله فيليب . وكان لدى القائد العربى الميِّزة الوحيدة وهى صلته الوثيقة بالشرق الأدنى ومعرفته للغة واحدة أو أكثر من اللغات المحلية . إن ارتقاءه إلى منصب قائد الحرس البريتورى لا يمكن أن يكون كله مجرد مصادفة (١). وكان شقيقه كاسيوس يوليوس بريسكوس C. Julius Priscus عضواً مميزاً فى طبقة الفرسان ، كما أن اسم زوجته أوتاكيليا سيڤيرا Otacilia Sivera يشير إلى أنها تنحدر من أسرة عربية من تلك التى كانت لها حظوة عند سبتيموس سيڤيروس (٢). حقيقة لقد وصَف كتاب المختصر فى القرن الرابع الذى لا نعرف اسم مؤلفه أصول فيليب بأنها كانت شديدة التواضع ، وأن والد فيليبَ كان زعيم عصابات (٣). إن المؤلف بقيامه بنشر مثل هذا التقرير كان يقدم ببساطة مرة أخرى صورة للتحامل المنتشر فى العالم الرومانى ضد العرب . إن غياب شيوع التحامل العنصرى فى الإمبراطورية الرومانية يُعد أسطورة العصور الحديثة ، حيث يمكن أن نرى ذلك فى الافتراءات الطائشة ضد العرب التى تورط فيها كتاب كبار بدءاً من شيشرون Cicero حتى زوسماس Zosmas (٤) . إن

مرتبة طبقة الفرسان التى تنتمى إليها أسرة فيليب تعد بُرهانًا كافيًا على تميُّز أصوله فى الولاية (ولاية العربية) ، فكان والده يوليوس مارينوس Julius Marinus ، ينتمى إلى مدينة تقع على حافة الليجا ، من المحتمل أنه انخرط بسبب جهله مع العصابات التى اشتهرت بها المنطقة (٥).

على ذلك لا يعد فيليب حديث نعمة متواضعًا فى نشأته. وأما إذا كان يعرف سر المكيدة التى أدت إلى مصرع جورديان الصغير فى الميدان ، فإننا لا نستطيع الحديث عنها الآن (٦)، ومما لاشك فيه أن الصبى لم يكن فى استطاعته إدارة الحرب بمفرده . كما أن ضربة عسكرية من هذا النوع تعد أمرًا محتملاً، وعلى أى حال فإن فيليب هو الذى جَنى ثمارها ، وقامت قوات الشرق بإعلانه إمبراطوراً عام ٢٤٤ م . واستمر حكمه لمدة خمس سنوات وبدأ بالاحتفاء بالتوقف السريع للحروب مع الفرس بطريقة فعالة (٧)، وإذا كانت مفاوضات فيليب تسببت فى بعض الإهانة لروما ، فإنها أدت بدون شك إلى وضع خاتمة للحرب المدمرة والمضنية ، وسمحت للإمبراطور بالعودة إلى روما مرة ثانية حيث يمكنه التواجد فى مركز إدارة الإمبراطورية . كانت سنوات حكم فيليب الخمس فترة استقرار واطمئنان غير عادية فى قرن اشتهر بالاضطرابات ، وفى عام ٢٤٧–٢٤٨ قدم للرومان الفرصة لمشاهدة الألعاب (الرومانية) الدورية التى كرست للاحتفال بتأسيس روما.(*) كانت الاحتفالات تمتزج فيها الطقوس الدينية بالموت فى أثنائها، وفيها يتم جلب الرجال والحيوانات من الخارج لعرض مهاراتهم فى مجال الرياضة وكان كثير منهم يفقد حياته فى أثناء مبارياتها (٨).

إن قيام عربى بإجراء مفاوضات السلام مع الفرس أمر يستحق الملاحظة ، بل إن قيام عربى برئاسة الاحتفالات الألفية لتأسيس مدينة روما كان شيئًا يستحق الملاحظة أكثر. أما أكثر المعلومات غرابة حول فيليب فهو ذلك الخبر الذى انتشر من أنه كان مسيحيًا ، ومن الممكن تفهم السبب فى أن أغلب المؤرخين يحجمون فى العصر الحديث

(*) تأسست مدينة روما عام ٧٥٦ / ٧٥٥ ق.م طبقًا للتاريخ المتواتر ، وأكدت الحفريات الأثرية الحديثة فيها صحة هذا التاريخ . (المترجمة)

ويشكل مفهوم عن تصديق مسيحية فيليب [٩]، لأنه من الواضح أن سماحه بإقامة دورة فى الألعاب الدورية يتواءم بصعوبة كبيرة معها ، وعلاوة على ذلك فإننا نعرف أنه قام برفع والده فى مدينة فيليبوليس Philippolis إلى مرتبة التأليه [١٠]، وإضافة إلى ما تقدم فلا يبدو أن أحداً من الكتاب الوثنيين لاحظ أن فيليب كان مسيحياً ، ويبدو أن السبب حول وصول المسألة إلى هذه الدرجة يتمثل فى انتشار المسيحية فى العربية فى منتصف القرن الثالث .

تعتمد جميع المصادر المسيحية الخاصة بإيمان فيليب بالمسيحية اعتماداً كلياً على النص الذى ورد فى كتاب التاريخ الكنسى (اللاهوتى) Ecclesiastical history الذى كتبه يوزيبيوس Eusebius؛ فقد ذكر فيه حضور فيليب قداس عيد الفصح (عيد القيامة) فى ثوب النادم، وأطلق عليه بشكل واضح المسيحى [١١]، وذكر يوزيبيوس فى فقرة أخرى[١٢] قيام أوريجين Origen بكتابة خطابات لكل من فيليب وزوجته سيڤيرا Severa ونظرا لكون يوزيبيوس قد رأى نص تلك الخطابات، فيمكن القول إن قصة ظهور فيليب فى قداس عيد الفصح ظهرت فى واحد أو أكثر من هذه الخطابات [١٣] لا ينبغى المسارعة بإلقاء التهمة على خطابات أوريجين ، التى قرأها يوزيبيوس ، على أنها تم تزييفها فيما بعد ، فليس هناك شك من أن أوريجين الذى كان له صلة وثيقة بالمسيحيين العرب ، كان من الطبيعى أن يرى فائدة من وجود أول إمبراطور عربى على العرش. فعندما كان أوريجين فى الإسكندرية فى أثناء حكم كاراكالا، كتب والى العربية خطابات رسمية لكل من والى مصر وإلى أسقف الإسكندرية يطلب منهم إرسال أوريجين له لمناقشة العقيدة المسيحية [١٤]، وذهب أوريجين إلى العربية من أجل هذا الهدف ، وربما يمكن أن نفترض أن الحاكم لاحظ زيادة انتشار المسيحية بين العرب وكان يرغب فى معرفة المزيد عن هذه العقيدة .

أورد يوزيبيوس فيما بعد تقريرين منفصلين عن مدى ارتباطات أورجين مع الكنيسة العربية . ويختص الاثنان بالنجاح الذى حققه أورجين فى تصحيح الأخطاء اللاهوتية بين العرب ، وفى حالة واحدة فقط أصبحت وجهة نظر أسقف بُصرى نفسه

تعد من الهرطقة [١٥]. ويبدو أنه حدث بسبب اتصال أورجين بإخوانه العرب ، أنه لا يعد أمراً مثيراً للدهشة قيام سيدة عربية أخرى وهى الأم الامبراطورية جوليا ماميا Julia Mamaea بإبداء رغبتها فى سماع ماذا كان لدى أوريجين عن عقيدته ، فعندما كانت متواجدة فى أنطيوخ خلال حملة ابنها سيڤيروس الإسكندر التى كان يجازف بها ضد النظام الفارسى الجديد ، طلبت من أوريجين مقابلتها [١٦]، ويبدو أن حب استطلاعها الثقافى لم يكن أقل من ذلك الذى كان موجوداً لدى عمتها جوليا دومنا ، إضافة إلى أن انتشار العقيدة الجديدة بين شعب موطنها دفعها إلى مزيد من الرغبة فى استطلاع أمرها .

أما بخصوص علاقات أوريجين بولاية العربية، وكذلك بالبيت الإمبراطورى ، فهى تجعل هناك احتمالاً كبيراً فى أنه كان على صلة مع فيليب وزوجته . ويبدو أن هذه العلاقات قامت عندما كان فيليب لا يزال موجوداً فى الشرق وبالتبعية قبل توليه العرش ، وأياً ما كان وقت حدوثها ، فمن الصعوبة بمكان إنكار فكرة أن فيليب قد أبدى بعض الاهتمام بالمسيحية ، ويبدو أنه جَرَّب اللاهوت والعبادة المسيحية بروح لم تختلف عن المضمون الذى اتخذته جوليا ماميا ، والاحتمال قائم بأنه كان يعلم بأمر المسيحية فى مدينته وفى بُصرى وكذلك فى مناطق أخرى . أما سلوكه كإمبراطور والصمت المطبق فى موضوع ميوله المسيحية فى المصادر الوثنية فإنه يستبعد أن فيليب أصبح بالفعل مسيحياً ، وجاء صمت زوسماس Zosmas على وجه التحديد أمراً له أهمية كبيرة لأنه كان يكره بشدة كلا من العرب والمسيحيين ، ويتمثل كل ما كتبه عن فيليب فى هجومه على أصوله العرقية ، ولو كان هناك ما يمكن قوله عن أن فيليب أصبح مسيحياً لكان ذكره بالتأكيد ، وعلى أى حال ، فالدليل يكفى للقول إن فيليب كان مذبذباً فى اعتناق المسيحية ، وإن هذه الذبذبة كانت دليلاً على مدى الانتشار الكبير للديانة الجديدة فى الأقطار العربية .

عندما طُرد فيليب وابنه الذى كان قد أشركه معه فى السلطة الإمبراطورية ، من على العرش نتيجة للثورة التى قادها ضده أحد قادته ، تراجان دكيوس Trajan Decius عام ٢٤٩م ، انتهت بسرعة فترة الهدوء التى قدمها فيليب للعالم الرومانى . إن

الاضطهاد العنيف الذى تعرض له المسيحيون على يد دكيوس ربما يكون بمثابة رد فعل لما اعتُبر أنه كان اعتدالاً من جانب سلفه (١٧). إضافة إلى ذلك ، فقد اختار عدم احترام كل بنود معاهدة السلام التى عقدها فيليب مع الفرس (١٨)، ونتج عن ذلك أنه عقب اضطهاد دكيوس مباشرة تجددت العداءات مع الأسرة الساسانية القوية وكان يقودها حينئذ شابور Shapur الأول ، وعندما تسببت سياسة دكيوس واضطهاده للمسيحيين فى زيادة الاضطراب الداخلى ، اختار الفرس وقت الاضطراب للقيام بغزو كبير يجتاح الولايات الرومانية فى سوريا ، وفى استطاعتنا أن نرى فى النقش المدون بثلاث لغات ، والذى تركه شابور خلفه سجلاً لأعماله العسكرية الباهرة ، حيث ذكر أنه قاد حملة وصلت بعيداً حتى أنطيوخ ، وتمكن من إبادة أعداد كبيرة من القوات الرومانية (١٩). وسجل مصدر يونانى آخر سقوط أنطيوخ على يد شابور ، وشرح أن خيانة المدينة جاءت من الداخل ، واستمر المصدر يتناول كيف استطاعت مدينة إيميسا Emessa صدّ الفرس بفضل القيادة المستميتة لكاهن أفروديت الذى كان يُدعى سامبسيجيراموس Sampsigeramus (٢٠) ، وهنا نرى مرة أخرى ، وكما سبق وحدث مع فيليب ، بروزاً عربياً لمجابهة أزمة تولدت من تهديد فارسى ، وارتد شابور مع قواته عبر نهر الفرات بعد محاولته الفاشلة فى الاستيلاء على مدينة إيميسا .

قامت مدينة إيميسا فى هذا التاريخ بالضبط من عام ٢٥٣ بإصدار سلسلة من العملة أعلنت فيها إمبراطوراً جديداً لروما . وحمل الإمبراطور الاسم الفخم لوكيوس جوليوس أوريليوس سولبيكيوس أورانيوس أنطونينوس L. Julius Aurelius Sulpicius Uranius Antoninus (٢١) ، ويبدو من خلال الجزء الأخير من اسمه ، أنه حاول بوضوح أن يختلق صلة بالأنطونيين الأواخر ، وهم الأباطرة العرب الذين انحدروا من عائلة جوليا دومنا (٢٢)، وصُنف أورانوس كمغتصب للعرش لأنه لم يُعتَرَف أبداً بادعائه الحصول على (الرداء) الأورجوانى، ولم يعرف شيئاً نهائياً عن حقيقة اغتصابه للعرش بخلاف العملة التذكارية التى صدرت له ، ومع ذلك فإن إصدار عُملة أورانيوس فى إيميسا المؤكدة فى عام ٢٥٣ ، دفعت أحد المتخصصين إلى إثارة الانتباه إلى الربط

بين صدّ سامبسيجيراموس للغزو الفارسى لإيميسا ومطالبة أورانوس بالعرش فى المدينة نفسها وفى الوقت نفسه [٢٣]. إن اسم أورانيوس هو اسم هيلليني لشخص عربي كان اسمه الأصلى سامبسيجيراموس Sampsigeramus [٢٤] ، وعند ارتداد الفرس عن المدينة رأى هذا الشخص أن الفرصة متاحة لإعلان نفسه إمبراطوراً ، مثله فى ذلك مثل فيليب وحفيد جوليا دومنا ، ليعيد سيطرة العرب على الحكومة المركزية .

إن عدم استقرار الأوضاع فى الشرق الأوسط الذى سببه التهديد الفارسى قدّم فرصًا فريدة لتقدم القوة العربية فى المنطقة . وكانت هذه الفرص كبيرة بسبب عدم قدرة الحكومة المركزية على الحفاظ على خط متماسك فى السياسة الخارجية ، وكان من الواضح أن تتابع خمسة أباطرة فى خمس سنوات قبل استيلاء الفرس على أنطيوخ لا يؤدى إلى استمرارية الإدارة [٢٥]. ولم يكن من قبيل المصادفة أنه منذ قيام الساسانيين فى إيران ، فإن المواجهات الرئيسية ضدهم قام بها رجال من الشرق الأوسط وهم سيفيروس الإسكندر، وفيليب، ثم بعد ذلك أورانوس . ولاشك أن شخصيات بارزة أخرى فى المنطقة استفادت من الموقف لمصلحتها ، إضافة إلى أن قيام التنافس بين القوات العربية فى الصراع من أجل السلطة كان كبيراً دون شك ، فبعد انتهاء مملكة الأنباط ، أصبح شيوع استخدام القوات العربية المستقلة فى المنطقة أمراً مسلماً به لدولة تدمر Palmyra التجارية، التى كانت تقع فى واحة كبرى فى الصحراء السورية على مقربة من طرق التجارة الرئيسية عبر شمال الصحراء ، ونمت تدمر وازدهرت وأصبحت تمثل قوة خلال القرن الثانى ، مما كانت تحصله من ضرائب الجمارك ، ومن ممارستها للنشاط الخاص بها والذى امتد حتى وصل إلى الفرات . وربما كانت تدمر هى المدينة الصحراوية الوحيدة التى كان تجارها يمتلكون سفنًا بحرية [٢٦](*).

(*) بنى المؤلف هذا الاحتمال على اللوحة التى عُثر عليها عام ١٩٤٦ ، وصور عليها أحد التدمريين وهو يقف بجوار سفينة ، وهى موجودة الآن فى متحف تدمر ، وأميل إلى الاعتقاد بضعف هذا الاحتمال لعدم وجود ما يؤكده فى المصادر التى لدينا . (المترجمة)

ازداد نفوذ تدمر وأصبح مُرحبًا به فى الصحراء خلال القرن الثانى وبداية القرن الثالث ، وأصبح ممثلو المدينة يقدمون الحماية فى الصحراء من خلال نقاط حراسة الحدود والعمليات البوليسية وكحلفاء مواليين للرومان ، وكانوا يقومون بتسهيل مرور الجيوش عبر المناطق الواسعة المعزولة . لم يكن فى استطاعة مركز الحراسة الرومانية فى دورا يوروبوس Dura Europus المطل على نهر الفرات أن يستمر بقاؤه دون مساندة تدمر ، ويمكن ملاحظة مدى أهمية تدمر فى بروز أول سناتور من المدينة فى عصر سبتيموس سيڤيروس (٢٧)، وربما يُلاحظ ذلك من خلال التكريم الكبير والصغير لهؤلاء الذين يقومون بحماية طرق التجارة ، وهناك شخص يُسمى سُعدوس Soados قام بتكريمه كل من التجار وحاكم الولاية والإمبراطور بنفسه " بوصفه رجلاً تقيًّا مُحبًّا لوطنه ، لوقوفه بشهامة وكرم إلى جانب التجار وقوافلهم فى الأزمات الكبيرة والعديدة والتى لم يضن فيها بنفسه أو بثروته من أجل تحقيق ذلك " (٢٨).

ويبدو أن أهل تدمر رأوا فى منتصف القرن الثالث أن غيرهم من العرب وصلوا إلى مراكز رفيعة كانوا هم أولى بها نظرًا لتاريخهم الطويل وولائهم فى خدمة الرومان ، وهناك إشارة خافتة ولكن لها مغزاها تدل على أن حكام تدمر ، وهما الآن أذينة Oden-athus وزوجته الملكة زنوبيا Zenobia لم يعد لديهما الرغبة فى الوقوف مكتوفى الأيدى فى الوقت الذى كان يطالب فيه كاهن مدينة إميسا بالثوب الأرجوانى بعد عقد واحد فقط من قيام مواطن الشهباء بالعمل نفسه ، ويبدو أن أذينة فكر فى تلك اللحظة فى التحول عن روما وإيجاد سبيل مشترك له مع الفرس الذين أثبتوا من قبل أنهم الآن قوة كبرى، ولكن قيل إن الملك الفارسى رفض عروض أذينه وتركه ليسير فى اتجاه النظام الرومانى (٢٩).

كانت روما فى حاجة إلى تدمر ، حقيقة كان يمكن للأشخاص الذين يتمتعون بالموهبة والدهاء القيام بتقديم خدمة كبيرة، ويحصلون على مكافأة كبيرة فى المقابل، ولكن تدمر كانت دولة جيدة التنظيم ، لديها نقاط حراسة أمامية منتشرة فى أماكن بعيدة، واتصالات جيدة ، وأثبتت الأحداث أن هذا التنظيم كان وجوده جوهريًا فى أثناء

عملية الغزو الفارسي التالي ، والذي كان أشدهم جميعًا في تدميره . اتجه شابور عام ٢٥٩ بجيوشه نحو الغرب من إيران مرة أخرى ، وتمكن خلالها ليس فقط من دَحر القوات الرومانية ، بل من أسر الإمبراطور نفسه (٣٠). كانت إهانة ڤاليريان Valerianus هي بمثابة إهانة لروما ، ولكنها في الوقت نفسه قدمت فرصة عظيمة لتدمر ، تمكن فيها التدمريون من دفع الفرس للتراجع في نهاية الأمر ، لأنهم كانوا أكثر منهم دراية بحرب الصحراء (٣١)، ويبدو أن الحكومة الرومانية اقتنعت في العقد التالي تحت حكم جالينوس Gallenus بترك تدمر تعمل كحليف رئيسي للحكام الرومان وولاياتهم في الشرق الأدنى (٣٢)، وأصبح أذينة بمثابة نائب لروما في المنطقة، وكان الاحتمال ضعيفًا في إمكان قيام شخص مثل فيليب أو أورانوس باغتنام الفرصة لنفسه مرة ثانية ، ورغم ذلك لم يكن في استطاعة العرب جميعًا ملاحظة تصاعد نفوذ أذينة بثبات ، وربما كان هرولة العرب أنفسهم للسلطة خلال هذه الفترة هو أكثر الموضوعات إهمالاً بالنسبة لهم في الكتابات التي أعقبت الغزو الفارسي الثالث .

أوضحت مجموعة نقوش درعا Der'a الهامة وكذلك نقوش بُصرى الشعور بضرورة إقامة تحصينات قوية ، ليس فقط خلال الغزو الفارسي ولكن لعدة سنوات تالية (٣٣). ظهر أن الخطر الذي يهدد الإقليم لم يكن من قبل الفرس وحدهم ، بل إن زيادة قوة تدمر الواضحة كان أمرًا ينبغي أن يُخشى جانبه ، ومن المؤكد أن مدن الجانب الشمالي من الولاية العربية كان يوجد من بينها أحلاف قروية وقبلية قدر لها الازدهار تحت الحكومة الرومانية ، ولكنها أصبحت الآن مهددة بالخضوع لدولة عربية قوية . حقيقةً كان استقلال القبائل العربية ميراثًا ثمينًا ، سواء أكانت هذه الوحدات الاجتماعية مستقرة أم مرتحلة ، ولدينا مجموعة من النقوش الهامة توثق وجود قبائل في الحُوران (٣٤)، مع مجموعات مُرتحلة مع ضباطها ، فنحن نسمع عن وجود مدير strategos له معسكر متجول ، ومشرف ethnarches (وربما أن كلا اللقبين يعني شيخًا)، ويذكر لنا نص آخر وجود وكيل syndikos (٣٥) . إن تحالف وحدات اجتماعية صغيرة في وحدة أكبر لها هدف عام لم يكن شيئًا جديدًا بالنسبة لعالم العرب قبل الإسلام ، فلقد ثبت وجود اتحاد ثمود Thamūd من نقش من الروافة Ruwwāfa

فى العربية السعودية ، وفى الحقيقة كانت دولة تدمر نفسها عبارة عن اتحاد بين عدة قبائل ، أما إذا قاومت إحدى القرى أو مجموعة من القبائل ضغطًا إمبرياليًا من قبل اتحاد ما فمن الواضح أنه كان من الضرورى لها أن تنضم بطريقة أو بأخرى إلى اتحاد منافس يمكنه القيام بعمل مشترك لمصلحتهم ، وعلى ذلك فإن أكبر تهديد كان يجابهه أهل تدمر ينبغى أن يكون متوقعًا من قبل اتحاد عربى آخر ، وكان هناك واحد منها .

أمكن بعد جمع المعلومات التى قدمتها ثلاثة نقوش تم اكتشافها فى القرن العشرين وإضافتها إلى المعلومات الخاصة باتحاد القبائل المعروف باسم تنوخ Tanukh فى القرن الثالث ، القيام بربطها بتاريخ الأسرة اللخمية Lakhmid التى ترجع جذورها إلى موقع الحيرة Hīra . وتواصلت المعلومات عن هذه الجماعات فى المصادر التاريخية والمؤلفات العربية عن الأنساب، وعلى وجه الخصوص فى التاريخ الشامل للطبرى؛ ولكن دون وجود ما يثبتها بين الوثائق ، لذا رفض المتخصصون الاعتراف بهذا الدليل [٣٦]، ولكن بعد الحصول على المعلومات الوثائقية تم تحقيق مكسب كبير وأصبح فى الإمكان الآن أن نفهم أسباب التوترات التى كانت موجودة فى سوريا وولاية العربية فى العقد الأخير من حكم أذينة وزنوبيا فى ضوء نشاط تنوخ وأوائل اللخميين . وينبغى النظر إلى الجماعات العربية على أنها كانت تحقق نوعًا من التوازن الذى كان يبحث عنه المرء فى مواجهة تدمر ، وإذا كانت روما تشعر بالارتياح لتركها إدارة جناحها الشرقى إلى التدمريين ، فسوف يكون لدى آخرين من الذين يسكنون المنطقة شعور بالخوف والعداء تجاههم ، وبَرَزَ التنوخيون كمجموعة متماسكة فى مواجهة تدمر لذلك فعندما قررت زنوبيا بعد موت زوجها الثورة ضد السلطات الرومانية ، كان تصرفها بمثابة إهانة لجيرانها العرب ، كما أنه كان يمثل خروجًا على الحكومة الرومانية فى إيطاليا [٣٧].

إن التنوخيين الذين وصفهم الطبرى على أنهم عبارة عن اتحاد لعدة قبائل استقروا فى منطقة القطيف al- Qatīf فى الجزء الشمالى الشرقى من الجزيرة العربية [٣٨].

واتفقت مصادر عربية فيما بعد أن هذا هو الموطن الأصلى للتنوخ (٣٩). وحتى وصول الساسانيين إلى الحكم لم تكن بعض القبائل من تلك المنتمية إلى الاتحاد قد فكرت فى ترك موطنها هرباً من نظام الحكم الفارسى الجديد (٤٠). وتأكد حديثًا قول الطبرى بوضوح من خلال نقش يرجع إلى النصف الأول من القرن الثالث ، والذى وصف فيه الجزء الشمالى من شبه الجزيرة بأنه يضم "ولايات فارس وأرض تنوخ "(٤١). هنا يكون لدينا كل الحق فى الاعتقاد بأن الخضوع للفرس كان هو السبب الجوهرى الذى دفع التنوخيين إلى الهجرة .

ذكر الطبرى أنهم اتجهوا رأساً باتجاه الشمال واستقروا فى منطقة الحيرة ، ولحقوا بالعرب الذين كانوا قد استقروا هناك من قبل، ومن الحيرة اتجه كثير منهم إلى مناطق أبعد شمالاً فى اتجاه الأنبار وما وراءها (٤٢)، حيث أصبحوا يمثلون قوة أساسية فى الأقاليم الصحراوية الداخلية الواقعة غرب الفرات ، ومن بين الأسماء التى ارتبطت بالتنوخ فى الموقع الجديد ثمة شخص يدعى جذيمة Jadhīma ، وكان الشيخ هو رئيس الاتحاد فى عهد زنوبيا (٤٣). إن وجود جذيمة وشعبه فى الجزء الشمالى من الولاية العربية ثبت بطريقة درامية بواسطة نقش من أم الجِمال Umm al Jimāl باللغتين النبطية واليونانية ، يكرم فيه ذكرى مُعلم هذا الشيخ القوى ، الذى وصف بوضوح على أنه "ملك تنوخ" (٤٤)، وكان مُعلم جذيمة ، كما يبدو عربيًا من الأنباط ، يعيش فى ولاية العربية ، ويعكس قيامه بخدمة ملك تنوخ تغلغل هذا الاتحاد فى منطقة الصحراء العربية وربما سوريا أيضاً .

أدخلت المصادر العربية جذيمة مباشرة فى نزاع مع زنوبيا وعزت القضاء عليه إلى حيلة ذكية لملكة تدمر (٤٥). وتُرك لعمرو بن عدى خليفة جذيمة وابن أخته وأول ملك من سلالة الحكام اللخميين ، مهمة الانتقام من التدمريين . وفى الواقع فإن المصادر العربية ترجع إلى عمرو بن عدى فضل هزيمة تدمر وموت زنوبيا (٤٦). فإن الصراع الذى قام به القادمون الجدد من القطيف ضد المركز القوى الذى حققته تدمر لفترة طويلة يجب أن نراه الآن على أنه سبب هام للانفجار العسكرى فى عام ٢٧٠ الذى أدى

إلى وجود حشود القوات التدمرية عبر حدودها فى داخل ولاية العربية ، وأوصلهم أخيراً إلى دخول مصر ، حيث رأت زنوبيا من نفسها كليوباترا جديدة (٤٧). تم إثبات صحة المعلومات الخاصة بجذيمة وعمرو بن عدى من خلال نقش النمارة المدون باللغة العربية ولكن بالخط النبطى ، ويُمجد النقش شخصا يُدعى امرؤ القيس الذى ذكر أنه ابن عمرو بن عدى (٤٨). إن امرؤ القيس هذا ليس سوى ابن أخ (أو أخت) لجذيمة ، والذى أطلق عليه الطبرى امرؤ القيس البدء (ويعنى الأول) (٤٩) ، وأكد نقش النمارة تتابع الحكام كما هم مذكورون فى المصادر الأدبية ، إلى جانب تأكيد التاريخ التقريبى الذى تم تحديده لهم حيث يؤرخ النقش بوضوح بعام ٣٢٨ ، أى فيما يبدو بعد وفاة امرؤ القيس .

إن جميع ما تقدم يدل على زيادة الأوضاع المتوترة فى كل من سوريا والعربية فى عام ٢٦٠ خلال حكم جالينوس Gallienus . وتضخمت قوة التدمريين وأصبحوا قوة واعدة نتيجة لنجاحهم فى إيقافهم تقدم الفرس ، إلا أن التنوخ الذين فروا من السيطرة الفارسية فى الجنوب ، أصبحوا الآن يعارضون نفوذ التدمريين ، ويتسببون فى الإخلال بالتوازن الهش الذى كانت الحكومة الرومانية تُعول عليه لتأمين السلام فى المنطقة ، وانغمست زنوبيا أكثر وأكثر فى تدمر وهى تؤدى دور ملكة هللينستية ، ودور راعية الثقافة ، إذ انخرطت فى الحياة الثقافية لذلك العصر ، مثلها فى ذلك مثل جوليا دومنا ، وقيل إنها جمعت حولها عدداً مميزاً من الشخصيات الأدبية .

ليس هناك أدنى شك فى ازدهار الثقافة الهللينية(*) العربية خلال تلك الفترة فى الشرق الأدنى كما كان عليه الوضع فى الفترة المبكرة من أوائل القرن ، فقد تَرك الفليسوف هليودوروس Heliodoros الذى وصفه فيلوستراتوس Philostratos بأنه عربى ترك أثراً عميقًا لدى كاراكالا فى فترة سابقة (٥٠). ويبدو أن كثيرين غيره

(*) أفضل هنا استخدام اصطلاح الثقافة الهللنستية Hellenistic Cultur، لامتزاج الثقافة الهللينية بعناصر الثقافة الشرقية بعد انتقالها إلى الشرق فى ركاب حملة الإسكندر المقدونى إلى المنطقة عام ٣٣٤/٣٣٣ ق.م. أما الثقافة الهللينية فالمقصود بها الثقافة اليونانية الخالصة قبل حملة الإسكندر . (المترجمة)

مارسوا بضاعته فى الأجيال اللاحقة . ازدهرت الثقافة الهللينية فى قلب بلاط الأنباط . ونستطيع أن نميز شخصًا يدعى كالينِيكوس callinicus من البتراء ، كان فليسوفًا (sophist) تمكن من تحقيق شهرة كبيرة مكنته من ممارسة الخطابة فى أثينا نفسها(٥١) . وهنا واجه منافسه جينيثِليوس Genethlius الذى كان هو الآخر أحد مواطنى البتراء(٥٢)، ويبدو أن المناقشات الفلسفية المعقدة كان يتم عقدها بين الأشخاص المثقفين فى مدينة كالينيكوس، ويمكن أن يشك المرء أن مثل هؤلاء الناس كانوا يقدمون ولاءهم بين وقت وآخر لبلاط زنوبيا (٥٣).

وعلى أى حال ، فعندما قامت جيوش تدمر بتنصيب زنوبيا ملكة علـى مصر ، كان أمام كالينيكوس أن يقدم لها تاريخ مدينة الإسكندرية بحماس ليس أقل من ذلك الذى أبداه نحو حاكم ولاية العربية عندما تسلم منه منذ عدة سنوات سابقة مؤلفه عن الخطابة(٥٤)، ويبعُد عن الاحتمال أن جذيمة وعمرو بن عدى شَغلوا أنفسهم بمثل هذه الأشياء أو حتى أنهم كانوا ينظرون بعين الاعتبار للتداخل الدقيق بين الثقافة والسياسة فى ولايات روما . لا شك أن عمرو بن عدى كان سيرحب بشِعر جيد يُمجد انتصاراته ، وليس بتقديم مؤلف نثرى عن تاريخ الحيرة .

إن إمساك زنوبيا بزمام كل من الثقافة والناحية العسكرية والمبادرات السياسية فى الشرق الأدنى كان يرفع من توقعاتها بالنجاح ، وعندما قامت فى نهاية الأمر بشن الحرب التى أوصلتها إلى مصر، اندفعت إلى عاصمة الولاية العربية المخالفة لتقاليدها، إذ قامت قواتها بتدمير معبد زيوس هامون Zeus Hammon فى بُصرى ، الذى يُعد رمز المدينة الأكبر ، وكذلك للفرقة المرابطة هناك (٥٥). إن عنف زنوبيا فى اكتساح شمال العربية، إلى جانب كثافة العمل فى التحصينات العسكرية خلال العقد الذى سبق القيام بغزوتها ، كان يدل على أنها كانت تتوقع حدوث مشاكل على الأقل من قبل السكان المقيمين فى الحوران ، ويبدو أن هذا الأمر كان له علاقة بوصول التنوخ إلى المنطقة . وعلى الرغم من أن قاعدة القبائل الرئيسية كانت توجد جنوبًا فى الحيرة ، فإنه كان واضحاً ليس فقط من وجود مُعلم جذيمة فى أم الجِمال بل أيضًا من وجود

ابن عمرو بن عدى فى النمارة (إلى الشمال من جبل الدروز)، إن الوجود التنوخى فى شمال العربية كان له تأثير بالغ الأثر . لاشك أن زنوبيا لاحظت بحذر نمو قوة أعدائها العرب عَبر الحدود الجنوبية لسوريا مباشرة داخل ولاية الرومان العربية .

تُرجع المصادر العربية القضاء على زنوبيا ونهاية مملكتها فى تدمر إلى الإمبراطور أوريليان Aurelian وجنوده [٥٦]. ومن الواضح أن تدخل أوريليان كان حاسماً ، ولكن بالنسبة للمنظور العربى كان عمرو بن عدى هو الذى قضى على زنوبيا كعمل انتقامى لمصرع جذيمة ، وفى حقيقة الأمر لابد أنه كان هناك ائتلاف فعال بين الرومان والقوات اللخمية أدى إلى نجاح أعداء زنوبيا ، فإذا كان فى استطاعة التدمريين صد جيش فارسى، كان قد تمكن من أسر إمبراطور رومانى من قبل، فلا بد أن التدمريين كانوا قوة صحراوية مخيفة ، وكانت قبائل عمرو بن عدى فى إمكانها التعامل مع التدمريين على طريقتهم الخاصة ، وبمساعدة وتدعيم وقيادة إمبراطور رومانى مُلهم مثل أوريليوس ، أصبح الانتصار النهائى مضموناً . ويبدو أنه كان هناك نوع من التعاون من داخل تدمر نفسها ؛ حيث يمكن أن نتبين أحد أعضاء مجلس السناتو الرومانى من ذوى الأصل التدمرى كان يعد عدواً لزنوبيا [٥٧].

إن ائتلاف القوات الرومانية وقبائل عمرو بن عدى العربية تشكل فى ولاية العربية من قبل خلال السنوات الأخيرة من حكم زنوبيا. وبالتأكيد ، أنها منذ بدأت فى التراجع عن مصر كان اندفاع هذين الاثنين فى الولاية أمراً ضرورياً لإحراز هدف مشترك ؛ إذ كان انتصار أوريليان هو انتصاراً لعمرو ، ومع انهيار تدمر ، كانت كل من ولاية العربية مثلها فى ذلك مثل الولايات السورية فى الشمال ، فى حاجة إلى قوة عربية جديدة فى الصحراء ، وكان عمرو بن عدى وابنه موجودين هناك لتحقيق هذا الهدف .

مصادر الفصل التاسع

(١) HA,Gord.28.5-6 الذى زعم أن فيليب قام بقتل تيميثيوسTimesitheusبالتآمر مع الأطباء الذين استبدلوا دواء الوالى بجرعة سامة ،وهو أمر لايصدق.وعن خلافة فيليب للوالى راجع: Festus 22,Aur.Victor 27.8.Epit.de Caes.27.2;Zosimus I.18.2 as well as Amm.Marc..23.5.17& Waddington.IGLS 2598 (OGIS 640).لاحظ أن النص المذكور في HA ،كما هو لدينا يفتقر إلى ترجمة لسيرة حياة فيليب . ولكن من الواضح أنه فى حالة وجودها لم يكن من المنتظر أن تكون في صالحه (Cf.HA,Aur.42.6).

(٢) عن بريسكوس Priscus راجع :PIR2 I 488 الذى خدم في منصب والى ما بين النهرين (Mesopotamia)،انظر : Waddington ,IGLS 2077(IGR 3.1201);see further Zosimus I. 19.2&20.2 عندما تم ترميم النقش الموجود في PIR2 وضع اسم بريسكوس بدلا من اسم فيليبوس فى الجزء المطموس من النقش المذكور لدى Waddmington IGKS 2589(OGIS640)،وعن أوتاكيليا سيفيرا Otacilia Severa راجع على سبيل المثال ILS. 510,

(٣) Epit.de Caes 28.4 :"كانت أصول فيليبوس شديدة التواضع ،وكان والده زعيمًا لعصابات اللصوص – Is Phlippius humillimo ortus loco fuit ,patre nobilissimo latronum ductore ." وراجع HA,Gord.29.1حيث يقول: "كانت أصول فيليبوس العربى شديدة التواضع - Philippius Arabs,humili genere natus" ولم يذكر أوريليوس فيكتور أى معلومات يمكن مقارنتها بذلك .

(٤) انتشرت مؤخرًا في بعض الجهات فكرة غير مقبولة عن أن الإمبراطورية الرومانية عرفت الاستعلاء الثقافى وليس العنصرى مثل A.N.Sherwin-White,Racial Prejudice in Imperial Rome (1967) ، لقد ثبت وجود التحيز بشدة تجاه العرب ،الذين كان يطلق عليهم أحيانًا اسم السوريين أو البدوSaracens،وعالج عرفان شهيد Irfan Shahîd الموضوع في عمله المرتقب (أثناء قيام بورسوك بتأليف الكتاب الذى بين يدى القارئ)عن البيزنطيين والعرب في القرن الرابع،وتناول فيه باقتدار موقف المؤرخ أميانوس Amm.Marc.14.4،الذى أنهى حديثه بقوله: "إنهم شعب من الأشرار – "haclenus de natione perniciosa" . راجع أيضًا شيشرون:Cicero,de prov. cons.5.10 "إن أصول كل من اليهود والسوريين ترجع إلى أمة من العبيد – Iudaeis et Syris,nationibus

"natis servituti"، وزوزيموس الذى يقول: "إن العرب من الشعوب التى ينبغى أن يقوم أحد بقيادتها – "ὁρμώμενος γαρ'εξ' Αρβίας,έθνους χειρίστου" Zosimus I.18.3

(٥) عن مارينوس Marinus ,PIR2 I 407.

(٦) عن الادعاءات فى المصادر راجع على سبيل المثال : HA,Gord.29-30;Eurtopius 9.2.3;& Zosimus I.18.2-19.1. إن تقرير المؤله شابور Res Gestae Divi Saporis يدل على أن جورديان Gordian قتل في معركة وعن مناقشة جريمة فيليب ، راجع : F. Paschoud in his Budé edition of Zosimus , (1971), p.144; X. Loriot, ANRW II.2(1975),770-74; &H.A. Pohlsander,.A. Historia 29 (1980). 464-65.

(٧) عن المعاهدة مع شابور راجع : Zosimus I. 19.I&Zonaras 12.19,Cf. Aurelius Victor 28.I عن تحقق "الهدوء على الجبهة الشرقية بعد عقد الاتفاق – ab Orienttem compositis rebus".

(٨) عن وجود كل أنواع الألعاب(الرومانية) راجع :Aurelius Victor 28.I. ويقدم جورديان قائمة بكل أنواع الحيوانات ludis omnium generum التى كانت تشارك فيها ويذكر أن-ألعاب فيليب تضمنت كل الألعاب المقدسة التى كانت معروفة في ذلك الوقت والتى كانت تنتهى إما بالموت أو بحادثة تؤدى إليه – quae omnia Philippus ludis saecularibus vel dedit vel occidit.

(٩) قام بولساندر بمسح شامل للأراء الحديثة Pohlsander(above, n.6),463-64 ،كما قدم قائمة بالمصادر ،وجميعها مسيحية عن اعتناق فيليب لها.

(١٠) Waddington,IGLS 2075 (الإله ابن مريم θεόν (Μαρî[vov]، (وإله مريم θεω Μαρείνω) 2076، وأعيد نشرها في IGR 3.1199.1200.Seealso (BMC,Arabia ,Mesop.,p.42 θεῳ Μαρίνω – إله مريم) .

(١١) Eusebius, HE.6.34 "أطلق على فيليب المسيحى – τουτον[i.e Φίλιπποντ] κατέχει λόγος Χριστιανον όντα. "

(١٢) Eusebius,6.36.3 قام يوزيبيوس نفسه بجمع خطابات مختلفة من أوريجون من بينها خطابات إلى فيليب وسيبيرا. وقدم(القديس) جيروم نسخة غامضة من دليل يوزيبيوس في : Jerome,de viris ill.54 .

(١٣) SeeH. Crouzel,"Le christianisme de l'empereur Philippe l'Arabe," Gregorianum 56 (1975), 595-50,&T. D.Barnes, Constantine & Eusebius (1981), p.351,n.95.

(١٤) Eusebius,HE 6.19.15.Cf Barnes(above,n.13),p.83

(١٥) Eusebius,HE 6.33.I(Beryllus ,bishop of Bostra Arabian بيريلوس أسقف بصرى) ؛6.37 (الهرطقة العربية Arabian heresies)

(١٦) Eusebius,HE 6.21.3-4،وعن تاريخ المقابلة بين أوريجين وماماياMamaea في أنطيوخ، راجع : Barnes(above,n.13), p.328,n.32.

(١٧) وطبقًا لما ذكره يوزيبيوس:Eusebius HE 6.41.9 فإن ما كتبه ديونيسيوس السكندرى Dionysius of Alexandria وكان يكتب فى عهد ديكيوس Decius ,وهو ينظر إلى الخلف عن سياسة أكثر تسامحًا تجاه المسيحيين فى عهد فيليب : ἡ της βασλείας ἐκείνης της ευμενεσέρας ημιν μεταβολή'.وعن حالات الإعدام التى تمت في عهد ديكيوس راجع : G.W. Clark ,"Some Observations on the Presecution of Decius",Antichthon 3 (1969),63-76

(١٨) Cf. A.T.Olmstead,CP 37(1942),261-62.

(١٩) A.Maricq,Syria 35(1958).308-10.

(٢٠) Malalas,pp.295-96(Bonn);64-65(Stauffenberg) . وعن مَريادیس Mariades الذى خان أنطيوخ لصالح الفرس ،راجع G.Dwoney,A. History of Antioch in Syria (1961), pp. 245 - 255 . وعن مناقشة ممتازة لتقرير مَلالاس عن سَمبسيجيراموس Sampsigeramus راجع: H.R. Baldus, Uranius Antoninus (1971),pp.236-50.

(٢١) عن كتالوج عُملة يورانيوس وتحليلها ،راجع :Baldus(above ,n.20،ويقوم كتابه مقام كل الدراسات السابقة لهذه العُملة.

(٢٢) لاحظ أن الإجابالوس كان يلقب بلقب "أفضل الأنطونيين – ultimus Antoninorum"فى HA,Heliogab.17.

(٢٣) Baldus(above,n.20),pp236-50.

(٢٤) Baldus(above,n.20),pp248 ، الذى استغل النبوءة السبيللية Orac. Sibyll. 13. 151 وفسرها على سَمبسيجيريوسSampsigeramus من أنه رسالة الشمس ἡλιόπεμπτος

(وهى الترجمة اليونانية لعبارة grm – šmš ،التى تعنى "قررت الشمس").وهناك احتمال آخر بأنها إشارة إلى أورانيا (أفروديت)الذى كان سَمبسيجيريوس كاهنًا لها .

(٢٥) الأباطرة هم :فيليب،ديكيوس ،جاللوس ،أيمليانوس ڤاليريان،

(٢٦) تم حل المشكلة راجع النقش الذى اكتشف عام ١٩٤٦والموجود حاليًا في متحف تدمر ، وهو يمثل لوحة صور عليها أحد التدمريين وهو يقف بجوار سفينته Khaled Ass'ad &O. Taha, Wellcome to Palmyra (1966),p.89 وهناك صورة فوتوجرافية جيدة أخذت لهذه الصورة قبل وضعها فى المتحف نشرت فى : H. Ingholt, Gandharan Art in Pakistan (1957) ,plate VI.2.

(٢٧) CIS II.4202.

(٢٨)عن ملف سَودة Soados،راجع : R.Mouterde,Syria 12 (1931) 111; Chr. Dunant, Museum Helveticum 13 (1956),216- 25.Cf.J.& L.Robert ,Bull. épig. 1958. 506. وعن تدمر خلال القرن الثانى أيضًا راجع : G.W. Bowerscok,Chiron 6 (1976), 349-55.

(٢٩) Petrus Patricius ,FHG (Müller) IV,187.Cf Malalas ,p.269(Bonn).65 (Stauffenberg) بخصوص" إناثوس الذى عمل ضد الرومان[Od] (i.e.,Evαθος

راجع كذلك

Baldus (above ,n.20),pp.238-39 aenathus) αντιποιώμενος Ῥωμαίων.

(٣٠) راجع زهو شابور:Maricq (above,n.19),313 ،والرسم في نقش رستم الذى يمثل استسلام فاليريان .وعن التاريخ راجع : F.Paschoud, Zosime (Budè) I (1971), pp.154-55. ، وعن الوصمة التى لحقت باسم الرومان راجع:Cf.Zosimus I.36.2 . وسجل أحد النقوش الصفوية (CIS 5.4448) السنة التى حارب الفرس ("Medes,"mdy) فيها الرومان في بُصرى،وربطها رودنسن بحملة شابور الثالثة : M. Rodinsen,Arabica 6 (1959),216-17.

(٣١) Zosimus I.39.1-2. أضيفت قوات الفرق الرومانية التى بقيت في الشرق إلى قوات تدمر .

(٣٢) Zosimus I.39.1-2:"وبسبب سوء الأوضاع طلبوا المساعدة من أوديناثوس ،الذى قام بحماية رجالهم لذلك نالت تدمر وملكها التقدير الذى تستحقه

Τοις δέ περί έώαν πράγμασιν ούσιν 'εν' α πογνώσει βοηθειν 'Οδαίναθον έταξεν, άνδηρα Παλμυ- ρηνον καί εκ προγονων της παρα των βασιλέων αξιωθέντα τιμης

أطلق أوديناتوس على نفسه لقب" ملك الملوك mlk mlk"،و"حاكم جميع أنحاء الشرق - "mtqnn'dy mdnh'klh راجع: CIS II.3946.Cf.CIS.II. 3971 عن أديناتوس بن فابلاثوس Odaenathus son of Vaballathus، الذى سمى" بمصلح الشرق كله 'pnrtt' dy mdnh' klh ("επανορθωτης of all the east").وقرئت كلمة mdnh فى هذا النص والنقش السابق عليه خطأ على النحو التالى mdyt .انظر التعليق فى CIL,ad loc .

(٣٣) جمع فلاوم النصوص فى الدراسة التالية : H.-G.Pflaum,"La fortification de la ville d'Adraha d'Arabie(259-260 à 274-275)d'après des inscriptions récemment découvertes," Syria 29 (1952),307-30.

(٣٤) جمع ماك آدم المادة في إطروحته لنيل درجة الدكتوراة: H.I.MacAdam,"Studies in the History of the Roman Province of Arabia "(Univ.of Manchester 1979);,chap 6("The Provincial Tribes " .ومن سوء الحظ أن القدر الأكبر من الوثائق الخاصة بالقبائل يختص فى معظمه بالجزء الشمالى من الولاية .

(٣٥) PAES III A no752(قائد معسكر النوميديين- στρατη[γ]ος παρε[μ]βολων عن قائد نوميدى [ν]ομάδων) Cf.Waddington, IGLS 2196 (OGIS 616) στρατηγος νομάδων. راجع أيضًا عن" شيخ قبيلة –εθνάρχης" IGR 3.1247،وعن لقب آخر لرئيس قبيلة σύνδικοςراجع PAES III.A,no.383 . ويناظر اللقب الأخير لقب حاكم iudexفي النص اللاتينى لدى هاردنج G.L.Harding, ADAJ 2 (1953), 46, no.173. وعن مناقشة نماذج أخرى راجع: Sartre,Trois études sur l'Arabie romaine et byzantine (1982),pp.122-28.

(٣٦) انظر على سبيل المثال مذهب اللاإرادية عند : G. Rothstein,Die Dynastie der Laḫmiden in al -Ḥīra (1899),p.40 .

(٣٧) قتل أوديناتوس فى إيميسا Emesa(حمص) كما يذكر زوسيموس Zosimus I.39.2. ، وربما حدث في عام ٢٦٧/٢٦٨ راجع: F. Miller.JRS 61 (1971),8-9. وهناك رواية أخرى تذكر أنه قتل فى كبادوكيا(فى آسيا الصغرى) : Syncellus I,pp.716-17(Bonn).

(٣٨) Ṭabarī,Ta'rikh(Ibrāhīm) II (1961),p.42.

(٣٩) Ibn al[Athīr I.243;Yāqūt II.376.Cf.W.Caskel,Mél. Univ.St.Joseph 45(1969),367-79.

(٤٠) Ṭabarī(above,n.38),p.42 يوجد هذا الجزء من الطبرى لدى نولدكه فى ترجمته الدقيقة له Die Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden (1879; repr. 1973), p.23.

(٤١) J.Ryckmans,"Le texte Sharafaddin,Yamen ,p.44 bas,droite,"Le Muséon 80(1967).508-12 وتتمثل الكلمات القاطعة فى "ولايات فارس وأرض تنوخ – m[l]kty .frs w'rḍ tnḫ

(٤٢) Ṭabarī(above,n.38),p.42 التى ذكر معها فى التاريخ نفسه ،I(1960),p.612 أن التوخيين كان يطلق عليهم"عرب الضاحية" arab al- ḍaḥiyya. استخدم الطبرى اصطلاح الضاحية للإشارة إلى منطقة الحدود ، مثلما استخدم المؤلفون الإغريق والرومان اصطلاح limes أو τό λίμτονς حدود .

(٤٣) عن جذيمة Jadhīma راجع : Ṭabarī(above,n.38)(1960),,p.618-21.

(٤٤) PAES IV.A,no 41 مع تعليق ليتمان E.Littmann الذى يوضح أن النص يمزج بين الكتابة النبطية واليونانية ، فهو يقرأعلى النحو التالى: dnh nfšw fhrw br šly rbw gdymt mlk tnwh-and 'η στήλη αυτη Φερου Σολλεου τροφευσ Γαδιμάθου βασιλευς Θανουηνων.

(٤٥) قامت بإغرائه بالحضور إليه ، ثم قامت بقطع شرايينه حتى يمكنها جمع دمائه في طست ذهبية.لذلك لا عجب في وفاته : Ṭabarī(above,n.38)I(1960),p.621.

(٤٦) Ṭabarī (above,n.38)I(1960),pp.625&627 زنوبيا في اللغة العربية هى الزباء al- Zabbā' (دُوّن اسمها بالتدمرية bt zby فى النقشين التاليين :(CIS II 3947&3971).ومن الغريب رفض تريمنجهام مطابقة الزباء بزنوبيا J. S. Trimingham ,Christianity among the Arabs in Pre- Islamic Times (1979),p. 155,n.66 ، ويتفق التاريخ جيدًا فى ضوء نقش أم الجمال ،كما أن مقارنة شكل الاسم مع الأشكال التدمرية. يبدو منطقيًا . إضافة إلى ذلك فقد ذكر الطبرى بجلاء أن الزباء هى حاكمة فى تدمر tadmūr Cf.I,618, wa-tasīru ilā. وقبل ليتمان (الحاشية ٤٤ أعلاه)هذه المضاهاةمثله فى ذلك مثل أغلب الذين يؤرخون للعرب ":على سبيل المثال فيليب حتى : P. Hitti,History of the Arabs (1970),pp.75-76;Ch.Pellat, Encyclopedia of Islam A.450.

(٤٧) راجع عن غزو مصر Zosimus I.44&50.I, مع مناقشة ميللر (الحاشية رقم ٤٤ أعلاه) ص٩ .وعن اسم كليوباترا راجع HA,Aur.27.3 &Prob.9.5 مع مناقشة شتين "A.Stein Kallinikos von Petrai "Hermes 58 (1923),448-56.

(٤٨) نص(نقش) النمارة يمكن الحصول على حروف نبطية مسجلة بخط جيد وما يقابلها فى الحروف العربية في العمل التالى: J.Cantineau ,Le nabatéen II(1932),p.49. ونشر كل من ديسو ومكلر النقش لأول مرة : J.Dussaud &F.Macler RA 2(1902),409-21.

(٤٩) Ṭabarī(above,n.38),II(1961),p.53 .عن معنى البدء al-bad' ،راجع نولدكة : Nöldeke(above,n.30),p.47,n.I.&p.79.n.1 .ويتضح من الفقرة الموجودة في ص٥٣، الجزء الثانى ، أن الطبرى كان يعتقد -ربما كان على خطأ (راجع الفصل العاشر) أن امرأ القيس كان أول من اعتنق المسيحية من اللخميين.

(٥٠) Philostratus,Vit.Soph.,pp625-27(Olearius).

(٥١) Suda على سبيل المثال كالينيكوس Καλίνικος .راجع شاتين (حاشية رقم ٤٧ أعلاه):أهدى كالينيكوس إلى فيريوس لوبوس Virius Lupus حاكم العربية رسالة "فى التنافس فى علم البيان περι κακοζηλίας ρητορικης".

(٥٢) Suda, على سبيل المثال جينثليوس -Γενέθλιος.وعن إمكانية قيام جينثليوس بنشر الرسالة الأولى في مجموعة رسائلميناندر البلاغية Corpus of Menander Rhetor راجع: N.G.Wi D.A.Russll Wilson (eds),Menander Rhetor(1981),p.226.

(٥٣) عن شخصيات أخرى فى حاشية زنوبيا ، وبالتحديد بول الساموناتى Paul of Samosata، راجع ميللر Miller (الحاشية رقم ٣٧ أعلاه) ويمكن للمرء أن يفكر فى تاريخ الكاتب النبطى الذى كشف بيرنيس J.Berneys النقاب عنه : Bernays "Ein nabataischer Schriftsteller, "Rhm 17 (1862), 304 – 6, reprinted With revison in Ges. Abhandl. II (1885), pp. 291 – 93.

(٥٤) يذكر شاتين(الحاشية رقم ٤٧ أعلاه)أن عمل كالينوس عن الإسكندرية الذى وضع في قائمة سوداقدمه "إلى كليوباترا عن تاريخ الإسكندرية الكتاب السابع προς Κλεοπάτραν περι τ̃ων' κατ' 'Αλεξάνδρειονί 'ιστοριωον βιβλία' ι," أهدى إلى زنوبيا.وعن رسالة فيروس لوبوس راجع الحاشية رقم ٥١ أعلاه .

(٥٥) دمر التدمريون معبد زيوس هامون – tempelum Iovis Hammo[nis dirutum a Pal]myrenis hostibu[s]" راجع:H.Seyrig,Syria 22(1941), 46. راجع أيضًا النص

الذى نشره سيريج فى Syria 31(1954),214-17،الذى يبدو أنه سُجل في حوران وهو خاص بوفاة أشخاص في مصر .ويبدو أنه يعكس عودة بعض قوات زنوبيا من المنطقة بعد فتح مصر .

(٥٦) راجع القصة الطويلة التى ذكرها زوسيموس Zosimus I.50.-59 وأيضًا: Festus 24,Eutropius 9.13.2,&HA,Aurel.22-34 .ومن المستغرب أن أورليوس يكتور لم يذكر أى شيء عن حرب أورليان ضد زنوبيا فى ترجمته لحياة ذلك الإمبراطور .

(٥٧) Septimius Addoudanes:M.Gawlikowski. Syria 48 (1971),413, with Invent. Inscr. Palmyre IX.28.Cf.G.W. Bowersock,"Roman Senators from the Near East ," Acta of the colloquium Epigrafia e ordine senatorio, Register no.24.

الفصل العاشر

ملك العرب

KING OF ALL THE ARABS

عندما دفن امرؤ القيس بن عمرو بن عدى بالقرب من القلعة الرومانية فى النمارة Namara داخل ولاية العربية عام ٣٢٨م، حدثت تغييرات دراماتيكية فى الحكومة الرومانية . وبعد أقل من عقد من القضاء على تدمر استولى قائد موهوب من البلقان على الحكومة الرومانية حاملاً الاسم الإمبراطورى ديقلديانوس Diocletianus ، وقام بتغيير أركان النظام الذى وضعه أغسطس. وأصبحت إمبراطورية ديقليديانوس الجديدة ، تُحكم بواسطة اثنين من الأباطرة الكبار ، واثنين من الأباطرة الأصغر سناً(*) ، وقُسمت الولايات إلى وحدات إدارية أصغر يمكن التحكم فيها بشكل أفضل . وبعد قيام الصراع بين خلفاء ديقلديانوس تمكن قنسطنطين من تولى العرش ، وقام بنقل العاصمة من روما فى إيطاليا إلى روما الجديدة فى بيزنطة Byzantium ، التى سميت باسم القنسطنطينية نسبة إليه . إن هذه التغييرات الجذرية التى حدثت فى الإمبراطورية الرومانية أدت إلى اقتراب مركز السلطة أكثر من الشرق الهللينستى مما أدى إلى خلق ذلك التنوع الثقافى الذى نعرفه اليوم بالبيزنطى .

عَبَر جيلا الملكين اللخميين ، عمرو بن عدى وامرؤ القيس مرحلة التغييرات مع الإمبراطورية الرومانية. إن النقش المدون على مقبرة امرئ القيس على الرغم من مشاكله

(*) قسم ديقلديانوس الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين : شرقى وغربى، يحكم كل قسم إمبراطور يحمل لقب قيصر ، يساعده نائب يحمل لقب أغسطس ، واحتفظ ديقلديانوس لنفسه بالقسم الشرقى الأكثر تحضراً وثقافة وثروة . (المترجمة)

اللغوية يُعد مصدرًا ثمينًا من الطراز الأول ويدل دون شك على مساهمة العرب في استقرار الأوضاع في الشرق الأدنى خلال حكم ديقلديانوس وقنسطنطين . دُون هذا النقش العربي المبكر بحروف نبطية ، كانت في حد ذاتها صورة تبين تخلص العرب من طول اعتمادهم على مختلف اللهجات الآرامية ، مثل (استخدام) النبطية والتدمرية في كتابة الوثائق العامة [1]؛ ويبدأ نقش النمارة بالآتي : "هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ، ملك كل العرب " [2] (*) ، ثم بعد ذلك يقرر أن امرأ القيس ، ارتدى تاج المُلك وحَكم قبائل ومدنًا عربية على طول الطريق حتى جنوب شبه الجزيرة العربية . ثم نقرأ في نهاية النقش الآتي : "لم يسبق لأى ملك أن حقق ما حققه " [3]. ومن المحتمل أن ذلك لم يكن نوعًا من التفاخر . إضافة إلى ذلك فإنه بالنسبة إلى الولاية العربية في أثناء فترات الاضطراب في عصر ديقلديانوس وقنسطنطين عندما ظل التهديد الفارسي خطيرًا كما كان من قبل، فإن صديقًا مثل امرئ القيس كان يمكن أن يمثل أهمية كبيرة. ويمكن القول من خلال تعاون والد امرئ القيس مع قوات أوريليان في إخضاع تدمر أنه كان من المتوقع أن يقف ملك كل العرب إلى جانب الرومان . وفي تأكيد ما إذا كان الأمر كذلك أو على العكس منه ، يبدو أن نقش النمارة ذو أهمية قصوى .

ويوجد في السطر الرابع من هذا النص الصعب إشارة مثيرة للجدل عن الرومان ، يسبقها حرف جر يعني" إلى to " أو "من أجل for " . وقبل ذلك مباشرة يوجد الحروف" ف ، ر ، ش ، و" ، التي يمكن قراءتها على أنها اسم "الفرس" (بانتهاء الكلمة بحرف الواو W المميز للكتابة النبطية) أو على كلمة تعني" الفرسان horsemen " (بنهاية الواو نفسها w للكلمة) [4]. وفي الطبعة الأصلية التي صدرت عام ١٩٠٢ ، اعتقد الناشر الأول لهذا النقش أن امرأ القيس كان يُمد الرومان بالفرسان ، ولكنه غير رأيه في أواخر حياته وقال إن الملك العربي دخل في نوع من العلاقة مع كل من الفرس والرومان[5]. ومن سوء الحظ أن الحل الصحيح للحروف التي سبقت كلمة frsw لا يزال

(*) عن نقش النمارة راجع صـ٢٢٢ من – الكتاب . (المترجمة)

غير واضح ، وعلى أى حال ينبغى التأكيد على عدم وجود حرف جر يعنى "من أجل " for أو "إلى to " قبل الكلمة التى تعنى إما "الفرس "وإما "الفرسان"[٦]. واقتنع مُصنّف معظم المناقشات اللغوية الدقيقة التى دارت حول هذا النص أن الكلمة يمكن أن يقصد بها هنا "الفرسان"فقط [٧]، وتناول متخصص حديث مناقشة الموضوع من زاوية المكان الذى تم فيه دفن أمرئ القيس ، حيث قرر أنه يمكن فقط أن يكون حليفًا للرومان [٨]، إذ كانت النمارة موقعًا لقلعة رومانية وتمثل جزءًا من الدفاع عن العربية ، ولذا لم يكن فى استطاعة أى قائد عربى يوجد قبره فى مثل هذا المكان التفاخر بمساعدة الفرس ، وبناءً على ذلك يمكننا الآن قبول تحالف امرئ القيس مع الحكومة الرومانية على أساس كل من الأدلة اللغوية والطبوجرافية .

نبعت المشكلة الأساسية منذ البداية فى اعتماد الدور الذى لعبه ملك كل العرب من شهادة الطبرى فى تاريخه ؛ إذ قام الطبرى كما سبق ورأينا بالإشارة عدة مرات إلى امرئ القيس بن عمرو بن عدى ، وفى إحدى الفقرات قال عنه إن ذلك الملك يمثل أول سلسلة أتباع اللخميين لدى الفرس الذى اعتنق المسيحية [٩]، وهذه الملاحظة تُعد مفاجأة إلى حد كبير ليس فقط بالنسبة لادعائه بأن امرؤ القيس كان حليفًا للفرس ، ولكن أيضًا لعدم وجود أى إشارة على النقش تشير إلى أنه كان مسيحيًا ، كذلك لا يوجد أى إشارة رمزية تدل على وجود أى تعاطف مع المسيحية فى القبر نفسه، فإذا كان الطبرى قد أخطأ فى الاعتقاد بأن امرأ القيس كان مواليًا للفرس ، فمن المحتمل تمامًا أن يكون الوضع بالمثل بخصوص مسيحيته .

فى الواقع أنه من الممكن رؤية كيف وقع الطبرى فى الخطأ ؛ إذ كان يوجد فى النصف الثانى من القرن الرابع حاكم لخمى آخر يسمى امرأ القيس، ويبدو أن الطبرى خلط بين تاريخ ذلك الملك وسميُّه السابق عليه ، فعندما قَدم الطبرى امرأ القيس خلال روايته ، كان يسميه امرأ القيس البدء "al -bad" [٩] . وسبق شرحها بأنها تعنى "الأول"، ثم ذكر الطبرى بعد ذلك مباشرة أن امرأ القيس أول وكيل للفرس يصبح مسيحيًا [١٠]. من هنا يبدو أنه فهم ، كما فعل كتاب آخرون فيما بعد أن البدء تعنى

"الأول "، ولكن أصبح من الواضح أنه وقع فى خطأ إلحاق ذلك بالملك الذى عاش فى أوائل القرن الرابع عندما عاد وتناول تاريخ اللخميين فى أواخر القرن الرابع . فهو قد قدم امرأ القيس الثانى على أنه "البدء" أيضاً؛ وفى الوقت نفسه قام بإعطاء النسب لتلك الشخصية؛ وعند إشارته عن نسب الشخص الأخير ذكر اسم سلفه المتجانس امرأ القيس بدون "البدء" (١١). وحيث إن كلمة البدء لا تنطبق إلا على حاكم واحد ، يبدو أنه من الأفضل قبول الارتباط بين امرئ القيس الثانى وأنه كان أول مسيحى لخمى.

فى النصف الثانى من القرن الرابع لم يكن تحول ولاء اللخميين فى الحيرة للفرس، أو التحول إلى المسيحية يتسببان فى أى مشكلة تاريخية . كما كان ينطبق الوضع نفسه على أيام الملكة ماڤيا Mavia التى كانت أشهر عربية اعتنقت المسيحية فى عهد الإمبراطور ڤالنز Valens (١٢) . أما بخصوص انتشار المسيحية فى ولاية العربية فقد كان أمراً معروفًا فى زمن يوزيبيوس Eusebius الذى أثار الانتباه إليها (١٣) – لذلك تظل إمكانية اعتناق امرئ القيس المسيحية قائمة ، لأن اعتراف الطبرى له عمق أكبر من مجرد خطأ فى وضع الكُنية ، بمعنى آخر يمكن أن يكون واحداً منهما مسيحيًا والآخر كان وكيلاً للفرس ، ولكننا فى ضوء الدليل الذى لدينا الآن ، يبدو أنه من الأفضل القول إن الطبرى قام بذكر التحول إلى المسيحية التى قام بها الثانى ونسبه إلى الأول .

هكذا يبرز ملك كل العرب محترماً ومخلصًا خلفًا لوالده على الجانب الرومانى . ومع وجود اللخميين الذين ارتكزت قاعدتهم فى الحيرة بالقرب من الفرات فى الجنوب ، ووجود قبر ملكهم فى النمارة فى الشمال ، يضاف إلى ذلك إشارات فى نقشه إلى السيطرة على منطقة بعيدة وكبيرة فى مساحتها فى شبه الجزيرة العربية مثل مَعد Maadd ونجران Najran ، فإن هذا المدى الغريب للنفوذ يمكن تقبله ، ففى شبه الجزيرة العربية يمتد هذا النفوذ بعيداً فيما وراء حدود مملكة الأنباط القديمة والولاية العربية . فإلى الشرق سيطر اللخميون على الصحراء ما بين شبكة الطرق الخاصة بالدفاعات الرومانية lines والفرات ، أى أنهم لم يتخذوا دور التدمريين فقط وإنما توسعوا فيه . على الرغم من أن تواريخ الطبرى لسنين حكم الملوك اللخميين الأوائل معروفة بعدم

دقتها وبتناقضها مع بعضها ، فإنه يبدو أنه من المحتمل أن عمرو بن عدى توفى حوالى نهاية القرن الثالث[١٤]، وإذا كان امرؤ القيس تولى الملك فى التاريخ نفسه، فلابد أنه لعب دوراً حاسماً فى المعارك الهامة ضد الفرس التى شغلت كلا من ديقلديانوس وجاليريوس Galerius فى مراحل متعددة فى الفترة بين ٢٩٥-٢٩٩ ، وعلى وجه التحديد عندما شن جاليريوس هجومه الناجح على الفرس عام ٢٩٨ ، فإنه واصل السير على طول الطريق حتى المدائن Ctesiphon ، ثم قفل راجعاً بعد ذلك إلى الفرات Euphrates [١٥]. إن مثل هذا الطريق كان يُقربه جداً من عاصمة اللخميين فى الحيرة ، ويبدو أنه ما كان يمكنه قط تحقيق هذا العمل بدون الدعم النشط من قِبَل القوات العربية على الجانب الغربى للنهر ، وحيث إن حلَّ القضية الفارسية كان له مغزى رئيسى فى تحقيق استقرار الأوضاع منذ عهد الحكم الرباعى Tetrarchy ، فإن التقارب بين امرئ القيس والحكومة الرومانية تنامى امتداداً للتعاون بين الرومان والعرب الذى كان قائماً فى السنوات الأخيرة من القرن الثالث .

بعد انتهاء الحروب الفارسية فى تلك الفترة مباشرة، أصبح فى إمكان ديقلديانوس أن يُكرس نفسه مباشرة لإعادة تنظيم الولايات الشرقية من الناحية الإدارية . ولم يحُلَّ عام ٣١٤ - وليس بعد ذلك - إلا وكان تم اقتطاع الجزء الأدنى من ولاية تراجان العربية ، جنوبى وادى الحَسا Hasa من الشمال بعاصمته بُصرى . أما ذلك الجزء الجنوبى الذى كان يضُم البتراء والنقب وربما مدن الحجاز فقد أصبح يُكون جزءاً من فلسطين ، ومن أجل ذلك ضُم إلى الولايات الواقعة على الضفة الغربية للأردن . وصرَح يوزيبيوس فى أعماله المؤرخة فى الفترة بين عامى٣١١-٣١٣ أن حاكم فلسطين حكم على مسيحيين بالأشغال الشاقة فى مناجم النحاس فى فاينو Phaeno فى "فلسطين"[١٦]. ويمثل هذا المكان الذى يقع جنوب البحر الميت بالتأكيد جزءاً من ولاية العربية القديمة ، ولكن ثَبُتَ أنه كان جزءاً من فلسطين ، على الأقل فى الوقت الذى كان يكتب فيه يوزيبيوس . أما الجزء الجنوبى بأكمله على جانبى وادى عربة فإنه آل إلى العربية ،وعُرف باسم فلسطين الثالثة Palastina Tertia عند منتصف القرن الرابع[١٧]. أما الولاية التى بُترت فى الشمال والتى احتفظت باسم العربية ، فيبدو أنها احتفظت بالحدود الشمالية التى سبق ورأينا سبتيميوس سيڤيروس يمنحها لها [١٨].

تدل التعديلات التى قام بها ديقلديانوس للولاية العربية على فهم غير عادى لاحتياجات الإقليم الجغرافية . فقد كانت بُصرى والمدن الشمالية لجيرسا Gerasa ، وفيلاديلفيا Pheladelphia وأذرع Adraa ، بمثابة حلقة وصل طبيعية إلى طرق دمشق والممرات الداخلية إلى وادى سرحان . وعلى العكس من ذلك كان الجزء الجنوبى بمدينته الرئيسية البتراء يقع فى الداخل ، وكان ارتباط أيلة التى تقع على رأس خليج العقبة الطبيعى أكثر بالطريق الذى يعبُر وادى عربة ، وعَبْر النقب إلى البحر المتوسط بالقرب من غزة أو رينوكلورا Rhinocolura . أما الخط الطولى الشمالى الجنوبى لطريق الملوك السريع من دمشق إلى العقبة ، فكان يمثل طريقًا متقاطعًا لخدمة المواصلات فى الفترة السابقة عندما انتقل الحكم فى الضفة الغربية للأردن إلى حكم حليف مثلما كان أيام الأنباط ، وفيما بعد خلال فترة الاضطرابات التى حدثت بين اليهود ، أما الآن فيبدو أن ديقلديانوس اعترف بالالتحام الجغرافى بين القطاعين الشرقى والغربى أسفل البحر الميت ، وهو ذلك الالتحام الجغرافى الذى كان واضحًا عشية ضم الولاية ، عندما استقرت عائلة باباثا وأصدقاؤها المقيمون فى زوأر Zoar . لذلك قام ديقلديانوس باتخاذ إجراء قوى لتحصين النصف الجنوبى لولاية العربية السابقة بتخصيص فرقة عسكرية كاملة لها للمرة الأولى ، بالإضافة إلى الفرقة الأخرى التى كانت موجودة فى الشمال . وكانت هذه الفرقة الجنوبية هى فرقة مارتيا الرابعة Fourth Martia ، ومن المحتمل أنها كانت ترابط فى المعسكر عند الليجون بالقرب من الكرك الحديثة [١٩]. ومن خلال الأدلة المستمدة من الحفائر الحالية فى هذا الموقع ، نعرف أن هذا المعسكر تم إنشاؤه فى مرحلة ما خلال فترة الحكم الرباعى ، ويبدو أنه كان هو المكان الواضح لقاعدة فرقة ماريتا الرابعة بعد ذلك . وبناءً على ذلك فإن اسم الليجون القديم بيتثورو Betthoro أصبح اسم معسكر الفرقة كما ذُكر فى – كتاب – المراتب التشريفية Notatia Dignitatum [٢٠] .

كما تم تحصين الجنوب وإعادة تنظيمه ، حدث الشىء نفسه مع القسم الشمالى من ولاية العربية القديمة ، ويمكن أن نميز مجموعة من المنشآت الخاصة بتلك الفترة فى

الأزرق ومناطق محيطة بها كانت ضرورية لحماية وادى سرحان [٢١]. سار ديقلديانوس فى تقوية استحكامات هذه المنطقة على السياسة التى وضعها سبتيميوس سيڤيروس منذ مائة عام من قبل . كذلك قام بتوسيع حلقات الاتصالات بين ولاية العربية والولايات السورية فى الشمال بمد طريقه الجديد إلى حدود سوريا "طريق ديقلديانوس Strata Diocletiana " حتى الأزرق على طول الطريق الذى يمتد شرق طريق دمشق القديم ، وتوضح النقوش أنه كان يمر خلال بلدة صَعن Sa'ane على المنحدر الشرقى لجبل الدروز [٢٢]، وكان إنشاء التحصين ، والاتصال ، وإعادة التنظيم الإدارى هى العلامات البارزة لسياسة ديقلديانوس فى العربية وغيرها .

إن تجزئة العربية إلى ولاية جديدة وصغيرة بالاسم نفسه ، وتوسيع رقعة فلسطين فى اتجاه الجنوب كثيراً ماتم النظر إليها على أنها تمثل فكراً غريباً فيما يسمى بقائمة ڤيرونا Verona List ، وفى هذا السجل الخاص بالولايات فى القرن الرابع والممتلئ بالمشاكل يظهر فيه تتابع الولايات التالية : مصر جوڤيان ومصر هراكليس والعربية وعربية أغسطس اللبنانية Aegyptus Iovia, Aegyptus Herclea, Arabia, item Arabia Augusta Libanensis . إن وجود ولايتى جوڤيان وهيراكليس المصريتين يؤكد تاريخاً ليس قبل ٣١٤ ، كما أنه فى تاريخ معاصر لظهور هاتين الولايتين كان هناك ولايتان عربيتيان ، وهما (العربية والعربية Arabia item Arabia)[٢٣] ، وهناك محاولة مستميتة استمرت لفترة طويلة تقول إن العربية الثانية هى الجزء الثانى من ولاية العربية القديمة قبل تحويلها لتصبح جزءاً من فلسطين ، وبعد اقتطاعها من الشمال . ولكن هذا التفسير يبدو متعارضاً مع الدليل الخاص بيوزيبيوس الذى يرجع إلى ما قبل عام ٣١٤ ، والذى يدل على أن الجزء الجنوبى كان قد تم اعتباره فلسطين . لقد أصبح حل هذه المشكلة ممكناً بعد ظهور بردية جديدة من البهنسا Oxyrhinchus [٢٤] . النص الجديد عبارة عن خطاب أُرسل إلى حاكم هيراكليس المصرية Aegyptus Heracula، واسم الحاكم أوريليوس أنطونيوس Aurelius Antonius معروف لنا ، ونعلم أنه كان يشغل منصبه فى الفترة من ٣١٥- ٣١٦ [٢٥]. أما مُقدم

الخطاب (الالتماس) فكان أُمِّيًا ويحمل اسمًا عربيًا هو أوريليوس مالخوس Aurelius Malchus لذلك اضُطر إلى أن يستأجر كاتبًا ليكتب له ، وأشار فى البداية أنه جاء من منطقة إليوثيروبوليس Eleutheropolis فى "العربية الجديدة Νεα – Αραβεια ويُعد هذا كشفًا جديداً ومثيراً . فلم نسمع من قبل عن ولاية تسمى العربية الجديدة أو ربما أغلب الظن Arabia Nova ، وعند إلقاء النظرة الأولى على البردية كانت تبدو مُتضاربة؛ لأن المدينة المشهورة التى تسمى إليوثيروبوليس تقع فى فلسطين بالقرب من أورشليم ، وفى حوالى عام ٣١٥ أصبح كل أنحاء المنطقة التى تقع جنوبها باتجاه النقب يكوّن جزءًا من فلسطين الجديدة التى تم توسيع رقعتها ، كذلك لم يتضح بجلاء لماذا قام مالخوس بتقديم شكواه إلى حاكم هيراكليس المصرية. وعندما قدم مالخوس قضيته أشار إلى شخص مَدين تخلف عن الحضور يُدعى سايباس Saeibas ، من سكينوس التى تقع فى جيروس 'απὸ Σκηνων των 'εκτὸς Γέρρους وهناك طرف ثالث فى القضية يتمثل فى المرابى غليظ القلب الذى يحمل اسمًا إغريقيًا، وكان رجلاً من بوباستيس Boubastis (تل بسطه الحديثة جزء من مدينة الزقازيق شرق الدلتا). إن هذه التفاصيل لاتترك مجالاً للشك أن مصر نفسها كانت هى مكان المشكلة؛ فلابد أن موقع هيراكليس كان بالقرب من بوباستيس ، وليس بعيداً جداً عند بلوزيوم Pelusium (الفرما)، حيث كانت توجد مضارب البدو خارج جرهون Gerrhon (٢٦) ، لقد كان يوجد فى هذه المنطقة بالتحديد إقليم مصرى يُسمى العربية Arabia ، وعلى ذلك يمكن القول إن هذه المنطقة هى موطن مالخوس الذى كان يكتب إلى حاكم هيراكليس المصرية بسبب الخلاف الذى أبداه أحد أفراد المنطقة التى كانت تدخل فى إطار اختصاصه ، ومن الواضح أنه إذا كان مالخوس يعيش فى ولاية العربية المصرية فينبغى أن يكون هناك وجود لمدينة إليوثيروبوليس فيها . هناك شىء وحيد مؤكد ، ذلك أن إليوثيروبوليس القريبة من أورشليم ، وحتى مع منطقة واسعة حولها ، كانت تقع بعيداً خارج حدود ولاية العربية القديمة والولاية التى خلفتها. وكانت تابعة لولاية فلسطين الأولى Palaestina Prima.

من هنا يبدو واضحًا ارتقاء إقليم (nome) العربية إلى مرتبة ولاية Status عندما تم إنشاء ولايتين فى مصر، وبسبب وجود ولاية أخرى تسمى باسم العربية ، أصبح من

الواضح ضرورة تمييز الولاية الثانية المذكورة بإضافة صفة الجديدة nova (*) إليها. إن ولاية العربية الثانية المذكورة فى قائمة ڤيرونا يجب أن تكون هى العربية الجديدة، ويتفق تاريخ هذا الدليل الآن مع تاريخ ولايتى جوڤيان وهيراكليس فى مصر. ويبدو الآن أن مشكلة ولاية العربية الثانية فى طريقها إلى الحل بعد حلّ ولاية العربية القديمة، وموت امرئ القيس حليف ديقلديانوس؛ إذ وضعت النهاية لتاريخ ولاية العربية الرومانية. ولكن بدأ الآن تاريخ ثرىّ متنوع، ذلك هو تاريخ ولاية العربية البيزنطية. وعقب ثلاث سنوات من دفن امرئ القيس فى النمارة، قام قنسطنطين بنقل عاصمة العالم الرومانى. وفى بيزنطة Byzantium، التى أصبحت القسطنطينية الآن، والتى احتُفل بها كروما جديدة، ازدهرت التقاليد الهللينية لما يقرب من ألف عام. وفى ظل الإدارة الجديدة تزايدت أهمية الدور الذى لعبه العرب فى الإدارة البيزنطية للشرق الأدنى. كان امرؤ القيس يمثل إرهاصةً لما هو قادم. وإذا كان خلفاؤه سوف يقومون باتخاذ جانب الفرس وترك التحالف مع الرومان الأمر الذى أدى إلى خلط المعلومات لدى الطبرى، كان هناك آخرون يمكنهم القيام بملء الفجوة التى تركها فى العلاقات مع الحكومة الإمبراطورية المركزية، ولم يكن من الممكن الحفاظ على الولايات الشرقية دون التعاون مع العرب. لقد عمل فى الماضى بومبى، وأغسطس، وتراجان، وسبتيميوس سيڤيروس، وديقلديانوس على الاضطلاع بهذه المهمة، وتثبيت حكمهم عندما لم يعد هناك مجال لتطبيقها، ثم قام العرب فى القرن السابع تحت لواء الإسلام بإنشاء أمة مستقلة وقوية، يكثر فيها الصراع الداخلى ولكنها تقف صفًا واحدًا فى الجهاد الدينى، لذا أصبح أتباع بيزنطة هم الآن منافسوها.

(*) كانت الحدود مفتوحة بين مصر وفلسطين عبر العصور وحتى نهاية الدولة العثمانية فى العصر الحديث، لذلك تداخلت العلاقات بين المقيمين على الحدود، خاصةً إذا وضعنا فى اعتبارنا تعود الأنباط على الوصول إلى المنطقة وبالقرب منها لحمل متاجرهم عبرها والعمل فى مناجمها بعد ازدياد ضغط الرومان عليهم فى بلادهم عندما بدأت شمس دولتهم فى المغيب. وترتيبًا على ذلك فمن طبيعة الأمور عند وقوع الخلاف أن تقدم الشكوى ضد المشكو فى حقه إلى حاكم منطقته. وإذا كان وجود ولايتى جوفيان وهيراكليس المصريتين يؤكد تاريخًا ليس قبل عام ٣١٤م، وهو تاريخ معاصر لظهور ولايتى العربية: العربية والعربية اللبنانية طبقًا لقائمة فيرونا، يكون المقصود بولاية العربية فى بردية البهنسا هى ولاية العربية اللبنانية على اعتبار أنها الولاية الجديدة، وليست ولاية ثالثة اقتطعت من سيناء لتكون إقليمًا جديدًا قائمًا بذاته، لم يسبق له الظهور فى أى من المصادر البردية أو غيرها. (المترجمة)

مصادر الفصل العاشر

(١) تمت دراسة النقش بصفة شاملة فى السنوات المعاصرة W. Caskel,"Die Inschrift von En- Nemara: nue gesehen ,"Mel.univ.St.Joseph 45 (1969). 367- 69: G.W. the Ruwwāfa Bowerso-ck,"The Inscription at el-Nemāra,"in an article on the Ruwwafa inscriptions,Le Monde grec:Hommages à Claire Préaux (1975),pp.520-22 :F.E.P eters, "Romans and Bedouin in South Syria," Journ .Near Eastern Studies 37 (1978),324-26:A.F.L. Beeston ,"Nemara and Faw,"BSOAS 42(1979), 1-6; I.Shahid,"Philological Ob-servations on the Namara Inscription,"JSS 24 (1979),33-42;H.I. MacAdam,"The Nemara Inscriptio-n:Some Historical Considerations,"Al- abhāth 28,(19-80),3016; M.Sartre, Trois études sur l'Arabie romaine et Byzantine (1982),pp.136-39.

(٢) والنقش فى حروفه النبطية على النحو الآتى ty nfš mr 'lqyš br mrw 'mlk 'l 'rb klh:R.Dussaud& F.Macler,RA 2(1902 .409-21أو راجع ببساطة شكل الحروف فى J. Cantineau,le nabatéen II (1932),p.49 :

(٣) flm ybl'mlk mbl 'h:bl' والعبارة تمثل البلاغةbalagha العربية ، وعلى هذا النمط يبلغ yablugh ،ومُبلغه mablaghahu .

(٤) wwklhn fršw lrwm.

(٥) R. Dessaud, La pénétration des arabes en Syrie avant l'Islam (1955),p.64.

(٦) ناقشت الفكرة(فى الحاشية رقم ١ أعلاه) وأيدت أن تكون "الفرس" واقترحت أن حرف(النون) الموجود قبل كلمة فرس يقرأ على أنه حرف (اللام)، حيث إن الشكل واحد تقريبًا ، وأن حرف (الواو) بعد كلمة فرس frs ينبغى فهمه على أنه أداة الوصل(واو)قبل كلمة الرومlrwm لكن تومرG.J. Toomer أوضح لى أن hā(الهاء) فى كلمة (وكلهن wwklhn)ليست لها صيغة نهاية الحرف النبطى ،كما كان يتوقع المرء أن تكون إذا قرئت على أنها وكيل الفرس والروم wwklh lfrš wlrum . عن كلمة (وكلهن wwklhn) راجع الاقتراحات الذكية التى ذكرها شهيدShahid (فى الحاشية رقم ٥ أعلاه).

(٧) Shahīd(above ,n.1),40,n.1.

(٨) MacAdam (above,n.1),8-14.

(٩) النص الأول الذى ذكر أن امرأ القيس كان مسيحيًا هو الطبرى ،الذى ذكر "وهو أول من تنصر من ملوك النصارى العرب وأول عمال ملوك الفرس =

Wa-huwa awwal man tanaṣṣara min mulūk āl-nasr-b.rabi ʿawal'ummā mulūklal-furs". Ṭabari,Ta'rikh (Ibrāhīm)II(1961),p.53.see also pp.61-62&65.

(١٠) Ṭabari(above,n.9)II(1961,p.53.Cf.above,p.134,n.49

(١١) Tabari(above,n.9)II(1961),p.65. عندما قام بتعداد أسلاف امرىء القيس فى المرة الثانية. وكان ماك آدم MacAdam(above,n.1)7 ،أول من أشار إلى احتمال خلط الطبرى بين الحاكمين اللذين يحملان الاسم نفسه ، ولكنه لم يناقش مشكلة البدء al bad' بمعنى "أول"ومسيحية أول عمالummāl' الفرس .

(١٢) راجع: G.W.Bowerscok,"Mavia,Queen of Saracens, Studien zur antiken Sozialgeschichte:Festschrift für F.Vittinghoff(1980),pp477-95. قدم عرفان شهيد تقريرًا مهمًا عن الملكة مافيا فى كتابه عن بيزنطة والعرب ،استفدت منه كثيرًا في فترة مبكرة من عملى .

(١٣) Eusebius,Comm.on Isaiah,with references to 42.1 PG 24. 392, p.273 (Ziegler). (كنائس البتراء وحتى بين بدو الصحراء

'εν ταις έρήμοις δε των Σαρακηνων καθ' ήμας α'υτους ίδρυμένων.

(١٤) Ṭabarī(above,n.9)I(1960),p.627،حيث سجل الطبرى أن امرأ القيس خلف جذيمة وأنه عاش ١٢٠ عامًا –وهو أمر بعيد عن الاحتمال –ويبدو أن أحد النسابين المبكرين ،مثل الكلبى قد اختلط عليه الأمر هو الآخر وذكر أن امرأ القيس الذى خلف عمرو اللخمى الذى حمل الاسم نفسه عاش مدة طويلة .وقدر الطبرى عمر امرئ القيس الأول ب١١٤ عامًا ، وربما نتج ذلك بسبب الالتباس الذى ورد عند الكلبى .

(١٥) راجع: T.D.Barnes,The New Empire of Diocletian and Constantine (1982),p.63 . وذكر لى جراف أن هناك نقشًا لاتينيًا مهملاً عثر عليه على بعد ثلاثين ميلاً إلى الشرق من المفرق Mafraq فى شمال الأردن (QDAP 10[1944],62) ربما يوضح حالة عدم استقرار الأوضاع على الحدود بعد موت امرئ القيس حيث سُجل عليه كمين للبدوSaracens عام ٣٣٤م .

(١٦) Eusebius ,Mart.Pal.7.2.،عن حالتى الارتداد الدينى راجع : Barnes (above,n.15), p.205

(١٧) K.C.Gutwein,Third Palestine :A Regional Study In Byzantine Urbanization (1981).

(١٨) راجع الفصل الثامن ومناقشة سارتر فى الحاشية رقم ١،ص٥٤-٧٠.

(١٩) M.Speidel,ANRW II.8(1977),699.

(٢٠) Not.Dig.37.22 .وعن احتمال بناء قوة عسكرية وسط العربية فى أثناء الحكم الرباعى راجع S.T.Parker,"Towads the Limes Arabicus,"Roman a History of : Frontier Studies 1979,BAR International Series 71(1980),865-78, together with the observations above ,p.105,n.44.

(٢١) عن دير الكهف: PAES III. A, no.228.أم القطين PAES. III.A,nos.205-206. Cf. G.W. Bowersock,HSCP 80 (1976) ,223.For Azraq,see now Kennedy, Arch- Explor(1982) ,p.75 عن النص الذى راجعته ونشرته فى: JRS 61 (1971), 241، راجع:Kenndy,p90,no.13، وعن دير الكهف راجع كينيدى ص٢٩٩.

(٢٢) R. Mouterde, Mél. Univ. St. Joseph 15(1930), 219. Cf. M. Malavolta, "Interiores Limites,"Ottava miscellanea greca e romana(1982),587-610;Sartre(above,n.1),p.133.

(٢٣) عن قائمة فيرونا الأخرى Laterculus Veronensis ،راجع: Barnes (above, n.15), p.202 ..وغير سارتر فى68-69 (above, n.1) pp. ، رأيه السابق فى مُدخلات قائمة فيرونا واتفق مع رأى أولت A.Alt فى الفصل بين لبنان الأوغسطية Augusta Libanensis وبين العربية الثانية في القائمة:ZDPV 71(1955),173.

(٢٤) أشعر بامتنان كبير لجون رى John Rea لاطلاعى على نص البردية قبل نشرها,وهى وثيقة البهنسا الخاصة بجرد البضائع 4B.48/G(6-7)a no. .وسنحت لى الفرصة لتقديم وجهة نظرى شفويًا إلى بارنيس T.D.Barnes، الذى تفضل مشكورًا بضمه إلى كتابه (above,n.15),pp.204-5&213-14 بعد أن أطلعنى على ذلك .

(٢٥) Pap.Oxy.896&2114;Pap.Isid.74;&Pap. Mert.2.91 (Karanis).

(٢٦) عن جيرهون Gerrhon(أحيانًا جرها Gerrha) راجع Ptolemy .Geog.4.5.11;also Strabo I.3.4,C 50;16.2.3,C 760عندما قام سيكفى بطبع كتاب الوظائف الشرفية لاحظ

عبارة" جيراسا خارج سيناء -Scenas extra Gerasa "وهو يشير إلى الخيام التى تقع بالقرب من جيرهون المصرية .ومن الواضح أن البردية الجديدة تطلق الاسم نفسه على خيام القرية .راجع:Seeck,Not.Dig. 28.29.

الملاحق

ملحق رقم (١)

نقش براقش الجديد المدون بلغتين

THE NEW BILINGUAL INSCRIPTION FROM BARAQISH

فى قلب الحضارة المعينية ، وعلى مرتفع يتحكم فى منظر عريض للسهل المعروف بجوف اليمن ، تقع البقايا الظاهرة لمستوطنة قديمة . ويعرف المكان اليوم باسم بَراقش ، وتُثْبت النقوش أنها كانت تسمى يتل YTL فى عصر ما قبل الإسلام . ويمكن حل مشكلة الاسم على أنه ياثيل Yathil ، على الرغم من إمكانية وجود حلول أخرى توصل إليها مؤخراً فون ڤيسمان H. von Wissmann [١] . وسجل أحمد فخرى حائط المدينة القوى الكبير الذى لا تزال أجزاء مهمة باقية منه [٢]، وتدل على أن الموقع لم يكن ملائماً لكى يخدم كقلعة فقط بل إنه كان قلعة بالفعل. ولم يتم بعد إجراء حفائر أثرية مُنظمة فى هذه المنطقة ؛ وحاول قسم العاديات فى صَنعاء San'a ، منذ إنشاء المتحف القومى عام ١٩٧٣ القيام بتشجيع الحفارين الذين يقومون بالحفر فى الخفاء على بيع أو إهداء ما يتم العثور عليه إلى المتحف . وقام باولو كوستا Paolo Costa حديثًا بنشر نقش له أهمية كبيرة سبق أن قام ببيعه رجال قبيلة بنو أشراف Banu Ashraf قيل إنه تم الحصول عليه من جبانة بالقرب من براقش [٣]. دُون النقش بكل من اللغتين اليونانية واللاتينية ، وهو الأول من نوعه الذى يظهر فى جنوب غرب العربية ، وتدفع السمات غير العادية للنقش المرء إلى محاولة البحث عن تفسير تاريخى لوجوده فى إقليم يبعد كثيراً عن إقامة الإغريق والرومان .

يثير النص حيرة المرء ويخدعه ، ولكن يتضح منه على الأقل أن تدوين محتواه جاء بلغتين على النحو التالى :

(باللغة اللاتينية) : ١ – [ن.] كورنى [ليوس . . . . . .]

٢ – فارس. [ن . . . .]

(باللغة اليونانية) : ٣ – بوبليس كورن [يليوس . . .]

1- [p.]CORNE[LIVS...]

2- EQVES. N[............]

3- ΠΟΥΒΛΙΣ ΚΟΡΝ [ΗΜΙΟΣ——]

تأكد ترميم الاسم الأول المدون باللغة اللاتينية عن طريق السطر المُدون باللغة اليونانية . أما الحرف الموجود بعد النقطة فى السطر الثانى فيمكن أن يكون حرف النون أو الميم ، وحقيقة لا يوجد طريقة يمكن أن تُساعدنا فى اتخاذ قرار فى ذلك الموضوع. اقترح كوستا أنها إما تعنى "عدداً" n[umeri] أو مراكشى M[aurus] وكلاهما لا يمكن الدفاع عنه ، لأنهما بعيدان عن الاحتمال . ويمكن أن يكون أمة N[atione] أو N[at.-] يتبعها الإشارة إلى الأصل [٤]. وليس أكثر من ذلك . ولاحظ كوستا وكانت ملاحظته صحيحة أنه لا يمكن أن يكون المقصود بكلمة فارس eques ، أنه فارس من طبقة الفرسان، والذى من المفترض فى هذه الحالة توضيح الوظائف التى كان يشغلها، ولكنها تعنى هنا- ببساطة فارس . ويبدو أن النص اليونانى كان يتضمن الكلمة المساوية لها مثل "ιππευς" كذلك يبدو من طريقة توزيع الكلمات فى الأسطر الثلاث الأولى، أن الاصطلاح اليونانى المساوى لها هو الكلمة الأولى فى السطر الرابع.

نظراً لوجود مسافة أكبر بين السطرين الثانى والثالث من تلك الموجودة بين السطرين الأول والثانى، فمن الواضح أن النص كان مكوناً من جزءين، تم الفصل بينهما بوضوح : نص باللاتينية ، ونص باليونانية – وأن كل جزء منهما يتكون من سطرين .

ومن الصعب القول بدقة بمدى امتداد السطور إلى الجانب الأيمن ؛ ولكن لما كانت كلمة فارس eques توجـد بطبيعة الحال بعـد الاسـم ، لذلك يُفترض أن السطر الأول لكل مـن الجزء اللاتيني واليوناني لم يكن أكثر من بقية اسم gentilicum كورنيليوس ولقبه أو كنيته cognomen أو كليهما. إن وجـود الكلمة التى تبدأ بحرف " ن-N " أو حرف "م-M" تؤكد أن السطر الأول فى أى حالة منهما كان يتجه أكثر من الاسم gentilicum ويمكن بوجه عام أن نضع بثقة تصوُّراً معتدلاً لشكل النقش وحجمه: أنه كان يتكون من جزءين، يحتوى كل جزء منهما على سطرين ، أقيم لتكريم اسم ومنصب لشخص يدعى بوبيليوس كورنيليوس P. Cornelius .

من الواضح أنه نص بسيط، يشير إلى مجتمع من الأفراد كانت اللغتان الإغريقية واللاتينية هي السائدة بينهم بدرجة أكبر أو أقل . واعتقد كوستا أن الحجر هو حجر تم إهداؤه أكثر من كونه حجراً جنائزياً ، ولكنه لم يناقش هذا الافتراض ، وعلى العكس من ذلك ، فالاحتمال الأكبر أنه شاهد قبر أكثر من كونه أى شىء آخر . (وبطبيعة الحال فإن حقيقة العثور عليه فى جبانة ، حيث أعاد الوطنيون دون شك استخدامه فى فترة تالية ليس لها ارتباط بالموضوع)، وكان رأى كوستا صحيحاً فى أن الحجر الذى ظهر دون كتابة لم يكن قاعدة تمثال ، ولكن ربما كان ضمن مبنى جنائزى . ويمكن أن نفترض أن النص الموجز أضيف إليه قدر حجمه حيث يمكننا أن نستكمل السطر الثانى فى كلا النصين ، فبعد حرف (ن أو م) المبهم فى اللغة اللاتينية يمكن استكماله على النحـو التـالى "هنا يكون مـوضـعـه h(ic) s(itus) e(st) والمعنى نفسـه فى النص اليـونانى على هذا النحـو 'ἐνθαδε κεῖται' ؛ وحيث إن طول السطر لا يمكن أن يكون شكله الكلى أطول من اسم (ب . كورنيليوس P. Cornelius) مع إضافة اسم العائلة واللقب إليه على أكثر تقدير ، فإن صيغة جنائزية تفرضُ نفسها فوق أى شىء آخر ، لعدم وجود مكان إلا لعدد قليل فقط من الكلمات أو للاختصارات المتباعدة .

لا نستطيع أن نصل إلى رأى نهائى عن تاريخ الحجر من شكل كتابة الحروف التى تظهر عليه، ولاشك فى أن القيام بتأريخ نص من خلال شكل الحروف يُعد مغامرة،

حتى لو كان هناك عدد كبير من النصوص التى يمكن من خلالها عقد المقارنة بينها .
لقد اختلفت الخطوط وأشكالها فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، وفى المناطق البعيدة لا يوجد لدينا وسائل كافية لمقارنة أشكال الخطوط . إن إمكانية اتساع الاحتمالات فى المكان الواحد كانت معروفة جيداً فى عقود عديدة واحدة كما أوضحها برادفورد ويلز Bradford Welles فى دراسته الفريدة عن النقوش فى المجلد الخاص عن جيراسا Gerasa الذى أعده كرايلنج G. H. Kraeling ، ولاحظ ويلز أن العدد الأكبر فى نقوش جيراسا التى دونت باللغة اليونانية تسمح بمحاولة أولية لتصنيفها إلى عدة طُرز (٥)، ولكنه امتنع عن القيام بمثل هذا العمل فى النصوص اللاتينية لعدم وجود عدد كاف منها خاص بجيراسا وحدها. ولاحظ كوستا بحق أن حرفى (O و Q) تم رسمهما بشكل بيضاوى ، وأن حرف (E) كانت أجزاؤه الأفقية تُكتب بشكل قصير ، وأن حرف (V) كان له زاوية واسعة غير عادية. ويبدو أنه لاحظ أيضًا أن الإغريق استخدموا حرف السين القمرى وحرف الكاف بفواصل جانبية قصيرة، تبدو فيه القاعدة قريبة من الشكل الأفقى ، وألحق كوستا مقالته بصورة فوتوجرافية ، أُحيل القارئ إليها هنا فى الصورة رقم (١٣). لذلك لايمكن افتراض تأريخ أشكال هذه الحروف عندما لاتوجد نقوش أخرى من ذلك الجزء من العالم نفسه الذى يمكن مقارنته بها .

اختار كوستا فى النهاية تأريخ النص على أساس تهجى الحروف اليونانية لاسم بوبيليوس ، وناقش الموضوع على النحو الآتى : "فى الواقع تمت ملاحظة طريقة كتابة " PUBLIS " بدلاً من كتابة " PUBLIUS " ولا تعد هذه الكتابة خطأ ، ويرجع السبب فيها للطريقة الخاصة لنطق الاسم الأول فى اللغة اللاتينية praenomen [إلى آخره] فى المنطقة التى تتحدث اليونانية فى الإمبراطورية الرومانية ، والتى أصبحت شائعة بدرجة أكبر خلال الفترة الأخيرة من القرن الثالث ولم يثبت وجودها من قبل . وعلى ذلك فإنه يمكن أن نحاول تأريخ هذا النقش المزدوج اللغة بأواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع الميلادى (٦). إن اسم بوبيليوس Publius الذى ظهر الآن فى ثوبه اليونانى على النحو التالى Πουβλιος , Ποβλιος , Ποπλιος يمكن أن تحدث تغييرات فى نهايته، مثله فى ذلك مثل كلمات أخرى فى اللغة اليونانية التى تنتهى

بالحروف (ιος –) إن استخدام النهايات (ις,ιν) بدلاً من (ιος, – ιον) ظهرت من قبل بالفعل فى العصر الهللينستى منذ القرن الثالث قبل الميلاد (٧). وعلى ذلك لا يوجد سبب لعدم ظهور هذه الظاهرة نفسها فى أى وقت بعد ذلك فى نقش من منطقة يُعد مُجرد وجود نص مكتـوب باللاتينية واليونانية الصحيحة شيئًا ملحوظًا فى حد ذاته ، ولهذا لا يمكن أن نستدل على التاريخ من الكلمة الإغريقية المقابلة لاسم بوبيليوس Publius المذكور هنا . ويبدو أن بعضهم يرغب فى القيام بترميم كلمة كورنيليوس κορν [ηλις] فى السطر الأخير .

إن الطريقة الوحيدة لتأريخ هذا النقش الجديد وفهمه هو عن طريق البحث عن سياق تاريخى يمكن أن يتلاءم معه ، وتظهر براقش "يتل YTL " القديمة فى مناسبة واحدة فى حوليات التاريخ اليونانى الرومانى . وهناك اثنان من المصادر الإغريقية الهامة وهما استرابون Strabo ، وديون كاسيوس Dio Cassius ، اللذان رددا القصة نفسها ، وذكرا مدينة فى جنوب العربية، فى شمال مأرب Marib ، ولا تبعد كثيرًا عنها، وكانت هذه المدينة تعمل كقاعدة تحركت منها قوات أيليوس جاللوس Aelius Gallus فى حصارها الفاشل لمأرب فى أوائل حكم أغسطس فى روما . وسَمى سترابون المكان أثرولا Athroula ، أما ديون فقد سماها أثولا Athoula . إن الخلط بين الحَرفين الواضحين " ل – L " وحرف " ر – R " لا معنى له، إلا إذا قام المرء بالسير على نهج فون ڤايسمان von Wissman فى الاعتقاد بأن حرف "ل" فى يتل YTL مزدوج، وعلى ذلك يكون الحرف الثانى الواضح فى اليونانية له معنى الفعل ، ولكن أغلب المتخصصين يوافق على أن اسم ATH (اث [?] ولا Ath (?) oula يمثل مقطعًا يونانيًا من يتل (YTL)(٨) .

وكشف استرابون أن القوات الرومانية تحت قيادة جاللوس عسكرت فى المنطقة حيث قال: "لقد ذهب إلى مدينة أثرولا Athroula ، وتمكن من هزيمتها بدون مقاومة ، وقام بوضع حامية فيها , εις Αθρουλα πολιν ηκε , και κρτησας αυτης ακονιτι φρουραν , εμβαλων ..... (٩) . ذهب الجيش بعد ذلك إلى ما أسماه استرابون

مارسيابا Marsiaba ، ومن الواضح أنها مأرب Marib . وكتب ديون في القرن الثالث الميلادي ولاحظ أن هذه الحملة كانت هي الأولى ، وعلى حد معرفته التي تتعمق فيها القوات الرومانية على هذا النحو في شبه الجزيرة العربية :"كانت هذه هي المرة الأولى التي قام فيها الرومان ، على ما أعتقد بغزو هذه المنطقة ، وتقدموا بعيداً حتى المنطقة المشهورة التي تسمى أثلولا– πρωτοι μεν δη , Ρωμαιω ουτοι, νομιζω δ,οτι και μονοι , τοσουτον επι πολεμω της , Αραβιας ταυτης επηλθον μεχρι γαρ των , Αθλουλων καλουμενων χωριου τινος επφανυς επιφανους, εχωρησαν " (١٠) . ثبت وجود هذا الوضع الفريد حتى العقد الثاني أو الثالث من القرن الثالث على الأقل ، وأدرك أحمد فخرى سبب ملاءمة المكان لوجود حامية فيه ، إذ ذكر في تقريره كشاهد عيان عن المكان حيث كتب : "إنه يمكن للمسافر رؤية براقش من على بعد مسافة كبيرة لأنها بنيت على حافة مرتفعة تشرف على كل المنطقة المجاورة "(١١)، وتؤيد الصور التي زود بها القارئ للموقع وصف فخرى لها(١٢).

إن محاصرة المدينة على يد قوات إيليوس جاللوس ووضع حامية هناك يقدم السبب التاريخي المعقول لمحتوى النقش الجديد . إن قدوم جيشه حوالي عام ٢٦ ق. م هو الحادث الوحيد المعروف الذي نعرف منه أن جماعة من الذين كانوا يتحدثون اليونانية واللاتينية أقاموا فيها لفترة قصيرة في الجوف اليمني ، ويمكن رؤية حالة الفارس كورنيليوس كواحد من القوات المحتلة ، وإذا كان قد توفى خلال الفترة التي أقامت فيها الحامية في براقش ، فيبدو أن ذلك حدث في أثناء قيام الحامية العسكرية بتأمين مؤخرة الذين قاموا بحصار مأرب .

في كل الأحوال فإن هذا الوجود الوحيد لجيش يوناني روماني في اليمن يمكن أن يفسر الوجود الفريد المُناظر لهذا النقش المدون بلغتين في منطقة براقش ، وهو يُلقى ضوءاً جديداً على فشل روماني مشهور قام باحثون آخرون بدراسته دراسة شاملة في العقود المعاصرة . ومن المناسب أن نذكر على وجه الخصوص معالجة

جاكولين بيرين JacquelinePirenne لحملة جالوس [١٣]. وملاحظات ألبريشت ديهل Albrecht Dihle للحملة (عن أثرولا على وجه التحديد التى سوف يرسى عليها النص الجديد)[١٤]، ومناقشات سيلاج جاميسون Shelagh Jameson عن تاريخ ٢٦ ق.م[١٥] . ونافتال لويس Naphtali Lewis فى إعادته لترجمة بردية البهنسا رقم ٢٨٢٠ .Pap Oxy. 2820 [١٦] ، والمقالة الهامة التى سبق ذكرها لفون ڤايسمان von Wissman [١٧] .

مصادر الملحق رقم(١)

(١) H.von Wissmann,"Die Geschichte des Sabäerreichs und der Feldzug des Aelius Gallus,"ANRW II.9.1(19-78),705-7,on YTL:"Yatill,Stadt der 'Atlūlân."

(٢) A.Fakhry,An Archaeological Journey to the Yamen I-III(1951-1952).

(٣) P.Costa,"A Latin –Greek Inscription from the Jawf of the Yamen,"Proc of The Seminar for Arabian Studies 7 (1977),69-72.وأود أن أعبر عن شكرى الحار إلى باولو كوستا لكرمه وإرساله صورة جيدة للنقش الجديد لى ، إضافة إلى نسخة من مقالته فور توافرها . وعلى الرغم من عدم اتفاقى معه فى بعض أجزاء من ترجمته فإن ذلك لا يقلل من تقديرى العميق لاهتمامه بنشر نصه .إن هذا الملحق والذى يليه هما فى الأصل حررا كمساهمات فى المؤتمر الدولى الثانى فى الرياض عن العربية قبل الإسلام ،فى ربيع عام ١٩٧٩.

(٤) Cf.,e.g.,ILS 2319,2345.

(٥) C.B.Welles,inC.H.Kraeling,Gerasa:City of the Decapolis(1938),p.358.

(٦) Costa(above,n.3),70.

(٧) E.Schwyzer,Griechische Grammtik(1939),I.472. وعن المناقشة الكاملة راجع J.Georgacas,"On the Nominal Endings -ις,-ιν in Later Greek,"CP 43 : (1948),243-60

(٨) راجع على سبيل المثال A. Grohmann ,Arabien(1963).p.164

(٩) 16.4.24,C782

(١٠) 53.29.8.W.Müller,ZDMG Suppl.III .I(1977).734 ،وفى الواقع فقد لاحظ تطابق حجر براقش مع حملة جالوس ، ولكنه أحجم لسوء الحظ عن تتبع الموضوع بملاحظة شكل الحروف .

(١١) Fahkry(above,n.2)I,p.141.

(١٢) Fahkery(above,n.2)plates 52-54,&Grohmann (above, n.8),plates 5-6.

(١٣) J. Pirenne, Le royaume sud-arabe de Qatabān et sa datation(1961).

(١٤) A. Dihle,"Der Zug des Aelius Gallus ,"Umstrittene Daten (1965),pp80-84.

(١٥) S.Jameson,"Chronology of the Campaigns of Aelius Gallus and C. Petronius,"JRS 58(1968),71-84.

(١٦) N. Lewis,"P.Oxy.2820:Whose Prepartion?,"GRBSI 16 (1975),295-303

(١٧) راجع الحاشية رقم ١ أعلاه .

الملحق الثانى

أنباط ورومان فى وادى سرحان

NABATAEANS AND ROMANS
IN THE WĀDĪ SIRḤĀN

إن خبرة الأنباط فى بناء مملكة تتمتع بنفوذ على الرغم من الأصول البدوية أكسبتهم مهارة مميزة فى التعامل مع قبائل البدو فى داخل حدودهم وخارجها ، وحتى نكون أكثر تحديداً ، فقد أدركوا أن الصحراء لا يوجد بها حدود حقيقية على وجه الإطلاق ؛ ولكى يتحقق لهم تأمين مدنهم ومحاصيلهم واستقرار التجارة الداخلية كان عليهم السيطرة على حركة القبائل التى توجد فى مناطق بعيدة فى الصحراء نفسها . إن الكشوف الحديثة للنقوش فى أماكن نادراً ما قام الأجانب بزيارتها تدل على وجود الأنباط وسيطرتهم عليها ، ومنها المنخفض الداخلى لوادى سرحان ، بواحاته المتناثرة ، والتى يقع فيها الطريق الصحراوى الرئيسى الممتد من شبه الجزيرة العربية حتى سوريا ، والذى كانت له شهرته فى الإدارة النبطية ، مثله فى ذلك مثل البلد الكثيب الصخرى فى شمال الأردن وجنوب سوريا ، والركن الشمالى الغربى من السعودية العربية .

إن الإشارات التى قدمتها المخربشات (النقوش السريعة Graffti) غامضة ، لكن لا يمكن ثمة خطأ فى إشاراتها عن الحروب بين الأنباط والقبائل البدوية . وهناك نقش صَفَوى Safaitic ، قام ليتلمان Littmann بنشره لأول مرة ، يسجل سنة حرب الأنباط " snt ḥrb nbṭ " [(١)] ، وقام ڤينيت F.V. Winnett ولانكستر هاردنج G. Lankester Harding بنشر نقش صفوى آخر بالكلمات نفسها [(٢)]، ويمكن فهم النقشين

من خلال صراعات محلية مع القبائل الصَفَوية (وليست بالتأكيد حروبًا مع الرومان)(٣). وهناك نقش نبطى من واحة الجوف ، التى تقع بعيدًا فى الصحراء عند نهاية الحد الجنوبى من وادى سرحان ، يشهد على وجود" رئيس المعسكر rb msryt " الذى يوضح لقبه أنه ترجمة سامية لكلمة قائد strategos اليونانية ، أو كما يبدو فى ثوب سامى 'srtg' (٤) . لقد تم بناء القلاع والمدن المحصنة فى الصحراء على يد الأنباط للسيطرة على التحركات القبلية ، ولإرهاب البدو من على مسافات بعيدة من المناطق السكنية ، وساعد ذلك على تكيف الأنباط مع استخدام الجمال مثلهم فى ذلك مثل قرنائهم من العرب والتدمريين فى الشمال .

جاءت حراسة الصحراء لمصلحة الأنباط خلال القرن الأول، فى أثناء ازدهار مملكتهم، ثم أصبحت بالمثل فى مصلحة الرومان لأن اندفاع القبائل إلى أرض الأنباط يوصلهم بطريقة أوتوماتيكية إلى بوابات سوريا وفلسطين ، وقام التدمريون فوق دائرة نفوذ الأنباط فى الصحراء السورية بممارسة دور الحراسة نفسه الذى قام به الأنباط ، فهم الذين قاموا بالحفاظ على خط التجارة والاتصال ، وإبقائه مفتوحًا إلى الفرات من المدن الكبرى فى دمشق وإيميسا (حمص) وأنطيوخ ، وقام الأنباط بهذا العمل كوكلاء للرومان مثل الأنباط ، وكان لدى كل من الشعبين العربيين مصالحه التجارية الخاصة ، وكانت حمايتها تصب أيضًا فى مصلحة الرومان .

لخص كل من جلوك Glueck وشتين Stein الوضع باستغلال الأنباط الجيد لوادى سرحان كممر داخلى للتجارة مع الشمال (٥). وللصلة المباشرة بين الوادى وأنحاء بُصرى ، مما يفسر جزئيًا نمو وتفوق تلك المدينة التى أقامت صلات مع دمشق. وفى الطرف الجنوبى لوادى سرحان تقع محطّتا الجوف Jawf وسكاكا Sākaka المهمتان، وتأكد فى الأولى تواجد الأنباط منذ فترة ، ويلاحظ ذلك بوضوح من النقش العسكرى الذى عُثر عليه هناك (٦)، وأكدته الأبحاث التى قام بها فى سكاكا كل من ونيت Win-nett وريد Reed (٧) ، واكتشف كل منهما كما كان متوقعًا وجود دليل على احتلال الأنباط لساكاكا (٨). وتكررت القصة نفسها فى شمال وادى سرحان . لقد تم توثيق

وجود الأنباط فى قرية الملح فى إثرا Ithrā [٩]. والتى أمكن للقبائل والتجار المرور من خلالها إلى المستوطنات النبطية الكبيرة فى الطريق إلى بُصرى ، خصوصاً أم الجِمال.

على الرغم من أن التفصيلات الدقيقة الخاصة بنشاط الأنباط داخل وادى سرحان غير متوفرة حتى الآن ، فإنه يتضح بصورة عامة أن البدو توقفوا عن إثارة المشاكل مباشرة عقب إلحاق الرومان الضفة الغربية للأردن بالولاية العربية عام ١٠٦ م . ولم تكن المخربشات هى فقط التى سجلت الصراعات بين الأنباط وغارات الشعب الصحراوى ، بل إنه عند القيام بإجراء الحفائر الأثرية تم العثور على آثار تدمر فى مناطق استقرار الأنباط ، حيث توقف السجل الأثرى بوجود علامات ببدايات جديدة فى مراحل السُكنى. وأوضح الفحص الذى قام به وينت Winnett لسجل كامل (دوسيه) للمخربشات قيام ثورة كبيرة لإحدى القبائل على يد أحد الدمشقيين عام ٧١ فى الوقت الذى تولى فيه الحكم رابيل الثانى آخر ملوك الأنباط [١٠]. يُفهم منها أن قادة قبائل صحراوية معينة من الذين سبق وقامت الإدارة النبطية من قبل باختيارهم قد خيبت آمالها، ولم يعودوا موضع ثقة فى تولى مناصب السيطرة على الصحراء ، فى وقت تغيير السلطة. لقد أصبح اللقب التقليدى للملك الجديد كما ظهر على النقوش "الذى وهب الحياة والخلاص للشعبه – " dy 'ḥyy wšyzb 'mh " ، ومن المحتمل أنها تشير إلى الأزمة التى حدثت عند تولى العرش . ومن المؤكد أنه لايمكن استخراج تفسير أفضل من ذلك ، وعند هذا الحد يمكن للمرء أن يفترض فرضًا مقبولاً ، يتمثل فى المخاطرة الكبيرة فى سياسة استخدام جماعات البدو كحلفاء لحكومات الأمم المستقرة على حافة الصحراء .

إن الاضطرابات التى هزت العقود الأخيرة من حكم الأنباط لها دلالات مهمة للمؤرخين لوادى سرحان ؛ لأنه خلال فترة نهاية القرن الأول الميلادى تحول مركز الثقل فى مملكة الأنباط من البتراء إلى بُصرى ، وظل الوضع كذلك تحت حكم الرومان . ويبدو أن تحجيم دور البتراء يرجع، إلى حد كبير، إلى التدهور الذى أصاب الطريق التجارى البرى بعد اكتشاف الفائدة التجارية للرياح الموسمية ، وتحولت التجارة التى

كانت تمر سابقًا عبر البتراء إلى غزة إلى الشاطئ المصرى ، ثم بعد ذلك شمالاً إلى البحر المتوسط ، وأصبح المرور الداخلى يتركز فى وادى سرحان ، الذى قدم طريقًا ملائمًا لنقل البضائع المتجهة من موانئ الشاطئ الشرقى لشبه الجزيرة العربية وكذلك من مناطق الجنوب .

منذ اللحظة التى تم فيها ضم العربية ، ورث الرومان خفارة الصحراء فى الشرق الأدنى إلى جنوب المنطقة التى كان التدمريون يقومون بحراستها . وكان امتداد الولاية العربية يطابق بالتأكيد مملكة الأنباط . وأماطت الكشوف الأثرية الحديثة فى الروافة Ruwwafa فى الحجاز اللثام عن تدخل حاكم ولاية العربية المباشر فى بناء معبد هناك(١١). وتوضح النقوش العلاقات الطيبة beneficiarii بين مدائن صالح والعلا al- 'Ula ، ولاحظ سبيدل M. Speidel ، وجود مركز حدودى فى هذه المنطقة (١٢). يضاف إلى ذلك كما أوضح عبد الله الوهيبى Abdullah al- Wahaibi أن تعبير" قُرى العربية "Qura Ara-biyya فى منطقة الحجاز الذى ذكره الجغرافيون العرب حافظ على التحديد القديم لولاية العربية (١٣). إن كلمة قرى Qura التى هى نفسها kura تماثل الكلمة اليونانية χωρα التى تعنى الأرض أكثر من كونها تدل على كلمة حى curia فى اللغة اللاتينية (كما اقترح الوهيبى).

ومع تراكم الأدلة أصبح من الواضح أن الرومان تولوا منذ البداية مواصلة تقوية نظام دوريات الحراسة التى ورثت الرومان، وقاموا بهذا العمل بقدر الاستطاعة بواسطة أفراد من الأنباط . كان تراجان الذى قام بضم الولاية الجديدة مسئولاً عن وضع فرقة عسكرية هناك (استطاع سبيدل أن يقنعنى بأنها فرقة قورينة الثالثة)، وتكوين قوات عسكرية من جيش الأنباط السابق لكى تخدم فى الفرقة العسكرية ، والقيام بمدها بالقوات المساعدة auxiliaries، وكان الوطنيون ذا نفع كبير لروما لخبرتهم فى استخدام السهام وفى ركوب الجمال . وفى الواقع كان بعضها مثل فرقة أولبيا البترائية Ulpiae Petraeorum الجديدة (وحدات تراجان من البتراء) ، تستخدم فى أماكن أخرى من الشرق الأدنى القديم لتقوية الدفاعات فيها . وهناك دليل من النقوش يثبت استخدام

الفرسان الأنباط فى فرقة قورينة الثالثة وفى ركوب الجمال فى القوات المساعدة العربية auxilia ، وهناك مجموعة من النقوش الصخرية عُثر عليها فى الحجاز فى شمال غربى العربية السعودية تسجل وجود فرقة الهجانة dromedarii فى أقصى الجزء الجنوبى من مملكة الأنباط (١٤)، ودونت بعض هذه النقوش باليونانية ، وبعضها بالنبطية ، وتحدث أحد النقوش عن العلاقات الطيبة beneficiarius كما سبق ولاحظنا .

إن وجود أجزاء من فرقة قورينة الثالثة فى مواقع مهمة فى عمق الصحراء أصبح الآن أمراً مؤكداً ، بفضل الكشوف الأثرية الجديدة ، وقد ثبت أن الإدارة الرومانية أخذت على عاتقها كما فعل الأنباط من قبل أمر الخفارة العامة للصحراء ، فى مناطق بعيدة عن مناطق السكنى . إن النموذج الذى شُوهد فى الحجاز يمكن أن يُتوقع تكراره فى وادى سرحان، وقد حدث بالفعل. فقد ثبت وجود سرية centurion فى واحة الجوف، الواحة الرئيسية فى وسط الصحراء ، عندما كان التجار يستخدمون الطريق الداخلى لوادى سرحان للاتجاه إلى سوريا. ونشر محمود غول Mahmud Ghul فى عام ١٩٧٢ النقش الذى سجل وجود هذه السرية فى مؤتمر خاص بتاريخ العرب قبل الإسلام فى جامعة هارفارد (١٥)، وكان يوجد على رأس وادى سرحان حزمة من المنشآت العسكرية (قلاع أو أبراج مراقبة) أقامتها فرقة قورينة الثالثة ، أقيم بعضها فى مناطق نبطية مثل مدينة أم الجمال الصحراوية . والبعض الآخر بسيط التصميم أقيم فى المرتفعات أو فى الواحات ، وقدم نظام الحصون وأبراج المراقبة إنذاراً مبكراً، كما نجح فى سرعة تشتيت غارات البدو (١٦). إن التسلسل التاريخى المُحكم لحركة الرومان داخل الصحراء إضافة إلى المساعدة التى قدمتها القوات الوطنية يمكن أن تُضللنا ، لكن إلحاق اسم أولبيا Ulpia بعدة فصائل ووحدات الفرسان يدفع على الافتراض أن الاستراتيجية التى تَبَنّى أساسها تراجان بعد أن قام مباشرة بضم العربية ، تابع الآخرون تنفيذها .

كان سبتيميوس سيفيروس من الأباطرة التاليين قبل الحكم الرباعى tetrarchy الذى أهتم على وجه الخصوص بتقوية دفاعات الصحراء ، وربما يرجع السبب فى ذلك

إلى قيامه بضم منطقة ما بين النهرين Mesopotamia ، حيث احتاجت الممرات المتداخلة الصحراوية إلى توفير قدر من الأمان أكبر من ذى قبل . وعلى أى حال كان عهده شاهداً على نشاط ملحوظ فى منطقة الحدود العربية ، خصوصاً عند رأس وادى سرحان فى محيط الأزرق . وفى مقالة حديثة قام كل من توماس باركر S. Thomas Parker وماك ديرموت P.M.Mc Dermott بتوثيق إقامة منشآت فى منطقة قصر العوينيد فى عهد سيفروس (١٧)، وسبق لنقش قصر الحلابات Qasr - Hallabat المعروف الذى يؤرخ بعام ٢١٣ أن لفت الانتباه إلى الموقع فى السنوات السابقة (١٨). إن الدليل الخاص بالقلعة عند قصر السيكين Asaikhin يفترض أيضاً وجود حامية سيفروس هناك . وفى ضوء الدليل الحالى فإن توسع سيفروس فى حدود ولاية العربية فى اتجاه الشمال ، يعكس الاعتراف بدور وادى سرحان المحورى فى إدارة المنطقة . إن هذا الممر الذى يقع فى الصحراء ، من الجنوب إلى الشمال (فى اتجاه بُصرى ودمشق) ، كان حيوياً على الأقل بالنسبة للتجارة والسيطرة مثله فى ذلك مثل طريق الملوك السريع القديم فى الغرب .

ومن قبيل رد الفضل لأهله ملاحظة أن الأنباط أدركوا تماماً أهمية وادى سرحان فى جغرافية مملكتهم ، وهو الأمر الذى كان متوقعاً منهم نظراً لخبرتهم القديمة فى التقاليد الصحراوية ، ويلاحظ أكثر من ذلك مبالغة الرومان فى التنظيم النبطى للمنطقة بمساعدة الأنباط أنفسهم . لقد لعب وادى سرحان دوراً حيوياً فى ازدهار الولاية الرومانية العربية والدفاع عنها .

مصادر الملحق رقم (٢)

(١) E.Littmann,PAES IV(1904),p.143,no45.

(٢) F.V.Winnett&G.L.Haring,Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns (1978-80), no.2113.

(٣) Winnett&Harding (above,n.2),no.1734=2815 يبدو أن النقشين السابقين مرتبط كل منهما بالآخر .

(٤) R.Savignac &J.Starcky,"Une inscription nabatéenne provenant du Djôf,"RB 64(1957),215.

(٥) Cf. G.W.Bowersock ,"A. report on Provincia Arabia ,"JRS 61 (1971), 221 & n.13.

(٦) Savignac &Starcky(above,n4).

(٧) F.V.Winnett&W.L.Reed,Ancient Records from North Arabia (1970), pp.15&144.

(٨) Ibid.,pp.7&144 .

(٩) Ibid.,pp.60&160.

(١٠) "The Revolt of Damasī:Safaitic and Nabataean Evidence,"BASOR 211(1973),54-57. عن احتمال وجود انعكاس آخر لهذه الأزمة راجع ص١١٧ ،حاشية رقم ٤٨ أعلاه من الكتاب .

(١١) Cf.G.W.Bowersock,"The Greek –Nabataean Bili ngual Inscription at Ruwwafa,Saudi Arabia ,"Le monde grec:Hommages à Claire Preaux (1975),pp.513-22.

(١٢) M.Speidel,"The Roman Army in Arabia,"ANRW II. 8(1977),703-4

(١٣) A, al-Wohaibi,The Northen Hijaz in the Writings of the Arab Geographers, 800-1150(1973),p.214.

(١٤) Speidel,(above,n.12).See above,pp.107-8.

(١٥) JRS 63(1973),139,n.58 .وعن نص النقش راجع : Kennedy ,ArchExplor (1982), p.190, no.39.

(١٦) Cf. G.W. Bowersock ,"Limes Arabicus," HSCP 80 (1976),219-29.

(١٧) S.T.Parker&P.M.McDermott,"A MilitaryBuilding Inscription from Roman Arabia,"ZPE 28(1978),61-66.See now Kennedy, ArchExplor (1982), pp..124-25.

(١٨) Kennedy, ArchExplor(1982),pp.39-40,no.3.

(١٩) راجع أعلاه ص ١٥٣.

الملحق الثالث

حكام ولاية العربية

THE GOVERNORS OF ARABIA

• قام موريس سارتر Maurice Sartre بوضع قائمة حديثة لها أهميتها لإثبات حكام ولاية العربية فى العصور القديمة المتأخرة فى بحثه التالى Trois études sur l' Arabie romaine et byzantine (1982), pp. 77 - 120. ولما كان عمله متقنًا فسوف أكتفى هنا بتقديم ، قائمة مختصرة للحكام فى الحقبة الزمنية التى يغطيها الكتاب بعد القيام بعملية المراجعة التى تحتاج إليها قائمة سارتر المذكورة أدناه، مع حذف الأسماء التى ثبت عدم وجودها.

• تيبريوس كلوديوس البينوس Tiberius Claudius Alpinus :

أثبت ستاركى وبينت J.Starchy and C Benett وجود هذا الحاكم عام ١٩٦٨ ، على نقش لاتينى من البتراء ، ووضع اسمه مباشرة بعد كلوديوس سيڤيروس Claudius Severus أول حاكم للولاية. ولكن هالفمان H.Halfmann فى مقالته التالية، Die Senatoren aus dem östlichen Teil des Imperium Romanum bis zum Ende des 2.Jh. n.Chr.(1979),135 ، قام بتصحيحه وأوضح أن الاسم المذكور على الحجر لم يكن ألبينوس ولكنه سيڤيروس. وهذا يعنى أن النص أصبح وثيقة أخرى لوجود سيڤيروس فى العزبية ، لذلك يجب إقصاء الحاكم ألبينوس من قائمة fasti حكام الولاية.

• ل. أنينيوس سيكستوس فلورينتينوس L. Aninius Sextius Florentius :

إن الاسم الأول praenomen كما ذكر فى بردية نهال هيفر Nahal Hever، هو تيتوس Titus وليس لوكيوس Lucius ، (IEJ 12[1962], 259, Ex Orient Lux 17 [1963, publ. 1964], 238) . ويوضح نقش قبر هذا الشخص فى البتراء أن الاسم الأول غير واضح فى قراءته . وطبقًا لما ذكره كل من برونو ودوماسڤيسكى Brunnow and Domaszewski, Die Provincia Arabia I,p. 382 ، ظهر الاسم على النحو التالى: L ANINIO L FIL PAP SEXTIO FLORENTINO (لوكيوس أنينيوس لوكيوس بن سيكستوس فلوررينتينوس)، ولكنه ذكر أن الحرف الأول يمكن أن يقرأ أيضًا على أنه حرف الباء (P). وإذا كانت قراءة البردية صحيحة (وقوة إبصار بولوتسكى Polotski يعتمد عليها بالتأكيد)، فسوف نفضل أن يكون اسم تيتوس Titus هو الاسم الأول .

• ل.ماريوس بيرپتُوس L. MARIUS PERPETUUS

كتبه سارتر دون معرفة بنقش العوينيد 'Uweinid الذى نشره باركر وماك ديرموت T.Parker and P. McDermott,ZPE 28 (1978) , 61-65 ، والذى أعاد كيندى نشره فى Kennedy ,Arch-Explor (1982),pp 124-25,no,19. ، وجاءت فيه مناقشة كيندى مقنعة وأرخه بالفترة بين ٢٠٠-٢٠٢ . وبالمثل راجع كيندى فى ZPE 49 (1982), 284 86 .

• ك.سكريبونيوس تيناكس Q. Scribonius Tenax : لم يستطع سارتر الحصول على ما قدمه كيندى فى ZPE 37 (1980),24-26 ، بخصوص تاريخ ولاية سكريبونيوس تيناكس ، حيث قدم كنيدى حُجة جيدة على أنها كانت فى الفترة التى تقع بين ١٩٤-١٩٦ .

• سكس. فورنيوس يوليانوس Sex. Furnius Iulianus : إن ذكر نقش الحلابات Hallabat لذلك الحاكم دفع كنيدى إلى مناقشته من جديد فى Kennedy ,ArchExplor (1982),pp.39-40,no.3. .

• بومبوميوس يوليانوس Poponius Iulianus : ثبت وجود هذا الحاكم فى عام ٢٣٦ فى كفر اللحَا Kafr al Lahat وكان قد تم حذفه من قائمة فلاوم Pflaum لحكام العربية . وكان لدى سارتر الحق فى رده لأصله على أساس أن الموقع لابد أنه كان تابعاً للعربية عام ٢٣٦ . وتوصل كتنهوفن إلى النتيجة نفسها بعيداً عن سابقه . E. Kettenhofen , ZDPV 97 (1981) , 62-73

• م. باسائيوس أستور M. Bassaeus Astur : اقترح سارتر احتمال أن تكون التواريخ هى ٢٣٨-٢٤٤ أو ٢٤٩-٢٥٠ . لكن بيرلى E. Birley , ZPE 37 (1980).19-21 قدم عرضاً قوياً بعقد مقارنة بينه وبين م. باسوس روفوس محصل الضرائب فى أستوريا (ILS 1326 procurator of Asturia) ، وأن حكمه لولاية العربية كان فى أواخر عصر كومودوس Commodus أو فى أوائل عصر سيڤيروس Severus

• أميوس فلاكوس Amius Flaccus : على الرغم من وضع سارتر لهذا الاسم فى قائمته، فإنه قد وافق فى الفقرة الأخيرة على الرأى الذى أثبته ماك آدمز H. I. MacAdams الذى رآه سارتر قبل نشر القائمة، من أن قراءة النقش الذى ورد فيه الاسم ينبغى أن تتم فى ضوء الجزء الواضح من اسم الحاكم المعروف س . أليوس فوسكانوس C.Allius Fuscianus : ZPE 38(1980).72-74 .

«حكام العربية من طبقة السناتو»

" SENATORIAL LEGATI OF ARABIA "

١ - C.Claudius Severus (س. كلوديوس سيڤروس)، كان فى الولاية فى الفترة بين عامى ١٠٧- ١١٥ على الأقل .

٢ - Q. Coredius Gallus Gargilius Antiquus (ك. كوريديوس جارجيليوس أنتيكوس)

٣ - Ti. Iulius Iulianus Alexander ، تيبريوس يوليوس يوليانوس الإسكندر، ثبت وجوده فى عام ١٢٥ .

٤ – T. Aninius Sextius Florentius (ت. أنينيوس سكستوس فلورنتيوس) ، ثبت وجوده فى عام ١٢٧ .

٥ – T. Haterius Nepos (ت. هاتيريوس نيبوس)، ثبت وجوده فى عام ١٣٠ : تم محو اسمه من نقش جيراسا Gerasa في تلك السنه (Welles , in Kraeling , Gerasa (1938), nos 58 &143-144) .

٦ – L. Aemilius Carus ، ثبت وجوده عام ١٤١–١٤٢ .

٧ – L. Attidius Cornelianus (ل.أتيديوس كورنيليانوس)، ثبت وجوده ١٥٠–١١٥ .

٨ – C.Allius Fuscianus (س. أليوس فوسكيانوس) ، مُعين ، قنصلاً ، (*) عام ١٦٢ cos.desig., cos., & consularis .

٩ – Q. Antistius Adventus (ك. أنتستيوس آدفنتوس)، ثبت وجوده في عام ١٦٦–١٦٧ .

١٠– L. Claudius Modestus, (ل. كلوديوس موديستوس) ثبت وجوده بين عامى ١٦٧–١٦٩ .

١٠ – .... Severus .... سيڤروس ، ثبت وجوده بين عامى ١٧٧–١٨٠ .

١١ – Flavius Iulius Fronto (فلافيوس يوليوس فرنتو) .

١٢ – M. Bassaeus Astur (م.باسايوس أستور)، من أواخر عهد كمودوس إلى أوائل عهد سيڤروس .

١٤ – P. Aelius Severianus Maximus (ب. إيليوس سيڤريانوس ماكسيميوس)، ثبت وجوده عام ١٩٣– ١٩٤ .

١٥ – Q.Scribonius Tenax (ك.سكريبونيوس تيناكس) ، بين عامى ١٩٤و١٩٦ .

(*) أى أنه نجح فى الانتخابات القنصلية وفى انتظار الموعد الرسمى لبدء ممارسة مهام المنصب . راجع الروبى ، أجهزة الحكم فى روما ، ص١٨

١٦ – M. Caecilius Fuscianus Crepereianus Floranus م. كـــايكليـــوس فوسكيانوس كريبريانوس فلورانوس ، قبل عام ١٩٨ .

١٧ – L. Marius Perpetuus ماريوس بربيتيوس، بين عامى ٢٠٠-٢٠٢ .

١٨ – Q. Aiacius Modestus Crescetianus (ك. إياكــيـوس مــوديســتــوس كريسيتيانوس)، بين عامى ٢٠٤ و ٢١١ .

١٩ – L. Alfenus Avitianus (ت.ألفينوس أفيتيانوس)، ثبت وجوده بعد عام ٢١٢ مباشرة .

٢٠ – Sex. Furnius Iulianus (سيكس. فورنيوس يوليانوس) ثبت وجوده في عام ٢١٣-٢١٤ .

٢١ – Q. Flavius Balbus (ك .فلافيوس بالبوس)، بين عامى ٢١٣-٢٢٠ .

٢٢ – Pica Caerianus (بيكا كيريانوس) ثبت وجوده عام ٢١٨ .

٢٣ – Flavius Julianus (فلافيوس يوليانوس)، خلف السابق .

٢٤ – C. Furius Sabinus Aquila Timesitheus (س. فوريوس سابينوس أكويلا تيمستيوس) من طبقة الفرسان الذى خلف مرتين حاكم العربية من طبقة السناتو .

٢٥ – Caecilius Felix (كايكليوس فيلكس) بين عامى ٢٢٣-٢٢٦ .

٢٦ – Cladius Sollemnius Pacatianus (كلوديوس سوليمينوس باكاتيانوس)، بين عامى ٢٢٣-٢٣٥ .

٢٧ – L Egnatius Victor Marinianus (ل.إجناتيوس فيكتور مارينيانوس)، من المحتمل أنه ليس بعيداً عن عام ٢٣٠ .

٢٨ – Pomponius Iulianus (بومبونيوچوليانوس)، ثبت وجوده عام ٢٣٦ .

٢٩ – D. Simonius Proculus Iulianus (د.سيمونيوس بروكولوس يوليانوس)، ثبت وجوده عام ٢٣٧ (أو عام ٢٣٨) .

٣٠ – M. Domitius Valerianus (م.دوميتيوس ڤاليريانوس) بين ٢٣٨-٢٣٩ .

٣١– Claudius Capitolinus (كلوديوس كابيتولينوس)، ثبت وجوده فى عام ٢٤٥-٢٤٦ .

٣٢- Aelius Aurelius Theo (أيليوس أوريليوس ثيو) ، بين ٢٥٣-٢٥٩ .

٣٣ - Virius Lupus (ڤيريوس لوبوس) .

٣٤ - ius Gallonianus ... (يوس .... جالونيانوس)، ثبت وجوده عام ٢٥٩-٢٦٠ .

٣٥ - Coc[-] Rufinus ، كوك (—) روفينوس) من المحتمل وجوده فى عام ٢٦١-٢٦٢ .

حكام العربية من طبقة السناتو فى تاريخ غير معروف

UNDATABLE SENTORIAL LEGATI OF ARABIA

١ - Erucius Clarus ، إروكيوس كلاروس .

٢ - P. Pomponius Secundinus ، ب. بومبونيوس الثانى .

٣ - Plotius Romanus ، بلوتيوس رومانوس .

٤ - Aelius ، أيليوس .

٥ - Aurelius Aurelianus ، أوريليوس أوريليانوس .

حكام العربية من طبقة الفرسان

EQUESTERIAN PRAESIDES OF ARABIA

(يلاحظ أنه يمكن استخدام اصطلاح praeses -- حاكم ، رئيس، مشرف - للحكام من طبقة السناتو ، مثلما حدث مع باسائيوس أستور M.Bassaeus Astur [IGLS 13.9082] ، ومع ڤيريوس لوبوس [ILS 1210] Virius Lupus .

١ - Iunius Olympus يونيوس أولمبوس ، ثبت وجوده عام ٢٦٢-٢٦٣ .

٢ - Statilius Ammianus ستاتيليوس أميانوس ، ثبت وجوده عام ٢٥٣-٢٦٤ .

٣- Iulius Heraclitus يوليوس هيراكليتوس .

٤- Aurelius Antiochus أوريليوس أنتيوخوس .

٥- Flavius Aelianus فلاڤيوس أيليانوس ، ثبت وجوده عام ٢٧٤-٢٧٥ .

٦- Aurelius Petrus أوريليوس بتروس ، ثبت وجوده عام ٢٧٨-٢٧٩ .

٧- Aemilius Aemilianus أيميليوس أيميليانوس، ثبت وجوده عام ٢٨٢-٢٨٣ .

٨- Domitius Antonius دوميتيوس انطونيوس .

٩- M. Aurelius Aelianus أوريليوس أيليانوس ، بين عامى ٢٩٣ - ٣٠٥ .

١٠- Aurelius Asclepiades أوريليوس اسكلبيياديس ، بين عامى ٢٩٣ - ٣٠٥ .

١١- Aurelius Felicianus أوريليوس فليكيانوس ، بين عامى ٢٩٣ - ٣٠٥ .

١٢- Aurelius Gorgonius أوريليوس جورجونيوس ، بين عامى ٢٩٣ - ٣٠٥ .

أسماء غير محددة وبدون تاريخ

لرجال من السناتو أو الفرسان

UNDATABLE AND EITHER SENATORIAL OR EQUESTRIAN

Aelius Flavianus أيليوس فلاڤيانوس .

الملحق الرابع

الخرائط القديمة لولاية العربية الرومانية

ANCIENT MAPS OF ROMAN ARABIA

احتاجت الصياغة الذكية لسياسة الإمبراطورية عدة مصادرللمعلومات ، ويبدو أنه فى منطقة لها أهميتها فى المواصلات وفى الاستراتيجية العسكرية لا يوجد ما هو أهم من المعلومات الجغرافية، وصرح استرابون فى عصر الإمبراطورية، أن اهتمام أغسطس بالجغرافيا نبع من أنها ثبت جدواها فى إدارة الدولة ، وكتب قائلاً : " إنه أصبح على كل جغرافى أن يوجه نظره نحو أهداف الحكومة (πραξεις ηγεμονικαι) [١] . ومن الواضح أن المؤلفات الوصفية مثل تلك التى قام هو نفسه بها تخدم هذه الغاية ، كما تخدم الخرائط أيضاً وبطريقة مباشرة هذا الهدف . وفى فقرة شهيرة فى الكتاب الثانى من مؤلفه الجغرافيا **Geography** ، ناقش استرابون التجهيزات التى اتخذت لوضع خرائط جيدة ، وأشار إلى العلاقة بين البحر وكتلة الأرض، كما ظهرت فى (وصف سطح الأرض ο χωρογραφικος πιναξ ' [٢] . وأصبح وصف السطح πιναξ يشير إلى الأول – أى إلى البحر – وربما إلى أهم خريطة وضعت خلال حكم المواطن الأول وهى: دراسة مدن الأرض **Orbis Terrarum** لماركوس أجريبا **M. Agrippa** [٣] . وبطبيعة الحال فإن هذا المؤلف الشهير ليس له وجود الآن، ولكنه يدل على أنه كان نقطة البداية لأى معالجة لرسم الخرائط فى الإمبراطورية الرومانية .

لذلك فإن القيام بذكر بعض الملاحظات على خريطة أجريبا سوف تكون بمثابة مقدمة لمعرفة التفاصيل التى كانت لها أهميتها فى الخرائط المتاحة فى الإمبراطورية

الرومانية عن أقاليم الولاية العربية . كما أن القيام بدراسة مقارنة لما توضحه الخرائط يمكن أن يقدم مساعدة جوهرية لفهم تنظيم المنطقة . وقام إسرائيل فينكلشتين Isael Finkelstein منذ سنوات قليلة بالكتابة عن هذه المشكلة فى مقالته التالية "The Holy land in the Tabula Peutingeriana:An historical - Geographical Approach" (٤) . هذا هو بالفعل الموضوع الذى يحتاج إلى المعالجة، فهناك الكثير الذى ينبغى القيام به . ولم يضع فينكلشتين فى اعتباره الأعمال المهمة التى قدمت عن لوحة بيوتنجر Peuting-er Table فى العصور الحديثة ، وعلى وجه الخصوص تلك التى قام بها كل من ديلتفسن وكوبستشيك Detlefsen& Kubitschek؛ كما أنه أهمل الدليل الوحيد المقارن الذى يوجد لدينا عن لوحة بيوتنجر التى تصف فلسطين ، وهى خريطة الموزاييك المرسومة على أرضية كنيسة فى مأدبة Mādabā .

وإذا قمنا بتقديم افتراض مقبول بأن استرابون كان يشير إلى خريطة أجريبا فى مصدره عن سطح الأرض χωρογραφικος πιναξ ، فينبغى علينا أن نتوجه إلى بلينى Pliny الكبير لمعرفة مزيد من التفصيلات التى لدينا عن هذه الخريطة الشهيرة . ففى الكتاب الثالث من موسوعة التاريخ الطبيعى Natural History ، كتب بلينى بخصوص المسافات على طول الساحل الجنوبى لإسبانيا قائلاً: "كان أجريبا رجلاً مجتهداً ، كما كان جغرافياً دقيقاً إلى حد كبير . ولذلك لا يمكن أن يعتقد أى فرد أنه عندما قرر أن يضع أمام عين روما مسحاً للعالم ، أنه وقع فى خطأ ومعه المؤله أغسطس ، وذلك لأن أغسطس هو الذى قام بإتمام البهو الأمامى الذى بدأته أخته والذى رسمت عليه الخريطة، بموافقة ورغبة وتعليقات commentarii ماركوس أجريبا . ("Agrippam quidem in tanta viri diligentia praeterque in hoc opere cura ,cum orbem terrarum urbi spetandum propositurus esset, errasse quis credat et cum eo divum Augusum ? is namque conplexam eum porticum ex destinatione et commentariis M.Agrippa a sorore eius incohatam peregit (٥) ، وكما يحدث كثيراً عندما يريد المرء الحصول على دليل واضح من بلينى ، تصبح لغته غامضة ، بيد أنه يتضح من هذا النص قيام أجريبا بوضع مسودة الخريطة والقيام بنشرها فى بهو

أمامى porticus، ومن الواضح أنه كان بهو ڤيبسانيا porticus Vipsania، الذى قامت أخته بتنفيذه بعد موته، كما أكد ديون كاسيوس[٦]. وأتم أغسطس عمل المشروع بعد وفاتها، وكان لدى استرابون قبل وفاته بعد عام ٢٣م. فُسحة من الوقت للقيام بمشاهدتها .

ناقش كل من كونتز Cuntz ، ديتلِفسين Detlefsen وكبيتسشك Kubitschek فى نهاية القرن[٧]- التاسع عشر - الموضوع قائلين إن من الواضح أن بلينى أعاد استخدام خريطة أجريبا فى الحصول على التفصيلات الجغرافية لكتاب التاريخ الطبيعى. على الرغم من أنه لا يبدو أن بلينى كان يذهب لزيارة بهو ڤيبسانيا فى كل مرة كان يحتاج إليها فى قياساته. كما يبعد عن الاحتمال وقوفه أمام الخريطة فى بهو ڤيبسانيا Porticus Vipsania للحصول على ما يحتاجه من ملاحظات تفصيلية لاستخدامه الخاص، على الرغم من ذلك لم تكن حدوده بعيدة عن حدود المصداقية. لقد كانت كفاءة ديتلِفسين هى التى شيدت من أعمال جغرافيى العصور القديمة والعصور الوسطى التفصيلات الخاصة بخطوط الطول والعرض، بل فى حقيقة الأمر فإن اللغة التى تم التعبير بها عن هذه التفصيلات، هى التى عكست وجود مصدر عام يتضمن شكلاً من التعليق المكتوب[٨]. ويعتقد كوبتسشيك أن خريطة أجريبا انتشرت فى نُسخ منها، مع النص التوضيحى لها بطريقة لا تختلف عن الجمع بين الخريطة والنص التى نعرفها فى جغرافية Geography كلوديوس بطلميوس Claudius Ptolemaeus فى القرن الثانى الميلادى[*] . وفى الواقع

(*) ينتمى إلى مدينة بطلمية (الشيخ عبادة) فى صعيد مصر، يعد من أشهر علماء العصر، كتب عدة مؤلفات علمية جمع فيها بين دراسة الرياضيات والفلك والطبيعة إلى جانب الجغرافيا مثل كتاب الرياضة الجامعة Mathematike Suntaxis والذى عرف فيما بعد باسم الجامع الكبير ، وهو عبارة عن سجل لما حققه الإغريق من تقدم فى ميدان الرياضة والفلك مع بعض الإضافات التى أضافها بطلميوس . وكتاب آخر عن الزوايا العمودية المتقاطعة، وثالث عن المجسمات الجغرافية Stereographic، وأفرد مؤلفًا آخر لدراسة النجوم ، وخامسًا عن العلوم البصرية Optics والذى يعد بمثابة المحاولة الأولى لنظرية انكسار الأشعة ، وهناك عدة مؤلفات أخرى تنسب إليه مثل كتاب عن الأوزان وآخر عن الميكانيكا . أما أشهر مؤلفاته على الإطلاق فهو كتابه عن الجغرافيا الذى يقع فى ثمانية كتب بالإضافة إلى أطلس للخرائط منها خريطة العالم . ولم يعتمد فى قياساته على علوم الرياضة والفلك فحسب بل اعتمد أيضًا على تقارير الرحالة . وعند رسمه لخريطة العالم ترك فراغًا فى الجانب الغربى منها وكان يعتقد بوجود قارات أخرى غير أوروبا وآسيا وأفريقيا التى كانت معروفة لعصره . راجع : الروبى ، مصر فى عصر الرومان ، ص٢٧١-٢٧٣ .

فإنه من قبيل العدالة التخمين بأن التعليق commentari الذى ذكره بلينى فى كتابه الثانى كان المقصود به بالتحديد الملاحظات التى وضعت على الخريطة ، ولم تكن كما ظن البعض تعليمات بخصوص رسم الخريطة فى البهو porticus . على أى حال ، يمكن أخذ هذه الفكرة على أنها محتملة إذا لم تكن مؤكدة ، فى أنه كان يوجد نسخ من الخريطة تم نشرها بصحبة النص فى القرن الأول الميلادى بعد ذلك .

من المحتمل أن الخريطة أخذت شكلها من المكان الذى عرضت فيه وهو البهو ، ويفهم من حديث بلينى أنها كانت إحدى الروائع التى كان يمكن لأى فرد فى روما يريد رؤيتها الذهاب إليها للتمتع بمشاهدتها cum orbem terrarum urbi spectandum propositurus esset : وترتيباً على ذلك يمكن أن نتوقع وجود نسخ من هذه الخريطة كانت على شكل لفافة طولية تمثل البانوراما الأفقية داخل البهو . ويتضح من النص المقتبس من بلينى ومن الجغرافيين الذين أتوا بعد ذلك أن عمل أجريبا لم يكن رياضياً علمياً . وإشارة استرابون إلى أهداف الحكومة πραξεις ηγεμονικαι يؤكد أن اهتمامه انصب بالدرجة الأولى على وسائل المواصلات والمظاهر الطوبوجغرافية كالجبال والأنهار والصحارى وما شابه ذلك . وكتب استرابون فوق ذلك إن البحر هو الذى يحدد الجغرافيا ويحدد شكل الأرض، ويشكل الخلجان ، والمحيطات ، والمضايق ، وبالمثل البرازخ، وأشباه الجزر والجبال المتداخلة مع البحر . ويجب إضافة الأنهار . هذه هى العناصر الأساسية التى يمكن بواسطتها تمييز القارات والشعوب والمواقع التى تصلح لإنشاء المدن ، وهى تلك الخصائص المميزة التى نجدها فى" وصف سطح الأرض ο χωρογραφικος πιναξ " (٩) .

منذ الوقت الذى استطاع فيه كونراد بيوتنجر Konrad Peutinger of Augsburg الحصول على خريطة العصور الوسطى التى تحمل اسمه الآن ، " خريطة بيوتنجر Tabula Peutingeriana " ، (ويمكن القول بأنها ترجع إلى أوائل القرن السادس عشر)، أصبح معروفاً لدى غالبية المتخصصين أنه يمكن أن يكون هناك صلة بين هذه الوثيقة وخريطة أجريبا . وتتكون خريطة بيوتنجر من إحدى عشرة قطعة من الرق ،

صُممت لكى توضع كل قطعة منها بجوار الأخرى حتى تبدو عند مَدَّها على شكل لفافة واحدة، مصوراً عليها أنحاء العالم المعمور كله. إن هذه الوثيقة التى وصلت إلى بيوتنجر فى حالة مُجمعة قد تم الفصل بينها الآن وأعيدت السكينة لقطعها الإحدى عشرة مرة أخرى حيث توجد الأن فى المكتبة الوطنية فى ڤيينا Vienna[١٠]. وتفتقد النسخة الحالية للخريطة الجزء العلوى من جانبها الغربى . وهكذا يتضح لأى فرد مهتم بأمر النسخة – الحالية – " أن النسخة الأصلية كانت تتكون من اثنتى عشرة قطعة، ولهذا السبب يمكن أن تتطابق خريطة بيوتنجر مع الخريطة التى ورد ذكرها فى حوليات كولمار Colmar الذى قال : " قمت فى عام ١٢٦٥ برسم خريطة للعالم على اثنتى عشرة قطعة من الرق "anno 1265 mappa[m] mundi descripsi in pellis duodecim pergamenae". أكد العلماء المتخصصون فى الكتابات القديمة والذين لهم القرار فى هذا الموضوع – أكدوا – أن خريطة بيوتنجر تبدو كما لو أنها قد تم عملها فى القرن الثانى عشر أو فى قرن قبل أو بعد هذا التاريخ [١١]. وفى الواقع لا يوجد ثمة شك حقيقى من أن هذه الخريطة كانت نسخة من خريطة قديمة ، ولاشك بطبيعة الحال من وجود قدر كبير من المناقشات التى لها أهميتها فيما يتعلق بتاريخ وخصائص النموذج الأصلى للخريطة القديمة .

تم بناء خريطة بيوتنجر على أساس نظام طرق الإمبراطورية الرومانية . ومن الواضح أنه تم تحديد هذه الطرق بالخطوط الحمراء ، وألحقت المدن الرئيسية بطريقة أو بأخرى بنظام الطرق . وليس هناك عمل علمى يرتبط بالمساحة ، لابد أن بطلميوس كان سيصاب بالانزعاج نتيجة لاضطراره إلى ضغط مساحة أراضى الإمبراطورية الرومانية الضخمة وضمها فى داخل الإطار الأفقى للصورة . إن الخريطة تتجه من الجنوب ؛ بمعنى أن المشاهد عليه أن يتخيل نفسه كما لو أنه يقف فى الصحراء وينظر فى اتجاه الشمال . حيث سيرى الإمبراطور وهو يشير إليه ، فى الجانب المعاكس من أنطيوخ، أو يرى إمبراطوراً آخر يشير إليه من القسطنطينية، وثالثًا من روما . وصنفت أسماء المدن حتى يمكن قراءتها من منطقة شمال أفريقيا ، ويشاهد أيضًا اعوجاج كتلة الأرض التى أخذت جميعها فى التسطح خارج طول خط ساحل أفريقيا الشمالى.

تضم الخريطة التى لدينا عدداً من القصص المسيحية ، مثل الحاشية الخاصة بتفسير جبل سيناء hic legem acceperunt in monte Syna ، أو الإشارة مرة أخرى إلى جبل أوليڤيتى Mons Oliveti عند جيروسالم Jerusalem (بيت المقدس) ، أو عن الصحراء التى تجول فيها موسى وبنو إسرائيل أربعين سنة ubi quadraginta annis erraverunt filii Israelis duceteMoyse ، وأطلق على القسطنطينية ذلك الاسم ، هذا مع أن سكان الإقليم كانوا يُطلق عليهم اسم البيزنطيين Byzantini . ويدل كتابة اسم أنطيوخ بخط صغير أن تاريخها – أى الخريطة – يرجع إلى فترة متأخرة ، ومن الواضح وجود شروح مسيحية عليها ، ولا تدل الخريطة بشكل عام على أنها يمكن أن تستخدم لعلم محدد أو كوثيقة فى الميثولوجيا المسيحية .

يضاف إلى ماتقدم ، أن أسماء عدة مدن على الخريطة كانت هى الأسماء المعروفة فى الفترة السابقة على عصر القنسطنطينية مما يرجح الافتراض بأن شكلها الأصلى لم يكن يتضمن عناصر الفترة المسيحية المتأخرة (١٢). وعلى سبيل المثال فمدينة إليوثيروبوليس Eleutheropolis فى فلسطين عُرفت بهذا الاسم منذ عصر سيڤروس، وكانت تسمى من قبل باسمها المحلى بيتوجابرى Betogabri وهو الاسم الذى ذكرت به فى جغرافية بطلميوس وفى خريطة بيوتنجر . ولا تزال حتى الآن تحمل الاسم نفسه (بيت جوفرن Bet Guvrin) . وأُطلق على ليدا Lydda (لود Lud الحديثة) اسم جديد فى عصر سيڤروس ، وكانت تعرف من قبل باسم مدينة ديوسبوليس Diospolis ، وهو الاسم المذكور فى خريطة بيوتنجر. وهناك مثال مثير آخر يتمثل فى بانياس Paneas التى عُرفت فى عهد هيرود Herods باسم قيصرية Caesarea أو قيصرية فيليبى Caesarea Phlippi ولكن اسمها تغير فيما بعد إلى بانياس ؛ وفى خلال فترات التغيرات التى يدخل فى إطارها القرن الثانى ، يمكننا أن نقول من خلال جغرافية بطلميوس ، أنها كانت تسمى قيصرية بانياس Caesarea Paneas . وهو الشكل الذى يظهر على خريطة بيوتنجر .

فى الواقع إن المطابقة بين الأسماء فى جغرافية بطلميوس والأسماء فى خريطة بيوتنجر دفعت المتخصصين إلى القول بأنه على الرغم من أن الخريطة متشحة بقصص

مسيحية وأنها نُسخت فى العصور الوسطى، فإنه قد تم عملها الأصلى فى فترة زمنية لا تبعد عن القرن الثانى، وربما على أساس مادة خريطة بطلميوس، كانت هذه هى وجه نظر كل من كونتز وكبتسشيك ، ومن الصواب القول إن هذا هو الرأى الذى كان سائداً فى ذلك الحين (١٣). ثم عاد فنكيلشتين وارتد إلى نظرية كونوراد ميللر Konrad Miller والقائلة بأن الخريطة الأصلية وضعها كستوريوس Castorius المتخصص فى وصف الأرض فى القرن الرابع . وهذا القول يؤدى إلى افتقاد مظاهر الاختلاف الأساسية بين النموذج المباشر الذى رسمه الفنان فى نسخة بيوتنجر وبين النموذج الأصلى للخريطة ، وليس هناك حاجة للاسترسال فى القول بعدم احتمال رأى ميللر ، فيما عدا ملاحظته بأن تاريخ القرن الرابع يعدُّ القصص المسيحية جزءًا من الخريطة الأصلية، وهو أمر مستحيل ، وسوف نرى وجود عدد من الإشارات أكثر أهمية من مجرد وجود أسماء الأماكن القديمة لتقرر أن الخريطة كانت تمثل ظروفًا حدثت قبل القرن الرابع .

على أى حال فإن تنسيق الأسماء المترادفة فى خريطة كل من بيوتجر وبطلميوس لا يحتاج بالضرورة إلى القول بأن ذلك يعنى أن خريطة بيوتنجر صُمِّمت على أساس المعلومات التى قدمها بطلميوس إذ كان عمل بطلميوس عملاً علميًا ، فيه القياسات لتحديد الأماكن مع مراعاة الهندسة المساحية ، وألحق بجغرافيته مجموعة من الخرائط πιναkες قدمها طبقًا للقياسات التى قام بها . وعلى الرغم من أن هذا العمل الأصلى الرائع يُعد مفقودًا بالنسبة لنا الآن ، فقد أعيد مراراً نشر هذا العمل والخرائط خلال العصور الوسطى ، لهذا يمكن الافتراض أنه قُدر لعدة خرائط البقاء من مجموعات بطلميوس باللغة اليونانية ، واللاتينية ، والعربية وهى تدل دلالة واضحة على الشكل الذى كانت تبدو عليه خرائطه فى المناطق الخاصة بها .

أما بخصوص خرائط العربية وفلسطين التى تقدم مُعالجة منفصلة تمامًا عن تلك الخاصة بخريطة بيوتنجر ، فمن الواضح أن كلاً من رسامى خريطة بطلميوس وخريطة بيوتنجر لم يكن لأى منهما صلة بالآخر (١٥). لأن التشويه الموجود فى خريطة بيوتنجر لا يمكن أن يكون قام به شخص ينقل مباشرة من خريطة بطلميوس . إن التطابق بين

الحقائق التى ذكرها كل من بطلميوس وبيوتنجر يمكن أن يكون فقط بسبب شيوع تواتر أسماء الأماكن فى أوائل عصر الإمبراطورية الرومانية .

وإذا سلم المرء بأن خريطة بيوتنجر لم تكن تقتفى أثر خريطة بطلميوس (ويؤكد القيام بفحص أسلوب رسامى الخرائط فى العصر البطلمى هذا الرأى)، لذلك لايوجد بديل عن ربط خريطة بيوتنجر الأصلية بالخرائط التى كانت متاحة لبلينى Pliny كنسخ من خريطة أجريبا الكبيرة التى نُشرت فى بهو ڤيبسانيا Portus Vipsania . إن طبيعة التشويه فى خريطة بيوتنجر من السهل تفسيرها . حتى المتخصصين الذين اختاروا تأريخها بالقرن الرابع عليهم قبول أن ذلك التشويه يمكن تفسيره بالإشارة إلى بهو ڤيبسانيا . إن النظرة الفاحصة لمعالجة نظام الطرق والمدن فى منطقة ولاية العربية فى خريطة بيوتنجر تُقدم شهادة مفيدة لاقتراح تاريخ مبكر للفنان الذى قام برسم خريطة بيوتنجر .

ومن الضرورى فى الوقت نفسه أن نستخلص الجزء الآخر الخاص بوثيقة رسام الخرائط فى فلسطين فى العصر الرومانى . وهى صورة الموزاييك فى مأدبه Madaba ، التى يمكن أن تقدم أساسًا للمقارنة ووسيلة ضبط لمناقشة خريطة بيوتنجر . ولاتزال مأدبة مدينة مهمة فى شمال الأردن ، وتُعرف الخريطة باسم المدينة التى أقيمت فيها بالموزاييك على أرضية كنيسة مسيحية قديمة هناك تم كشفها فى أواخر القرن التاسع عشر ، عند تشييد كنيسة جديدة فى الموقع ؛ ومن سوء الحظ أنه لم يعرف بأمرها لفترة زمنية خلال فترة البناء ، لذلك فُقدت أجزاء رئيسية من هذه الوثيقة التى لاتقدر بثمن . واستغرق الأمر طوال عقد من الزمان حتى علم المتخصصون فى الغرب بوجود خريطة كُشف عنها فى مأدبة [١٧]. ولدى علمهم بها بذلوا جهوداً كبيرة للاحتفاظ بما تبقى منها .

تَمتلئ الخريطة برسوم بهيجة ، ليس فقط للأراضى ومدنها ولكن للمياه أيضًا ، خصوصًا مياه البحر الميت ، الذى يطفو فوقه قاربان رائعان ، ونهر الأردن وبعض الأسماك الجميلة التى تسبح فيه بعيداً عن البحر الميت . ويختلف الاتجاه فى الخريطة

تماماً عن ذلك الخاص بخريطة بيوتنجر . فهى تبدأ من الغرب متجهه نحو الشرق – كما لو أن الفرد يقف فى البحر المتوسط ، على ساحل فلسطين وينظر فى اتجاه أورشليم . ومن الواضح أن أورشليم تمثل الجزء الرئيسى من الموزاييك ، ورُسم فيه عدد وفير من التفصيلات الطوبوجرافية . وكذلك تم بالمثل توضيح مدن أخرى ، وشُحنت الخريطة بقصص مسيحية لتثقيف المتدين . وهى قصص عديدة زخرت بالتفصيلات لذلك يبدو أنه من المناسب القول إن الوعظ والإرشاد كانا الهدف الرئيسى فى القيام بعمل الموزاييك .

بدأ المتخصصون منذ ذلك التاريخ فى دراسة هذه الوثيقة، واتضح من أسماء المدن الموجودة عليها ومن ملامحها المسيحية أن أساس الخريطة كان – كتَّاب – الأسماء المستعارة Onomastikon ليوزيبوس Eusebius . وقبلت الدراسة المتأنية التى قام بها مايكل آڤى يوناح Micchael Avi Yonah هذا المصدر وواصل معه المناقشة مع ميل إلى تفضيل أن مؤلف الأسماء المستعارة كان مصحوباً بخريطة ، استطاع القائم بتنفيذ خريطة مأدبة الحصول عليها [١٨]. وربما تكون هى الخريطة التى أشار إليها يوزيبيوس بغموض فى النص اليونانى بقوله: "خريطة (أو قائمة طبقًا لرأى المتخصصين المعارض) يهوذا (فلسطين) القديمة طبقًا للإنجيل كاملاً – καταγραφη καταγραφη της : Ιουδαιας απο πασης βιβλιου" [١٩]. إن إبراز المدن على الخريطة وطريقة اتجاه كل منها للأخرى توضح أيضًا كما أكد آڤى يوناح أن الإطار العام للخريطة تمثل فى نظام الطرق ، كما كان الحال بالنسبة للنموذج الأصلى لخريطة بيوتنجر . ولكن من المهم أن نلاحظ ، أنه إذا كان الوضع كذلك ، فإن الطرق لم تكن ذات أهمية بدرجة كافية حتى أنه كان يمكن لمصنف الموزاييك أن يقوم بحذفها . وعلى ذلك تُعد الخريطة وثيقة مسيحية ، وترجع دون شك إلى أواخر العصر القديم ، وصُممت لتصور بالتحديد الأرض المقُدسة بالنسبة للناظر إليها من الشرق .

علينا الآن أن نضع فى الاعتبار أولاً خريطة بيوتنجر ثم بعد ذلك خريطة مأدبة كدليل ، توضح كل منهما مناطق السُكنى والطرق الرومانية فى ولاية العربية الرومانية . وسوف نتحرك من محطة إلى أخرى على طول خريطة بيوتنجر من رأس خليج العقبة

إلى الاتجاه شمالاً داخل إقليم ولاية الرومان العربية . وواضح على رأس خليج العقبة الميناءان التوأمان إيلات Elath والعقبة Aqaba القائمان حتى الآن والموضحان على الخريطة باسم هَيَله Haila (أيلة Aela هو الاسم الأكثر شيوعاً فى المصادر الكلاسيكية)، لتلك المدينة القديمة على رأس الخليج ، وكما يقال دائماً فى هذا المجال فإن استمرارية الاسم فى العصر الحديث يُعد دليلاً أكيداً على المكان القديم . ولا يوجد أدنى شك حول مكان أيلة القديم ، لذلك فنحن متأكدون من استمرارية هذا الاسم بشكله الحديث وهو إيلات Elath . وإذا تحركنا فى اتجاه الشمال ، فلدينا بعد ذلك اختيار خريطة بيوتنجر للسير داخل النقب Negev عن طريق الشمال الغربى ، أو عبر شرق الأردن عن الطريق المباشر المتجه إلى الشمال، فى اتجاه القمة، التى تنتهى إلى دمشق .

وإذا اتخذنا أولاً طريق شرق الأردن ، تكون المحطة التالية لأيلة Aela هى التى يشار إليها باسم برايسيديو Praesidio (براسيديوم Praesidium) التى تأتى بعد مسافة عشرين ميلاً من أيلة . والأمر الجدير بالملاحظة أن الفواصل التى أعطيت بالأميال الرومانية التى وردت الإشارة إليها فى خريطة بيوتنجر ، فى الأماكن التى يمكن قياسها كانت على درجة كبيرة من الدقة . والشىء الغريب أن مسافة الفواصل بين العلامات على الخريطة تعكس بانتظام المسافات المعطاة لأرقام العلامات لدرجة أن المسافة الأقصر يمكن إلحاقها بمسافة أطول من الخط . ومن الواضح أن السبب فى ذلك يرجع إلى التشويه الغريب الذى نتج عن التصميم الأفقى للخريطة . وبعد عشرين ميلاً من رأس خليج العقبة حتى الحَسمى Hisma على طول وادى يُتم نصل إلى منطقة مخلفات قديمة هى خربة الخالدى Khirbet al-khalde والتى أمكن مطابقتها بشكل معقول حديثًا بموقع براسيديوم Praesidium ، وتتمثل المحطة الثانية فى الهوارة Hauarra ، التى تقع على بعد ٢٤ميلاً ، وهنا تأتى المصادفة فى أن مكان الهوارة على خريطة بيوتنجر ينطبق على المخلفات المادية لموقع الحُمَيّمَة Humaima الحديث ، التى لا تزال فى الحَسمى وتتطلب مزيداً من الدراسة . وتظهر الهوارة فى قوائم بطلميوس بالاسم نفسه Hauara، ومن الواضح أن كلتا الكلمتين تعكس الكلمة العربية الهوارة التى تعنى " أبيض " – الأبيض .

إن الرحالة الذين يعرفون الشام Levant يدركون كيف أن كثيراً من المواقع المحلية تسمى بأسماء الألوان ، وبعضها يبدو مألوفًا من المغرب الإسلامى أيضًا مثل : الدار البيضاء "المنزل الأبيض "فى مراكش والمعروفة أيضًا باسم كزابلانكا Casablanca ، والهمبرا Al-hambrā التى تعنى ببساطة الأحمر (أى القلعة) "الحمراء" . ولاحظ موسل Musil المستكشف التشيكى فى بداية القرن العشرين أهمية استخدام اللون الأبيض فى أحد الأماكن التى تقع جنوب الأردن لأنه يعكس بلا شك لون الحجر والمبانى فى المنطقة . [٢٠]. إن البقايا فى الحُمَيِّمَة ، التى تطابق الهوارة بالتأكيد ، تحمل اسم الحميمة الذى يعنى هو الآخر " الأبيض " فى اللغة العربية . ويبدو واضحًا بجلاء أنه تم الاحتفاظ بالمرادف الأصلى للمعنى فى الاسم الحالى ، على الرغم من استبدال الكلمة التى كانت مستخدمة . وقام ديفيد جراف David Graf من جامعة ميتشيجان Michigan – الأمريكية – بإجراء عدة استكشافات فى منطقة الحُميمة والمناطق المحيطة بها فى السنوات المعاصرة . وأثبت فى النهاية أهمية هذا المكان كموقع رومانى ، كما أكد على وجود آثار "طريق تراجان الجديد Via Nova Traiana " بعد هبوطه من هضبة الشارة Shara فى طريقه للاتجاه جنوبيًا إلى خليج العقبة [٢١]. وهو يقع مباشرة فى شمال الحُمَيِّمَة فى موقع يسمى بَيضه Baidā ، الذى يعنى أيضًا " أبيض " . وتعنى ملاحظات جراف أن طريق تراجان فى جنوب الأردن كان لا يقتفى بالتأكيد أثر الطريق القديم الحديث فى الصعود إلى الجَرف .

ومن الهوارة وُضعت علامة على خريطة بيوتنجر تتجه ناحية الشمال أعلى الهضبة لمسافة تبلغ ٢٠ ميلاً حتى الموقع الذى وُضع عليه علامة زاداجاتا Zadagatta ، وهذا ينطبق تمامًا على زاناثا Zanaatha فى جغرافية بطلميوس [٢٢] وزوداكاثا Zodacatha فى كتاب مناصب الحكم الشرقية Notitia Dignitatum [٢٣] ، واستمر الاسم حتى العصر الحديث فى شكله الحالى صَدقه Sadaqa. ويواصل الطريق سيره على الخريطة من زاداجاتا إلى البتراء ، أشهر مدينة فى جنوب الأردن ، ووضعت عليها واحدة من التوريقات (الحلِيّات الصغيرة) التى تميز خريطة بيوتنجر، ومَبنى له بُرجان قام ليڤيس Levis

يشرح أهميته فى خريطة بيوتنجر كدليل على "سلك الوظائف العامة cursus publicus(٢٤). ومن الواضح جليًا أنهم لم يستطيعوا إثبات وجهة نظرهم . وستظل فى إطار الممكن ، على الرغم من أن وجود فصائل من القوات العسكرية يمكن أن يقدم تفسيراً لوجود التوريقات (أو الحليات الصغيرة). وفى كل الأحوال فإن البتراء صُورت كموقع مميز على طول الطريق .

يتحرك الطريق من هنا لمسافة ٢٢ ميلاً نحو موقع نيجلا Negla . الذى يبدو أنه نيكلا Nekla المذكورة فى قائمة بطلميوس (٢٥). ويمكن تحديد هذا الموقع من خلال بقاء اسم المكان فى عين (نبع) نيجل Ain Nejl' ، فكل من حرفى [J,g] يمكن استبداله فى ترجمة الأسماء العربية . وتقع عين نيجل أسفل المرتفع الكبير لجبل شوبك Shōbak بقلعته التى ترجع إلى العصور الوسطى ، ويتوقع المرء أن نيجلا على الخريطة تمثل المنطقة بأكملها ، بقلعتها ونبع الماء فيها .

وحذفت الخريطة المسافة بين نيجلا ومنطقة ثورنيا Thornia التالية ، ويمكن أن يتم التأكد من ذلك عن طريق القيام بحساب المسافة على جانبى هذين الموقعين ، ومقارنتها بالمسافة الكلية المعروفة بين البتراء وفيلادلفيا Philadelphia وهى عَمان الحالية . وكما أكد كل من برونو Brūnnow ودوماسفسكى Domaszewski فإن ثورنيا يجب أن تمثل موقعًا على طول الطريق الرومانى المعروف اليوم بثاوانا Thawanaوالاسم الحديث تحريف سيئ من الاسم القديم . وتشكيل كلمتى ثانا Thana وثاوانا Thāwana يشير إلى الاسم العربى ثاوا Thawā كأصل (جذع) يشير إلى نزل – فندق – ليلة واحدة . ويمكن ملاحظة أن الاختلاف فى شكل هذه الكلمات يدل بشكل خاص على أن النموذج الأصلى لخريطة بيوتنجر وبطلميوس قد اعتمد على مصدر واحد مشترك بدلاً من القول باعتماد خريطة بيوتنجر على عمل بطلميوس (٢٧).

يوجد مسافة ٤٨ميلا من ثورنيا إلى رَباباتورا Rababatora وهى موقع مشهور فى وسط الأردن . إن اسم ربة Rabba أو ربات مؤاب Rabbatmoab ربما يتضمن فى تكوينه بيتورو Betoro أوبيتورا Betora الذى أصبح طبقًا للافتراض المقبول ، اسمًا

لمعسكر الفرقة الذى أُنشئ بالقرب من الكرك Karak فى الليجون Lejjūn [٢٨] . ولكن من الملاحظ عدم وجود مثل هذا المعسكر على الخريطة ، كما لا يوجد مكان خاص لبيتورو ، أو بيتورا عليه علامة فى خريطة بيوتنجر بشكلها الحالى . بعد ذلك يتحرك الطريق مباشرة إلى فيلادلفيا ، أو عمان ، بينما يوجد طريق آخر منفصل ينحرف إلى غرب ربّة ، ليعبر منخفض وادى عربة العميق والحار ، جنوبًا إلى البحر الميت . وسوف نعود مرة أخرى إلى ذلك المعبر فى مرحلة قادمة ، عند القيام ببحث حول الصلة بينه وبين مدن النقب .

يتجه الطريق أعلى فيلادلفيا إلى مكان يسمى جادة Gadda ، على مسافة ١٣ميلاً ويسمى الموقع على الجانب الآخر باسم حاتيتا Hatita بعد مسافة تبلغ ١١ميلاً . وعلى الرغم من محاولة بعض المتخصصين مطابقة حاتيتا بمنطقة الحديد Hadid فى العصر الحديث[٢٩]، فإن المسافة بالأميال من عمان أكبر من أن تسمح بذلك . إضافة إلى أن استبدال حرف الدال (d) بحرف التاء (t) يمثل مشكلة أكبر مما يبدو الوضع عليه . إن المسافة إلى جادة تعنى أن الحديد هى فى الواقع جادة ، لأن حرف الجيم (g) يمثل نطق حرف الحاء (h) الحلقى ، وإن ازدواج الحروف الساكنة تم فصلها فى الأسماء الحديثة . على ذلك تكون حاتيتا هى موقع خربة سمراء Khirbet Samra . وعند هذه النقطة من الطريق على خريطة بيوتنجر يتفرع الطريق إلى فرعين ، يمر أحدهما إلى ثانتيا Thantia ثم يتجه غربًا إلى تيبرياس Tiberias . أما الآخر فيمر عبر طريق كاناثا canatha (قنوات Canawat) إلى دمشق .

إن تفرع ثانتيا يَعبر بوضوح وادى سرحان ويمر مباشرة إلى المدينة الكبيرة التى كانت تستعمل كقاعدة للفرقة الرومانية فى ولاية العربية ، وهى مدينة بُصرى التى وضعت علامة التوريقة – حلية – عليها ، ويبدو الوادى الذى تعبره الطرق على الخريطة موازيًا تقريبًا لنهر الأردن ، وبسبب ضغط الملامح فى الرسم الأفقى فإنه يمكن مطابقتها كهيروماكس Hieromax وهى تمثل الآن وادى اليرموك Wādī Yarmūk بامتداده داخل وادى بوتم Wādi Butm، والمنخفضات الأخرى التى تتجه داخل الصحراء

السورية شمال وادى سرحان . أما ثانتيا التى تقع بين حاتيتا وبُصرى ، فإنها تطابق المدينة النبطية العظيمة ثم الرومانية البيزنطية فيما بعد ، التى شيدت بأكملها من حجر البازلت الذى قطع من مدرجات الإقليم التى تعرف باسم " أُم الجِمَال " أى " ذات الجِمَال " [٣٠]. ويمكن مشاهدة طريق رومانى بوضوح بالقرب من موقع أُم الجِمال وليس على امتداده الذى يؤدى مباشرة إلى عاصمة الولاية فى بُصرى . وليس هناك شك فى أنه الطريق نفسه الذى صور على خريطة بيوتنجر (حتى إذا كان رصفه الحالى قد تم فى فترة متأخرة). ولكن لما كانت أم الجمال لا تقع بالفعل على هذا الطريق فمن الحكمة القيام بالبحث عن هوية أخرى لثانتيا Thantia [٣١] .

إن الأمر المثير للدهشة هو بالتحديد بخصوص الامتداد المتجه غرب الطريق بعد "جادة" Gadda ، وبعيداً عن الألغاز حول إثبات المواقع ، فإن ذلك يرجع إلى أنه لا يتجه من بُصرى شمالاً إلى دمشق ، كما يرى معظم المؤرخين وطلبة تاريخ الشام فى العصر الرومانى ، وبدلاً من ذلك فإن الطريق يتجه غرباً إلى أدرها Adraha ، وهى درعا Dera الحديثة إلى "المدن العشرة الكابيتولية Decapolis city of Capitolias " ثم إلى جادرا Gadra (أم قيس الحديثة Umm Qeis) ، لتعبر الأردن إلى المدينة الفلسطينية الغربية تيبرياس Tiberias ، حيث يوجد هناك حلقة اتصال فى اتجاه الجنوب إلى سكِثوبوليس Scythopolis ومنها إلى أورشليم، وأيضاً إلى منطقة أبعد غرباً إلى ساحل البحر المتوسط .

ولا يوجد اتصال بدمشق من بُصرى على خريطة بيوتنجر كما يتوقع المرء بالتأكيد، حيث إن بُصرى تصلح أكثر كحلقة اتصال مع الغرب، على طول الساحل . أما بخصوص المسار الشمالى فيمر الطريق من هاتيتا Hatita أعلى الامتداد الطولى دون تحديد محطات ، ويصل فى النهاية إلى خاناتا Chanata ، وهى بدون شك كاناتا(كاناثا) Canata Canatha ، القنوات Qanawat الحديثة [٣٢]. يأتى بعد القنوات مكان يسمى أينوس Aenos [٣٣] . ومن هناك يعبر الطريق مباشرة إلى دمشق ، وتمت الإشارة إليه بتَوريقة (حِليّة) أخرى .

إن خط سير هذا الطريق بين فيلادلفيا ودمشق يحتاج إلى مزيد من الاهتمام ، والقنوات Qanawat هى مفتاح الحل . فقد ثبت أن وجود عدد كبير من الممرات الشرقية أكثر مما يتوقعه المرء كان هو نمط الطرق فى الفترة التى تمت فيها النسخة الأصلية من خريطة بيوتنجر . إن المدينة النبطية الكبيرة التى تقع فى الحوران لم تكن تقع على الطريق الذى قام الرومان ببنائه بالفعل للربط بين دمشق وصلخد Salkhad عن طريق من الليجا . كما أن الذهاب إلى دمشق عن طريق القنوات via Qanawāt يعنى بالتحديد المرور على طول المنحنيات الغربية لجبل الدروز على يمين المسافر ، ثم بعد ذلك إلى الشمال الغربى على طول الحافة البركانية الموحشة لهضبة الليجا ، وتراخونيتيس Trachonitis القديمة . ومن الجنوب يمر الطريق من السُويداء 'Suweidā إلى القنوات ، ويستدير حول الليجا بدلاً من عبورها . وهناك حقيقة لها أهميتها الكبيرة تتمثل فى أن الطريق الرومانى الكبير الذى عبر الليجا لا يظهر على خريطة بيوتنجر (٢٤) . ويمكننا أن نستدل من ذلك على أنه لم يكن قد تم بناؤه عند رسم الخريطة.

وحتى إذا رغب المسافرون فى المرور من بُصرى عن طريق قنوات إلى دمشق ، فعليهم أن يتخذوا طريقهم إلى السويداء أولاً ، ويمكنهم أن يتّبعوا الطريق الذى عليه علامة على خريطة بيوتنجر (طريق السويداء – القنوات) جنوب السويداء عند تقاطعه مع الطريق بين بُصرى وصَلخد (٢٥). إن المفهوم ضمنًا من تفرع الطريق الرئيسى القادم من الجنوب، هو وجود كثافة مرورية عميقة فى الداخل . ويبدو أن هذا الاستنتاج قد تأكد من المرور الذى نعرف أنه كان موجوداً فى وادى سرحان فى عصر الأنباط ، وفى الفترة التالية له أيضًا ، ووجود المستوطنات الرومانية منذ فترة مبكرة نسبيًا فى أم القطين Umm al-Quttein ودير الكهف Deir al -Kahf فى المنطقة بين الواحة عند الأزرق وجبل الدروز .

وفوق كل ذلك فإن هذه القطعة التى تقع أكثر شمالاً من خريطة بيوتنجر تفترض أن بُصرى كانت تخدم فى الوقت الذى تم فيه إنشاؤها ليس كحلقة اتصال بالشمال ولكنها كانت تعمل أكثر كحلقة اتصال بالغرب ، وأن المنطقة الصحراوية التى تقع إلى الشرق من بُصرى كانت أكثر تبعية للمواصلات الداخلية أكثر مما يتوقع .

فهذه الحقيقة إلى جانب حقيقة كون البتراء قد فَسرت ذلك يعطيها قدراً مساوياً مع فيلادلفيا وبُصرى ودمشق ، كما أنه يفسر ذلك الوضع الذى سجلته الخريطة بأنه يرتبط بتاريخ مبكر من عصر الإمبراطورية . لقد تدهورت أهمية البتراء مادياً بعد القرن الأول الميلادى ، لسببين ؛ الأول : بسبب تقلص التجارة البرية على الطرق الداخلية والخارجية إلى غزة Gaza (بعد اكتشاف الرياح الموسمية)، وثانياً : بسبب بروز أهمية بصرى بعد أن استقرت فيها فرقة قورينة الثالثة (٣٦). ولسنا فى حاجة إلى القول إن طريق ديقلديانوس Strata Diocletiana الذى نعرف أنه كان يتجه من جنوب دمشق إلى الأزرق عن طريق صعن Saane قد اختفى اختفاءً كاملاً من خريطة بيوتنجر (٣٧). ويجب شرح هذا الاختفاء بعيداً عن أى علاقة تربطه بالتاريخ المقترح فى القرن الرابع للنسخة الأولى لخريطة بيوتنجر .

يجب أن نلاحظ أيضاً ، بخصوص ما يظهر من المصادر المستقبلية لتحليل هذه الوثيقة ، أن الطريق بين بُصرى وتيبرياس ، على الرغم من حقيقة كونه يتجه تقريباً إلى الغرب ، فإنه يظهر فى خريطة بيوتنجر متوازياً مع الطريق من هاتيتا إلى دمشق ، الذى يتجه رأساً تقريباً ناحية الشمال . إن مثل هذا التشويه يمكن أن يؤدى إلى الوقوع فى الخطأ . إلا إذا أمكن التحكم فيه بأدلة تاريخية .

نعود مرة أخرى إلى تفرُّع الطريق الرومانى فى الجنوب ، حيث يمكننا أن نرى مَعبَرين رئيسيين يعبران منخفض وادى عربة العظيم، الذى يمتد من جنوب البحر الميت هابطاً إلى رأس خليج العقبة ، ويوجد أحد هذه المعابر بالقرب من أقصى الجنوب ، ويبدو أنه يتجه إلى غرب برايسيديوم Praesidium ، والثانى إلى الشمال من ربَّه إلى المكان الذى وضعت عليه علامة ثامارو Thamaro ، إلى إليوسا Elusa ، وهى خالصة Khalasa الحديثة (وقد احتفظت بالاسم القديم)، وهى موقع يحتوى على آثار قديمة مهمة ، حيث المكان الذى تم فيه اكتشاف أقدم النقوش النبطية (٣٨). وعلى الرغم من جهود البرشت أولت Albercht Alt المكثفة فى الفترة المبكرة وجهود موردخاى جيشون Mordechai Gichon حديثًا اللذين أثبتا وجود أجزاء من قلعة castella فى وادى عَربة كانت جزءاً من دفاعات الحدود limes ، ويتضح من خريطة بيوتنجر على الأقل أنه ليس

هناك أى دليل على وجود طريق ذى أهمية يَعبُر وادى عربة فى وقت تنفيذ النسخة الأصلية من الخريطة [٣٩]، وفيما يخص المسافة الممتدة التى حملت أسماء عديانام Addianam ، وراسا Rasa ، وجِبسَاريا Gypsaria ، ولوسا Lusa ، وعبوده Oboda وإلوسا Elusa فإن جميع هذه المواقع تقع إلى الغرب من وادى عَربة . وهذه قضية أخرى يمكن السيطرة عليها من خلال معرفة أماكن عديدة لهذه المواقع، ويبدو أن الطريق كان يتجه من الشمال إلى الجنوب، إضافة إلى طريق آخر يتجه من الشمال إلى الجنوب ولكنه فى الواقع يتحرك غربيًا . ويمكن تمييز عديانام التى تعرف باسم غاديان Ghadyan الحديث المرادف له [٤٠]، وهو موقع يوجد فيه بقايا أثرية رومانية مهمة ، على الجانب الغربى من عَربة . مع عُبوده Oboda (عقدات 'Avdat) التى أجريت حفائر فيها فتقع فى النقب ، إلى الشمال الغربى من غاديان [٤١].

يرتفع الطريق بعد ذلك فوق وادى عربة عند غاديان، ثم يتحرك باطراد نحو الغرب فى اتجاه ماختش رامون Makhtesh Ramon ليتخذ طريقه إلى عُبوده وما يليها بعيداً إلى الشمال الغربى ، إلى إلوسا (خالصة Khalaṣa) . والشىء الذى يُفهم ضمنًا من الوثيقة بخصوص عدم وجود قلاع على طول وادى عربة قد تم التأكد منه طوال التاريخ الرومانى بواسطة التنقيبات الأثرية التى قام بها دافيد جراف فى الموقع [٤٢]؛ لأنه وجد أن مثل هذه القلاع كان يمكن رؤيتها وإثبات هويتها – ولم تكن كثيرة العدد – وكانت مرتبطة بينابيع المياه أو الأودية على جانبى وادى عَربة . ولكن لا يوجد أى دليل على وجود هذه القلاع castella على طول الوادى.

على ذلك فإن الوصلة التى تقع بأقصى الجنوب مَرَّت من أقصى برايسيدوم Praesidium إلى غاديان ، ثم صعدت بعد ذلك عبر المنطقة الموحشة فى اتجاه الشمال الغربى إلى عُبودة وإليوسا . والأمر الطريف بالنسبة للتقاطع الآخر أنه لم يكن يمر بالبتراء ولكنه يمر عبر ربّه . وكان الطريق من ربّه إلى ثامارو Thamaro ثم إليوسا يمكن تحديده ليس فقط بالإشارة إلى ثامارو المذكورة فى جغرافية بطلميوس [٤٣] وقرية ثمارا Thamara kome التى ذكرها يوزيبيوس Eusibius فى الأسماء المستعارة

Onomastikon ، والتى قام سيك Seeck بمطابقتها بتاريا Tarba فى كتاب المراتب الشرقية Notitia Dignitatum [٤٤]، ولكن أيضًا من خلال البقايا الأثرية فى المنطقة التى تتوافق مع حساب المسافة بالأميال التى قدمتها خريطة بيوتنجر . ويعنى ذلك أن ثامارو يجب أن تتطابق مرة أخرى مع الموقع الموجود خارج وادى عربة فى أعلى الغرب منه ، فى قصر الجُهينيَّة Qasr al-Juheiniya الذى يُعرف الأن محليًا باسم مزاد تمر Mezad Tamar [٤٥] . إن الدليل الذى يقدمه يوزيبيوس والمراتب الشرفية فقط كافٍ لإثبات أن هذا المعبر الشمالى ثبت وجوده فى الفترة القديمة المتأخرة وكان مُحصنًا، ويبدو فى كل الأحوال أن التقاطع الجنوبى اختفى، فعلى الأقل لا يوجد أى أثر له فى المصادر التالية. ويبدو أن مركز غاديان Ghadyan ، أو أديانام Addianam قد اختفى ،وحل محله موقع لقوات عسكرية سُجلت فى كتاب المراتب Notitia عند أرِديلا Aridela [٤٦]، ومن الواضح أنها هى جاراندال Gharandal الحديثة التى تقع شمال غاديان ، على الجانب الشرقى من وادى عربة مرة أخرى ، ومن الواضح أن أريدلا Aridela كانت تقوم كنقطة مراقبة وحراسة للأقليم وليس كنقطة عبور .

وترتيبًا على عدم وجود أى تقاطع، حتى على خريطة بيوتنجر من البتراء إلى النقب، فإن التنقيبات الأثرية التى تم إجراؤها فى العقد الأخير (أى فى الثمانينيات من القرن الماضى) أوضحت أن الطريق إلى غزة من البتراء لم يعد هو الطريق الكبير الذى كان موجودًا خلال القرن الأول الميلادى . وتعكس خريطة بيوتنجر هذا الوضع لأنه لم يكن يوجد فيها خط رئيسى للمواصلات التى تقع غرب البتراء ، بينما كان لا يزال يوجد تقاطع وادى عربة من الجنوب ، كما لم يكن موجودًا فى القرون التالية . إن وجود هذا الدليل إضافة إلى وجود الدليل الخاص بالشمال يوضح بدون التباس مرة ثانية أن تاريخ النسخة الأولى لخريطة بيوتنجر يرجع إلى الفترة المبكرة من عصر المواطن الأول [٤٧] .

وإذا عدنا إلى خريطة بيوتنجر، فلن يكون لدينا أدنى شك فى أننا نتعامل مع عمل من أواخر العصر القديم . واعتمادًا على يوزيبيوس فى – كتاب – المراتب التشريفية والخرائط الملحقة به (إذاكان ثمة وجود لها)، فسوف يقودنا إلى وضع تاريخ متأخر،

مثل ذلك الذى يسمى الجديد Nea فى أورشليم، الذى سيعطى تاريخًا لإعدادها بعد نوفمبر عام ٥٤٢ (٤٨)، ومما يؤسف له أنه لم يتبق من الخريطة ما يكفى حتى يمكن القيام بعمل مقارنة كاملة مع خريطة بيوتنجر بالنسبة لإقليم ولاية العربية الرومانية ، فى المنطقة التى تداخلت فيها الخريطتان – وهى وادى عربة والنقب – فهناك اختلافات مهمة ومثيرة للانتباه ؛ إذ إنّ الناظر المدقق سوف يلاحظ تكاثر المدن الواقعة شمال النقب فى هذا العصر المتأخر . وبدأت الحفائر الأثرية التى تمت فى العقدين الأخيرين (١٩٦٠–١٩٨٠) تكشف شيئًا عن ازدهار النقب فى العصر البيزنطى ، التى جاءت الإشارة إليها فى الأعمال المبكرة فى نيسانا Nessana وفى شيفتا Shivta (ولم تنشر الأخيرة بسبب المشاكل التى ارتبطت بها) (٤٩) . وظل ازدهار النقب فى تلك الفترة لايوازيه شىء حتى قيام المعجزة الزراعية فى العصر الحديث ، وظهرت إليوسا فى خريطة مأدبة مدينة لها أهميتها . ومن المحتمل أنه كان يمكن ظهور عبودة فى الجزء الذى فُقد (من الخريطة) ، لأننا نعرف أن المدينة كانت مزدهرة خلال تلك الفترة . وتوضح الخريطة أسماء عدة أماكن مثل سوبلا Sobela وسيانا Seana ، التى لا يُعرف عنها شىء نهائيًا .

تُعد مدينة مامبسيس Mampsis أشهر مدينة ظاهرة فى هذا الجزء من الخريطة للنقب ويمكن بسهولة مطابقتها بكورنب Kurnub التى قام إفرام نجف Avraham Negev بإجراء حفائر نجحت فيها نجاحًا فريدًا (٥٠)، وتبدو أهمية مامبسيس ليس فقط فى بروزها على خريطة مأدبة، بل من خلال المنشآت العديدة التى كُشف النقاب عنها الآن. لقد كانت موجودة فى عصر الأنباط وأوائل العصر الرومانى ومن الواضح أنها كانت قليلة الأهمية . ويشير عدم وجودها فى خريطة بيوتنجر مرة أخرى إلى التاريخ المبكر للنسخة الأصلية، وكدليل على التغييرات التي دخلت على تشكيل نظام الطرق ، ويظهر بوضوح مما تبقى من خريطة مأدُبة أنه لايوجد شىء أكثر من ظهور الدمار والتخريب الذى أصاب الجزء الجنوبى من النقب وأغلب وادى عربة أسفل الجزء الشمالى . وتشير إحدى القصص صراحةً على مجاهل زين Zin ، حيث أرسل المَنّ manna على بنى إسرائيل.

ولا توجد أية إشارة إطلاقًا ولو بسيطة عن أى طريق أو أى مدينة فى جنوب وادى عربة أو فى الواقع إلى أى مستوطنة عبر جنوب النقب من وادى عربة .

وهناك ثلاثة مراكز أشارت مباشرة إلى جنوب البحر الميت إلى الشرق من مامبسيس . ووضح أنها كانت تنتظم من الشمال إلى الجنوب ، فيما يبدو فى العربية نفسها ، أسفل أشجار النخيل المتشابكة وأشارت إلى انعزالها فى الكلمة herem (المُنعزل). لكن الواقع أن ثمارا Thamara كانت أحد هذه الأماكن التى كانت معروفة من خريطة بيوتنجر وجغرافية بطلميوس. وهى كما نرى لم تكن موجودة فى وادى عربة نفسه ، ولكنها تُعد بمثابة أماكن على الربوة التى تقع فوقها عند قصر الجهينية . وعلى ذلك لابد أن نفترض أن الخريطة تضع ثامارا على الربوة التى نُقشت فيها أجزاء الجبال الوعرة الواقعة فوق مامبسيس بالألوان . أما برايسيديوم Praesidium ، التى تظهر فى الاختصار المذكور فى اللغة اليونانية فى شكل براسيدين Prasidin ، فمن الواضح أنها غير برايسيديوم Praesidium الموجودة فى الجنوب ، والمعروفة من خلال نظام طرق خريطة بيوتنجر . ويبدو أن الجزء الأكبر من هذا الحصن يتطابق بالتأكيد مع البقايا الأثرية لقصر الفيفاء Qasr al- Feifa الذى يقع على الجانب الآخر من وادى عربة (٥١). وبمعنى آخر فإنه يوجد لدينا ممر شمالى لا يشبه الممر الشمالى لوادى عربة فى خريطة بيوتنجر ، وهو لم يذكر فى هذه المرة فقط مع ثامارا على المنحنى الغربى فوق وادى عربة بل أيضًا مع المركز الشرقى لبرايسيديوم .

ويظهر مركز ثالث على خريطة مأدبة ، ولكنه يسبب مشكلة كبيرة . وهو مركز مويا Moa الذى يمكن أن يفترض المرء بسبب علاقته بكل من برايسيديوم وغرب ثمارا أنه لابد أن يمثل منطقة تقع فى مكان ما إلى غرب ثامارا ، فى الطريق إلى مامبسيس. إن هذا المكان على وجه التحديد ينبغى علينا القيام بتحديده ، ولكنه يُغرى بعقد مقارنة بينه وبين مايرادف اسمه فى كتاب الألقاب التشريفية: Notitia Dignitatum equites sagittarii ibdigenae Moahilae (٥٢) . وبما أن المرادف للاسم فى اللغة السورية والآرامية يعنى "القوات العسكرية " أو "الفصيلة "وهى بالتحديد" ḥāila " ، لذلك يبدو أن

كلمة Moahila هى محاولة لنطقها باللغة اللاتينية للدلالة على" القلعة الموجودة فى مويا " Moahila أو Moahaila . وفى الحقيقة يوجد هناك اختلافات فى النسخ الخطية لكتاب المراتب التشريفية مما يجعلنا نميل إلى ترجيح شكل هذه الترجمة للاسم الذى يمثل لغزًا [٥٣]، ولذلك فمن الممكن أن تكون كل من موهيلاى Moahilae المذكورة فى كتاب المراتب الشرفية وموبا Moa المذكورة على خريطة مأدُبة هى لشىء واحد وللمكان نفسه، لكن ذلك لا يساعدنا فى أن نقرر أين يقع المكان بالفعل بلغة الجغرافية المعاصرة . على أى حال فإن هذا الشك لا تأثير له على النتيجة المستمدة من خريطة مأدبة عن وجود ممر واحد كبير فقط لوادى عربة من خلال طريق يقع عليه عدد من المستوطنات . كان ذلك إذًا فى الشمال .

إن الأدلة الطبوجرافية فى المنطقة القريبة من مامبسيس ربما تدل على ماختش – ها القطان Makhtesh ha - Qatan وماختيش ها – الجدول Makhtesh ha - Gadol وهما منخفضان فى الأرض ، يقعان فى مواجهة المرتفعات القائمة أعلى مامبسيس على طول امتداد علامات صحراء يهوذا (فلسطين) . ويبدو أن هذه الألوان قد استخدمت لكل من الأعماق الكبيرة والارتفاعات الكبيرة . ويظهر جبل سيناء واضحًا للعيان بالألوان السوداء والصفراء والزرقاء الداكنة فى الجانب الجنوبى من منطقة الزين Zin الموحشة .

وفى منطقة شرق الأردن حيث تهشمت خريطة مأدبة لسوء الحظ. فلا تزال توجد هناك قطع كافية من الموزاييك نرى منها خراكوميا Chracomba ، الكرك Karak الحديثة، وقد ظهرت بمظهر رائع يلى فى المرتبة الثانية مباشرة أورشليم نفسها ، وربما يساوى فى أصالته ذلك المكان المطابق لعسقلون Ascalon وبلوزيوم Pelusium (الفرما)، وأصبحت مدينة خاراكوميا مدينة بيزنطية كبيرة ، على الرغم من أنها كانت موجودة أيضًا فى الفترة المبكرة من الحكم الرومانى . ولكن على الرغم من موقعها المهيمن، ودورها كمركز للإدارة المحلية، فإنها ليست واحدة من المدن الرئيسية فى تلك الفترة . إن غياب كراكوميا من على خريطة بيوتنجر ، بالمقارنة مع ظهورها البارز على

خريطة مـأدبة يُعد دليلاً قوياً آخر على تاريخ المعلومات المستمدة من هاتين الوثيقتين ، وباختصار فنحن لدينا صورة من خريطة مـأدبة من أواخر العصر القديم ، وعند عقد مقارنة بينها وبين خريطة بيوتنجر يمكن أن نخرج منها بنتائج مختلفة .

إن ازدهار النقب وتقزيم الاتصالات مع منطقة فلسطين على الجانب الشرقى من وادى عربة ؛ أى مع إقليم البتراء والحَسمى Ḥismā يُمكّننا من القول بأنه يعكس بصدق مركز ذلك الإقليم فى أواخر العصر القديم . كانت النقب جزءًا من ولاية فلسطين الثالثة Palaestina tertia ، وكانت جزءًا من الإمبراطورية البيزنطية ، لكن الإقليم الذى يقع أسفل الحَسا Ḥasā – وهو إقليم إيدوم Edom جنوب مؤاب Moab – كان قد تم انتزاعه منذ فترة طويلة لمصلحة حكامه phylarchs الوطنيين ، أو شيوخه الذين يرجعون فى أصولهم إلى القبائل شبه البدوية . ولم يعد يكوّن جزءًا من الإدارة البيزنطية بعد ذلك . وفى الجانب الآخر كانت مؤاب فى كل من كاراكومبا وربّه من بين مدنها الرئيسية تواصل ازدهارها فى ذلك الوقت، وعندما قام يوزيبيوس بكتابة كتاب الأسماء المستعارة Onomastikon ، ظل إقليم إيدوم والحسمى فى جنوب الأردن لمدة قرن أو أكثر مستمراً فى تبعيته لإدارة الدولة البيزنطية ، وأصبح يدخل ضمن ولاية فلسطين المُوسّعة ليصبح أخيراً جزءًا من ولاية فلسطين الثالثة Palaestina Tertia ، ومن المفهوم تبعًا لذلك أن الذى قام بإعداد خريطة مأدُبة ضم تلك الأماكن مثل أوارا Auara وزاداجاتا Zadagatta والتى كانت معروفة من خريطة بيوتنجر ومن كتاب المراتب التشريفية Notitia Dignitatum . لقد كانت بمثابة مراكز على طريق استمر على أهميته حتى تم هَجْر المنطقة جنوب شرق الأردن . وفى الواقع إن ظهور مكانين باسم برايسيديوم Praesidium فى كتاب المراتب التشريفية فى فلسطين يُدعّم معلومة تأكد وجودها من الأدلة التى جُمعت من كل من خريطة بيوتنجر وخريطة مأدبه على النحو التالى : كانت هناك برايسيديوم واحدة تقع فى الجنوب فى منطقة الحسمى الأردنية إلى الشرق من وادى عربة ، وكان هناك أيضًا برايسيديوم ثانية فى الشمال أسفل الحافة الجنوبية للبحر الميت مباشرة حيث يمر الطريق أعلى المنحدر الشرقى لإيدوم ليصبح ممراً إلى ثامارا Thamara .

من الواضح أن الخريطتين لم يتم رسمهما لتقديم معلومات عسكرية أو لأغراض المواصلات. ولكنهما استمدتا أصلهما من الخرائط التى كانت موجودة . وهو أهم شىء فى الموضوع ، ومن الواضح بجلاء أن خريطة بيوتنجر ترجع أصولها إلى خريطة من عصر الإمبراطورية الرومانية المبكر ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإن مصدرها لا يمكن أن يكون شيئًا آخر بخلاف خريطة أجريبا التى رسمها فى بهو ڤيبسانيا Porticus Vipsania . أما خريطة مَأدُبة التى ترجع فى أصولها إلى كتاب يوزيبيوس الأسماء المستعارة Onomastikon ، فمن الواضح أنها تنطبق منذ الوهلة الأولى مع تعاليم مسيحية ، أما الاقتباس ومواقع المدن فمن الواضح أنها اعتمدت على شبكة الطرق التى كانت تربط بين هذه المدن . وبخصوص خريطة مأدبة كذلك ، فكل المدن المعروفة تقريبًا يمكن رؤية الارتباط الواضح بينها وبين الطرق الرومانية ، وقد قام آڤى يوناح Avi- Yonah بترتيبها جميعًا فى قائمة كمحطات طرق عند نشره لخريطة مأدَبة . ومن الواضح أن مدن النقب مثل ثامارا ، وإليوسا ، وماميبسيس، تتلاءم أكثر مع طراز النسخة .

ولا ينبغى أن نصاب بالدهشة لأن تلك الخرائط، التى وضعت لتحديد خطوط مواصلات وطرق، وأشكال السطح الطبوجرافية وما شابه ذلك، قد استخدمت لأغراض أخرى على مر الزمن . لم يحاول كل من بلينى أو بطلميوس القيام باستخدام معلوماتها للأغراض العلمية والتعليمية الصرفة . فقد كان هناك أيضًا أفراد من عامة الشعب لديهم الرغبة فى مشاهدة أين ولد كينوكيفالى Kenokephal ، وغيرهم من المتدينين الذين يرغبون فى أن يعرفوا أين تجول بنو إسرائيل فى الصحراء . إن تداول خريطة أجريبا Agroppa فى الإمبراطورية الرومانية قدّم الأساس لخرائط جديدة تتضمن معلومات أسطورية ، ومقتطفات من ڤيرجيل Virgil ، وفى الختام أساطير مسيحية ، وكل هذا يمكن أن نشاهده فى الخريطة المزينة بالكامل بالزهور التى تم نسخ خريطة بيوتنجر منها .

إضافة إلى ما تقدم فإن المرء لن يفتقد رؤية الفن الخالص أو تذوق الجمال فى هاتين الوثيقتين ، حيث يمكن للبعض الحصول على قدر كبير من المتعة من رسم التوريقات (الحِليات الصغيرة) العديدة الموجودة فى الخريطة التى أصبحت خريطة

بيوتنجر فيما بعد ، ولاننسى نكر صور الأباطرة الرائعة فى أنطيوخ أو القسطنطينية أو روما . ويتمتع الفنان الذى نفذ عمل الموزاييك فى مَأدُبة بقدرة على إدخال المرح فى تصوير المناظر، والنباتات، والحيوانات، حتى أن عمله حظى بروح الدعابة بصفة عامة . لقد كانت الخرائط القديمة عملاً متطوراً . وكان الهدف الأصلى منها لا يزال مستمراً فى أهميته دون شك ؛ ولكن لما كانت قد أعيد رسمها ، فقد وضعت فى بعض أجزاء منها إضافات جديدة ربما كانت أكثر ارتباطًا بالدوافع الشخصية .

إن القيام بدراسة خرائط الشرق الأدنى فى العصر الرومانى ، فيما يخص رؤية ولاية العربية ، يُشعر بالرضى لتحقيق نتائج على جبهة عريضة. وتأتى فوائدها ليس فقط فى فهم الإقليم نفسه فى فترات مختلفة وتحولاته فى أثناء الحكم الرومانى والبيزنطى، ولكن هناك أيضًا تاريخ الخرائط نفسها وموقعها داخل إطار ثقافة الإمبراطورية الرومانية . إن خريطة بيوتنجر لاتُعد مُجرد وثيقة فقط ترجع إلى القرن الثانى عشر أو الثالث عشر ، أو من القرن الرابع أو الأول ، لأنها فى حقيقة الأمر كل ذلك . كما أن خريطة مأدبة لاتُعد مُجرد إبداعًا فنيًا يعود للقرن السادس الميلادى فقط ، ولكنها وثيقة تنتمى إلى القرن الرابع أيضًا .

مصادرالملحق الرابع

(١) Strabo I.I.16,C9: "ينبغى أن يُسَخَّر علم دراسة الأرض لكى تستفيد منه الحكومة

δῆλον ουν ότι ῾η γεωγραφική πασα ἐπὶ τὰς πράξειν ἀνάγεται τας ἡγεμονικάς

قدّمْت مضمون هذا الملحق فى سمنار فيرجوس ميللر Fergus Millar في لندن ١١مايو ١٩٨١ وأدين بالشكر للمناقشة التى تلته.

(٢) Strabo 2.5.17,C120.

(٣) راجع على سبيل المثال J.J.Tierney,"The Map of Agrippa,"Proc. Royal Irish Acad. 63,sect.6 ,no.4(1963),152; W.Kubitschek,"Karten (Agrippa),"RE 10.2.2102.

(٤) PEQ III(1979),27-34.

(٥) Pliny ,NH 3.2.17: جرت العادة على قبول كتابة مدينة Urbi بالشكل التالى orbi .

(٦) 55.8.4.

(٧) O. Cuntz,"Agrippa und Augustus als Quellenschr-iftsteller des Plinius in den geographischen Büchern der Naturalis Historia,"Neue Jahrb. f . Phil.u.Pädag., Jahrb. f.Klass. Phil. 17 (1890), 475.527; D.Detlefsen, UrspRung, Einrichtung und Bedeutung der Erdkarte Agrippas (1906);W/Kubitschek, "Karten Agrippa), "RE 10.2.2100-9. لم يتفق الباحثون على النقاط التفصيلية ملكنهم اتفقوا جميعًا على استخدام بلينى للخريطة .وقام شاو B.D.shaw وتبعه تيوتش L. Teutsh بإثارة الشك فيما يخص جغرافية إفريقيا لدى بلينى:-"The Elder Pliny's African Geography,"Historia 30 (1981),424-71,esp.427(with n.5)-430.ويفضل شاو وجود مصدر من قيصرية، ولكنه لاحظ في ص٤٢٧ "أنه لم يكن هناك ضرورة ملحة لذلك........وأن المعلومات لدى أجريبا كانت انعكاسًا دقيقًا للوضع المعاصر فى أفريقيا بين عام ٧ق.م.وبين عام ١٤م". بمعنى آخر فإن مصدر قيصرية الذى اعتمد عليه أجريبا فى تعامله مع أفريقيا لا يحول دون استخدام بلينى للخريطة ، والذى يدل النص على أنه يتضمنه .

(٨) Detlefsen(above,n.7) .وهناك مجال للمناقشة فيما إذا كانت هناك شروح قد كتبت بالفعل على النص أو كما يبدو هنا فى نص مصاحب .

(٩) 2.5.17,C 120.

(١٠) يمكن دراسة خريطة بيوتنجر الآن في نسختها المُقلدة الفاخرة لمن يستطيع دفع ثمنها والتى قامت بإصدار طبعتها دار النشر الأكاديمى دار الطباعة والنشر في مدينة جراس: Druck u. Verlagsanstalt ,Graz:Tabula Peutingeriana,Codex Vindobonensis 324 Faksimile-Ausgabe im Original format(1976). Vollständige لذلك ليس هناك مبرر لمواصلة استخدام طبعات كونراد ميللرغير المرضية . Konrad Miller ,Itineraria Romana (1916)&Die Peutingersche Tafel, oder Weltkarte des Castorius (1916 ;2nd unchanged ed.,1929)، وعن الطبعتين انظر المراجعة المهمة التى قام بها كوبتشك Kubitschek GGA 179(1971),1-117. أما هؤلاء الذين يستطيعون دفع ثمنها ،فربما يكون لديهم الرغبة فى استخدام النسخة المُقلدة التالية A,&M.Levi's,La Tabula Peutingerina (1978) Archaeology 34.1(1981):، وراجع عنها : 66-67, , L.Casson

(١١) Cf.a.&M.Levi.Itineraria Picta(1967),p.22.

(١٢) من المؤكد أنها تغيرت فى قائمة بيوتنجر TP مع استمرار تناقل الرواية ، وكذلك فإن الإضافات المسيحية القليلة لا يمكن إهمالها، بالإضافة إلى الحليات vignettes متوسطة الحجم الخاصة بالمدن: أنكيراء، وأكويليا، ونيقوميديا، ورافينا، وتسالونيك ، وأعتقد مؤكدًا أنها أضيفت فيما بعد . "Es ist doch sicherlich an der TP im Kauf der Überlieferung geändert worden; die wenigen christlichen Zusätze sind unverkennbar,und auch für die mittelgrossen Vignetten der Städt Ancyra, aquileia, Nicaea, Nicomedia, Ravenna und Thessalonice ist behauptet worden ,ich glaube mit vollem Recht,dass sie erst nachträglich eingefügt worden sind .

(١٣) راجع المسح المختصر المذكور لدى ليفى Levi, Itineraria(above,n.11),p. 22

(١٤) يرجع التشابه الموجود فى أغلب الخرائط فى المجموعات المختلفة إلى النسخة الأصلية بصفة عامة .ويوجد نموذج جيد عن ذلك لدى: J.Fisher,Claudii Ptolemaei Geographiae Codex Urbinas 82:Pars altera, tabulae geographicae LXXXIII Graecae-arabicae-Latinae e codicibus LIII selectae (1932) . وهناك ملحق ضخم لمجلد

الأجزاء الأخرى يتضمن نسخًا مقلدة تحت عنوان عام إضافة إلى القوائم التالية : accedunt tabulae XXVII codicis Vaticani Latini 5698 III Urbinatis Graeci 83.

(١٥) وفيما يتعلق بالعربية وفلسطين فإن الخريطة اللاتينية موجودة فى مجموعة الفاتيكان اللاتينية Codex Vaticanus Latinus 5698 (plate 4 below) مع خريطة يونانية من مجموعة Codex Urbinas Graecus 82(plate 3 below).وعن تاريخ هذه الخرائط والنسخ الأصلية الموجودة في عمل بطلميوس الأصلى راجع: Fisher (above,n.14), pp108, 130, 221, & 290. وتوضح الخريطتان شكل الأراضى المنخفضة والحدود الإقليمية نفسها. وفيها تظهر فيلاديلفيا وجيراسا كما لو أنهما تقعان فى جوف سوريا بدلاً من عربية البتراء . وذلك يتبع تحديد بطلميوس لهذه المدن .وتدل عملة فيلاديلفيا على أن المدينة كانت جزءًا من جوف سوريا : راجع A. Spijkerman,The Coins of the Decapolis and Provincia Arabia (1978) ,pp .242 -57. ونشاهد هنا تقسيمًا إقليميًا يختلف تمامًا عن تنظيم الولاية الرومانية .

(١٦) راجع :(1954) M.Avi-Yonah,The Madaba Mosaic . وعن طبعة جديدة راجعH.Donner &H. Cüppers،حيث ظهر منها مجلد اللوحات فقط حتى الآن Die Mosaikkarte von Madaba, Abhandl.des Deutshen Palästinavereins (1977).

(١٧) علم بطريرك فلسطين عن وجود الخريطة عام ١٨٨٤، لكن لم يتم الإبلاغ عن هذا الكشف إلا في عام ١٩٨٦ عندما ذهب أحد أمناء البطريركية إلى مأدبة ليشرف على بناء كنيسة جديدة كان يجرى بناؤها مكان كنيسة أخرى قديمة وهى تلك التى كان يوجد فيها خريطة الموزاييك ، وكان أول من قام بالإعلان عن بقايا الخريطة : Κοικυλίδης Ο εν Μαδηβα μωσαϊκος ...χάρτης (1897). وصدرت بعد ذلك مباشرة دراسات علمية أهمها J.Germer-Durand,La carte mosaique de Madaba(1897). :

(١٨) Avi-Yonah(above ,n.16),pp.30-31.

(١٩) Ibid.

(٢٠) A. Musil, The Northen Heğaz(1926),p.59,n.20.

(٢١) David F. Graf."A Preliminary Report on a Survey of Nabataean-Roman Militray Sites in Southern Jordon,"ADAJ 23(1979),121-27,esp.125 with plates 45&46.Cf. Musil (above,n.2o),p.58 ، راجع التقرير الذى نشره أوربل

شتاين Aurelius Stein في (Kennedy, ArchExplor (1982) pp.271-87.See above , p. 94, n. 9.

(٢٢) 5.15.5.

(٢٣) Or.34.24.

(٢٤) Levi.Itineraria(above,n.11),pp.169-76.

(٢٥) 5.17.5.

(٢٦) Ibid.

(٢٧) ليس هناك ما يبرر المطابقة بين ثورنيا- ثانا- ثاوانا Thornia – Thana – Thwāna وبين ثامانا Thamana المذكورة في كتاب المناصب التشريفية Not,Dig.,Or.34.46؛ لأن ثامانا Thamana تشبه ثيمان Θαιμάν لدى يوزيبيوس .,من سوء الحظ أن سيك Seeck عندما قام بنشر كتاب المناصب التشريفية جمعها كلها معًا .

(٢٨) عن الحفائر الجارية في الليجون Lejjūn، راجع S. Thomas Parker ,AASOR New 8(June 1981),8-20.

(٢٩) R.Brünnow &von Domaszewski, Die Provincia Arabia II (1905), p.222; H. C. Butler, "Trajan's Road from Boṣra to the sea ,"PAES III. A. 2, appendix p. xv.I حيث ذكر فيه إمكانية المطابقة بين حديد Hạdid وبين هاتيتا Hatita (أديتا Adittha المذكورة في المناصب التشريفية Not.Dig.Or. 37.30-31) in JRS 61 (1971), 238,with n. 124.

(٣٠) Cf Butler(above ,n.29),pp.xv-xvi.

(٣١) استخدم كينيدي مادة ثغرة الجب Thughrat al-jubb في دراسة استثنائية لها قيمتها عن الطرق في شمال العربية طبقا لخريطة بيوتنجر في D.L.Kennedy, "TP: ArchExplor, "(1982), pp.152-54.

(٣٢) عن قنوات Qanawāt، راجع : H.C.Butler,AAES II Archit- ectture and Other Arts (1903), pp.351-65; Brünnow and Domaszewski (above,n.29) III(1909), pp.107- 44; See also PAES III.A.5,pp,351-. 53, and M.Dunand, "Kanata et Kanatha,"Syria II (1930),272-79، وما تزال ملاحظات وادينجتون Waddington لها قيمتها عند الرجوع إليها : IGLS,pp 533-

35.وفى رأى سارتر أن إقليم كناثا يمتد أبعد غربًا ليشمل قرية الكرك : M.Sartre,"Le
. territoire de Canatha ,"Syria

(٣٣) تقع أينوس Aenos فى ميسمية Mismiye ، وناقش وادنجتون Waddington, IGLS,
p.574 أن أينيوس عبارة عن خطأ فى قراءة الاسم Phaenos؛ راجع: R.
Dussaud,Topographie historhque de la Syrie Antique et médiévale
(1927),377. ولكن كنيدى يعارض ذلك Kennedy,ArchExplor(1982)pp.152-54.
وجاءت مناقشته ضد هذا التحديد .

(٣٤) عن الطريق الذى بناه الرومان عبر الليجا راجع: M.Danard, "La voie romaine du
Leja,"Mém.Acad.Inscr.et Belles- Lettres 13.2(1930),521-57. وعن طريق
قنوات – دمشق الذى يلتف حول الليجا عن طريق الصنهباء راجع كيندى : Kennedy,
ArchExplor (1982), pp.152-54.

(٣٥) قدم كيندى فكرة ذكية عن أن روز Rhose الموجودة على خريطة بيوتنجر TP تمثل النقطة
التى يتقاطع فيها طريق السويداء – القنوات مع طريق بُصرى – صَلْخد .والمسافات صحيحة
تمامًا Kennedy,ArchExplor (1982),pp.152-54 .

(٣٦) راجع عن طريق غزة : A.Negev ,"The Date of Petra –Gaza Road ,"PEQ
98(1966),89-98. ويرى رودلف كوهين مؤخرًا أن رأى نجف بخصوص الهجرة المفاجئة
التامة للطريق في القرن الأول غير صحيح راجع : Rudelph Cohen ,"Negev
Caravanserai and Fortresses during the Nabataean and Roman
Period,"paper 11 in Eighth Archaeological Conference in Israel (Israel
Dep.of Antiq., Israel Explor. Soc.,1981).وفى مقالته المهمة التالية أكد كوهين من
خلال الحفائر الأثرية في عواد 'Awad'، وقصر العبد Qasr al- 'Abd، وقصر السبق Qasr
al –Siq، وقصر المَحل Qasr al Mahalle، أنها تقع جميعًا على الطريق من البتراء إلى
عقدات 'Avdat' .وأن منشآت هذه المدن كانت تخدم القوافل التجارية ، وأن كوهين يوضح أن
الطريق ظل مستعملاً خلال عصر الإمبراطورية الرومانية وأن عقدات نفسها ظلت مأهولة
بصفة مستمرة حتى عصر الانتعاش البيزنطى راجع: Rudelph Cohen,"New Light on
Petra-Gaza Road ,"BiblArch 45 (1982),240-47

(٣٧) D.van Berchem,L'armée de Dioclétien et la constantinienne (1952),
p.15. Cf. R. Dussaud, réformeLa pénétration des Arabes en Syrie avant
L'Islam (1955),p.81.

(٣٨) راجع عن الموقع : "A. Negev,"The Nabataeans and the Provincia Arabia, ANRW II.8 (1977), 634 راجع عن النقش ،المرجع السابق ص٥٤٦ وأيضًا F.M.Cross, JBL 74(1955), 160,n.25. :

(٣٩) A. Alt,"Aus der ʿAraba II:Römische Kastelle und Strassen," ZDPV 58 (1935),1-59;M.Gichon,"The Limes in the Negev from its Foundation to Diocletian'sTimes, "in Hebrew(diss.,Jeursalem,1967), with related articles in Bonn.Jahrb.,Beiheft 19 (1967).175-93,&Provincialia: Festschrift Laur-Belart (1968) ,pp.317-34.

(٤٠) Alt(above,n.39),24;&G.W.Bowersock,JRS 61(1971) ,240,n.148.

(٤١) عن ملخص مختصر لمسح حفائر عُبادة راجع تقرير نجف الذى قام بالحفائر: Negev (above, n.38),621-31.

(٤٢) راجع David F. Graf,"A Report on the Hismā Survey,"Damaszener Mitteilungen.من الممكن إدراك أن قصر السعيدين Qasr Saʿidiyin يعد استثناءً؛ فقد جاء تقرير عن وجود فخار نبطى وروماني هناك .راجع أيضًا : B.Rothenberg,"The Arabah in Roman and Byzantine Times in the Light of New Resarch," Rom.Frontier Studies,VII Int.Congress(1971),pp.211-33.

(٤٣) 5.16.8

(٤٤) Or.24.40.

(٤٥) Avi-Yonah(above,n.16),p.21. إن الملاحظة التى ذكرها آفى عن اسم "الكتيبة فلسطين الأولى – Cohorts I Palaestinorum " فى ثامارا Thamara الموجودة في كتاب المراتب التشريفة42, Not.Dig. 74 (sic)"خطأ، لعدم وجود ذكر للكتيبة في الكتاب؛ فقد ورد في الكتاب (Notatia.AE.34.46)أن الكتيبة الرابعة للفلسطينيين خصصت لثامانا Thamana.وعن ثمارا وثامانا(Θαιμάν ثامانا لدى يوزيبيوس) ليست المكان نفسه .

(٤٦) Or.24.44.

(٤٧) راجع حاشية ٣٦ أعلاه .

(٤٨) Avi-Yonah(above.n.16),p.17.

(٤٩) A.Vegev,The Cities of the Desert(1966).

(٥٠) عن مسح الحفائر راجع، A. Negev,Bible et Terre Sainte 90 (March 1967),6-17 وفيها صور فوتوجرافية ممتازة .

(٥١) Avi- Yonah (above,n.16),p.21.

(٥٢) Or.34.29.

(٥٣) عـن موهيـل وموهـايلا Mohaila &Mohaile(مـع صـورة التوريقـات vignette لـدى Or.34.14). لاحظ أنه سُجل في مرسوم بيرشيبا Beersheba أيضًا موا Moa. وعن احتمال وجود موا فى موقع موى عواد Moye ʻAwad راجع كوهين Cohen الحاشية رقم ٣٦ أعلاه، ٢٤٢. ويبدو أنها تقع أبعد إلى الجنوب من موا.

ABBREVIATION : الاختصارات

AAE : American Archaelogical Expedition to Syria, Part III

AASOR : Annual of the American Schools of Oriental Research

ADAJ : Annual of the Department of Antiquities of Jordan

AEL : L'année épigraphique

AJA : American Journal of Archaeology

AJP : American Journal of Philology

ANRW : Aufstieg und Niedergang der röischen Welt

AntCl : L'antiquité classique

Arch Explor: D. L. Kennedy, Archaelogical Expeditions On the Roman Frontier in North-East Jordan, BAR International Series 134 (1983)

AsoR News: American Schools of Oriental Research Newsletter

AthMitt : Mitteilungen des deutschen archäologischen Instituts, Athenische Abteilung

BAR : British Archaeological Reports

BASOR : Bulletin of the American Schools of Oriental Research

BiblArch : The Biblical Archaeologist

BCH : Bulletin de correspondance hellénique

BGU : Berliner Griechische Urkunden

BMC : Catalogue of Coins in The British Museum

BSOAS	:	Bulletin of the Schools of Oriebtal and African Studies
Bull. Épig.	:	Bulletin épigraphique
BZ	:	Byzantinisch Zeitschrift
CIG	:	Corpus Inscriptionum Graecarum
CIL	:	Corpus Inscriptionum Latinarum
CIS	:	Corpus Inscriptionum Semiticarum
CNRS	:	Centre national de la recherche scientifique
CP	:	Classical Philology
CQ	:	Classical Quarterly
CR	:	Classical Review
CRAL	:	Comptes- rendus de L'académie des Inscriptions et Belles - lettres
FGH	:	F.Jacoby , Die Fragmente der griechischen Historriker
FHG	:	C.Müller,Fragmenta Historcorum Graecorum
GGA	:	Göttingische Gelehrte Anzeigen
GRBS	:	Greek , Roman ,and Byzantine Studies
HA	:	Historia Augusta
HSCP	:	Harvard Studies In classical Philology
IEJ	:	Israel Exploration Journal
IG	:	Inscriptiones Graecae

PLATE 16



Obverse and reverse, *SNG* Amer. Num. Soc.,
Part 6, no. 1153, Bostra (probably A.D. 111)
(Photograph from the American Numismatic Society)



Obverse and reverse, *SNG* Amer. Num. Soc.,
Part 6, no. 1158, Bostra (A.D. 114–116)
(Photograph from the American Numismatic Society)

Abel, F.-M. *Géographie de la Palestine* I (Paris, 1933), II (Paris, 1938).

——— *Histoire de la Palestine*, 2 vols. (Paris, 1952).

Aharoni, Y. "Tamar and the Roads to Elath," *IEJ* 13 (1963), 30–42.

al-Ansary, A. R. *Qaryat al-Fau: A Portrait of Pre-Islamic Civilisation in Saudi Arabia* (London, 1981).

Alt, A. *Die griechischen Inschriften der Palaestina Tertia westlich der Araba* (Berlin and Leipzig, 1921).

——— "Aus der 'Araba," *ZDPV* 58 (1935), 1–78.

——— "Die letzte Grenzverschiebung zwischen den römischen Provinzen Arabia und Palaestina," *ZDPV* 65 (1942), 68–76.

——— "Das Territorium von Bostra," *ZDPV* 68 (1951), 235–45.

——— "Augusta Libanensis," *ZDPV* 71 (1955), 173–86.

Altheim, F. (with R. Stiehl) *Die Araber in der alten Welt* I (1964), II (1965), III (1966), IV (1967), V.1 (1968), V.2 (1969).

al-Wohaibi, Abdullah *The Northern Hijaz in the Writings of the Arab Geographers, 800-1150* (Beirut, 1973).

Antiquités de l'Euphrate: Exposition des Découvertes de la Campagne Internationale de Sauvegarde des Antiquités de l'Euphrate (Aleppo, 1974).

Arte Nabateo: el primer reino árabe de la Historia: Catalogue of Exposition, Museo Arqueologico Nacional, Madrid, Sept. 1979–Jan. 1980.

Avi-Yonah, M. "The Development of the Roman Road System in Palestine," *IEJ* 1 (1951), 54–60.

——— *The Madaba Mosaic Map* (Jerusalem, 1954).

——— *The Holy Land: A Historical Geography* (Jerusalem, 1966).

——— "When Did Judea Become a Consular Province?," *IEJ* 23 (1973), 209–13.

Barger, Thomas "Greek Inscriptions Deciphered," *Archaeology* 22 (1969), 139–40.

Bardaisan: François Nau, ed., *Bardesane, Le Livre des Lois des Pays* (2nd printing, Paris, 1931).
——— H. J. W. Drijvers, trans. *The Book of the Laws of Countries* (Assen, 1965).
Barnes, T. D. "The Unity of the Verona List," *ZPE* 16 (1975), 275–78.
Bartlett, J. B. "From Edomites to Nabataeans: A Study in Continuity," *PEQ* 111 (1979), 52–66.
Beaucamp, Joëlle "Rawwafa et les Thamoudéens," *SDB* 9 (1979), 1467–75.
——— and Christian Robin "Le christianisme dans la péninsule arabique d'après l'épigraphie et l'archéologie," *Hommage à Paul Lemerle: Travaux et Mémoires 8*, Centre de Recherche d'Histoire et Civilisation de Byzance (1981), pp. 45–61.
Beeston, A. F. L. "Nemara and Faw," *BSOAS* 42 (1979), 1–6.
——— "Some Observations on Greek and Latin Data Relating to South Arabia," *BSOAS* 42 (1979), 7–12.
——— "The Authorship of the Adulis Throne Text," *BSOAS* 43 (1980), 453–58.
Ben-Dor, S. "Petra Colonia," *Berytus* 9 (1948), 41–43.
Bennett, C. M. "The Nabataeans in Petra," *Archaeology* 15 (1962), 233–43.
Bernays, J. "Ein nabatäischer Schriftsteller," *RhM* 17 (1862), 304–5; also (with supplementary material) in *Gesammelte Abhandlungen* II (1885), 291–93.
Bietenhard, H. "Die Dekapolis von Pompeius bis Traian," *ZDPV* 79 (1963), 24–58.
——— "Die syrische Dekapolis von Pompeius bis Traian," *ANRW* II.8 (1977), 221–61.
Birley, E. "M. Bassaeus Astur: A Note," *ZPE* 37 (1980), 19–21.
Bowersock, G. W. "The Annexation and Initial Garrison of Arabia," *ZPE* 5 (1970), 37–47.
——— "A Report on Arabia Provincia," *JRS* 61 (1971), 219–42.
——— "Syria under Vespasian," *JRS* 63 (1973), 133–40.
——— "The Greek-Nabataean Bilingual Inscription at Ruwwafa, Saudi Arabia," *Le monde grec: Hommages à Claire Préaux* (Brussels, 1975), 513–22.

———— "Old and New in the History of Judaea," *JRS* 65 (1975), 180–85.
———— "A New Antonine Inscription from the Syrian Desert," *Chiron* 6 (1976), 349–55.
———— "Limes Arabicus," *HSCP* 80 (1976), 219–29.
———— "A Roman Perspective on the Bar Kochba War," *Approaches to Ancient Judaism* II, ed. W. S. Green, Brown Judaic Studies 9 (1980), pp. 131–41.
———— "Mavia, Queen of the Saracens," *Studien zur antiken Sozialgeschichte: Festschrift F. Vittinghoff* (Cologne, 1980), pp. 477–95.
———— Review of A. Spijkerman, *The Coins of the Decapolis and Provincia Arabia*, *JRS* 72 (1982), 197–98.
———— "Roman Senators from the Near East," *Acta* of the colloquium *Epigrafia e ordine senatorio*, Rome, forthcoming.
———— "Hadrian and Metropolis," *Bonner Historia-Augusta-Colloquium 1982*, forthcoming.
Broome, E. C. "Nabaiati, Nebaioth and the Nabataeans: The Linguistic Problem," *JSS* 18 (1973), 1–16.
Browning, I. *Petra* (London, 1973).
Brünnow, R. E. "Die Kastelle des arabischen Limes," *Florilegium de Vogüé* (Paris, 1909), 65–77.
———— and A. von Domaszewski, *Die Provincia Arabia* I (Strassburg, 1904), II (Strassburg, 1905), III (Strassburg, 1909).
Butler, H. C. "Trajan's Road from Bosra to the Red Sea," *PAES* III.A.2 (1911), vii–xvi.
Cantineau, J. *Le nabatéen* I (Paris, 1930), II (Paris, 1932).
Caskel, W. "Die Inschrift von en-Nemāra: neu gesehen," *Mél. Univ. St. Joseph* 45 (1969), 367–79.
Casson, L. "*Periplus Maris Erythraei*: Three Notes on the Text," *CQ* 30 (1980), 495–97.
———— "Rome's Trade with the East: The Sea Voyage to Africa and India," *TAPA* 110 (1980), 21–36.
———— "*Periplus Maris Erythraei* 36: Teak, Not Sandalwood," *CQ* 32 (1982), 181–83.
Champdor, A. *Les ruines de Pétra* (Paris, 1972).

Christides, V. "Arabs as 'Barbaroi' before the Rise of Islam," *Balkan Studies* 10 (1969), 315–24.
———. "The Names ΑΡΑΒΕΣ, ΣΑΡΑΚΗΝΟΙ, etc., and their False Byzantine Etymologies," *BZ* 65 (1972), 329–33.
Cohen, Rudolph "Negev Caravanserai and Fortresses during the Nabatean and Roman Period," *Eighth Archaeological Conference in Israel* (Israel Dept. of Antiquities, 1981).
———. "New Light on the Petra-Gaza Road," *BiblArch* 45 (1982), 240–47.
Costa, Paolo M. "A Latin-Greek Inscription from the Jawf of the Yemen," *Proc. Seminar for Arabian Studies* 7 (1977), 69–72.
Cross, F. M. "The Oldest Manuscripts from Qumran," *JBL* 74 (1955), 147–72.
Crouzel, H. "Le christianisme de l'empereur Philippe l'Arabe," *Gregorianum* 56 (1975), 545–50.
Dayton, J. E. "A Roman/Byzantine Site in the Hejaz," *Proc. Seminar for Arabian Studies* 1–3 (1972), 21–25.
Dentzer, Jean-Marie and Jacqueline "Les fouilles de Si' et la phase hellénistique en Syrie du Sud," *CRAI* 1981, 78–102.
Desanges, Jehan *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique*, École Française de Rome 38 (Rome, 1978).
Dihle, A. "Das Datum des Periplus des Roten Meeres," in *Umstrittene Daten* (Cologne, 1965), pp. 9–35.
———. "Der Zug des Aelius Gallus," in *Umstrittene Daten* (Cologne, 1965), pp. 80–84.
———. "Die entdeckungsgeschichtlichen Voraussetzungen des Indienhandels der römischen Kaiserzeit," *ANRW* II.9.2 (1978), 546–80.
Domaszewski, A. von "Die Zeit des Schriftstellers Uranius," *Arch. f. Rel.* 11 (1908), 239–42.
Donner, H. and H. Cüppers *Die Mosaikkarte von Madeba*, Abhandl. des Deutschen Palästinavereins, II Tafelband (Wiesbaden, 1977).
Doughty, Charles *Travels in Arabia Deserta*, 2 vols. (Cambridge, 1888).
Drijvers, H. J. W. "Das Heiligtum der arabischen Göttin Allât

im westlichen Stadtteil von Palmyra," *Antike Welt* 7.3 (1976), 28–38.

———— "Hatra, Palmyra und Edessa," *ANRW* II.8 (1977), 799–906.

———— "A Tomb for the Life of a King: A Recently Discovered Edessene Mosaic with a Portrait of King Abgar the Great," *Le Muséon* 95 (1982), 167–89.

Dunand, M. "Rapport sur une mission archéologique au Djebel Druze," *Syria* 7 (1926), 326–35.

———— "La voie romaine du Ledja," *Mém. Acad. Inscr. et Belles-Lettres* 13.2 (1930), 521–57.

———— "Nouvelles inscriptions du Djebel Druze et du Hauran," *RB* 41 (1932), 397–416, 561–80; 42 (1933), 235–54.

———— *Le musée de Soueida* (Paris, 1934).

———— "Nouvelles inscriptions du Djebel Druze et du Hauran," *Mélanges syriens offerts à René Dussaud* (Paris, 1939), pp. 559–76.

———— "Nouvelles inscriptions du Djebel Druze et du Hauran," *Archiv Orientalni* 18 (1950) I, 144–64.

Dussaud, René *Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale* (Paris, 1927).

———— *La Pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam* (Paris, 1955).

———— and F. Macler, "Rapport sur une mission scientifique dans les régions désertiques de la Syrie moyenne," *Nouvelles Archives des Missions scientifiques et littéraires* 10 (1902), 411–744.

Evenari, M., et al. *The Negev: The Challenge of a Desert* (Cambridge, Mass., 1971; rev. ed. 1982).

Fakhry, A. *An Archaeological Journey to the Yemen* I-III (Cairo, 1951–1952).

Fellmann, Rudolph *Le Sanctuaire de Baalshamin à Palmyre* VI (Neuchâtel, 1975).

Fiebiger, O. "Herminarius," *ZDPV* 66 (1943), 69–71.

Field, Henry *North Arabian Desert Archaeological Survey, 1925–50,* Papers of the Peabody Museum 45.2 (1960).

Finkelstein, I. "The Holy Land in the Tabula Peutingeriana: a Historical-Geographical Approach," *PEQ* 111 (1979), 27–34.
Finsen, H. *Le levé du théâtre romain à Bosra, Syrie*, Analecta Romana Instituti Danici 6, Suppl. (1972).
Frank, F. von "Aus der ʿAraba I," *ZDPV* 57 (1934), 191–280.
Gaube, H. "An Examination of the Ruins of Qasr Burquʿ," *ADAJ* 19 (1974), 93–100.
Gawlikowski, M. "Le temple d'Allat à Palmyre," *RA* 2 (1977), 253–74.
Ghadban, Chaker "Un site safaïtique dans l'Antiliban," *ADAJ* 16 (1971), 77–82.
Gichon, M. "Idumea and the Herodian Limes," *IEJ* 17 (1967), 27–42.
———— "The Origin of the Limes Palestinae and the Major Phases in its Development," *Studien zu den Militärgrenzen Roms*, Beiheft 19 d. *Bonner Jahrb.* (1967), pp. 175–93.
———— "Das Verteidigungssystem und die Verteidiger des flavischen Limes in Judäa," *Provincialia: Festschrift Laur-Belart* (1968), pp. 317–34.
———— "Research on the Limes Palestinae: A Stocktaking," *Roman Frontier Studies 1979*, BAR International Series 71 (1980), pp. 843–64.
Glueck, Nelson *Explorations in Eastern Palestine* I, *AASOR* 14 (1934); II, *AASOR* 15 (1935); III, *AASOR* 18–19 (1939); IV, *AASOR* 25–28 (1951).
———— *The Other Side of the Jordan* (New Haven, 1940; rev. ed. Cambridge, 1970).
———— "Wādī Sirḥān in North Arabia," *BASOR* 96 (1944), 7–17.
———— *Rivers in the Desert* (New York, 1959).
———— *Deities and Dolphins* (London, 1965).
Grabar, Oleg, et al. *City in the Desert: Qasr al-Hayr East*, Harvard Middle Eastern Monographs 23–24 (1978), 2 vols.
Graf, David F. "The Saracens and the Defense of the Arabian Frontier," *BASOR* 229 (1978), 1–26.
———— "A Preliminary Report on a Survey of Nabataean-Roman Military Sites in Southern Jordan," *ADAJ* 23 (1979), 121–27.

———— "The Nabataeans and the Hismā: In the Steps of Glueck and Beyond," in *The Word of the Lord Shall Go Forth: Essays in Celebration of the Sixtieth Birthday of David Noel Freedman*, ASOR, forthcoming.

———— "A Report on the Hismā Survey," *Damaszener Mitteilungen* forthcoming.

———— and M. O'Connor, "The Origin of the Term Saracen and the Rawwāfa Inscriptions," *Byz. Stud./Étud. Byz.* 4.1 (1977), 52–66.

Gray, E. W. "The Roman Eastern *Limes* from Constantine to Justinian—Perspectives and Problems," *Proc. African Class. Assoc.* 12 (1973), 24–40.

Grohmann, A. *Arabien* (Munich, 1963).

Groom, Nigel *Frankincense and Myrrh* (London and New York, 1981).

Gutwein, K. C. *Third Palestine: A Regional Study in Byzantine Urbanization* (Washington, 1981).

Hadidi, Adnan "Nabatäische Architektur in Petra," *Bonner Jahrb.* 180 (1980), 231–36.

Halfmann, Helmut "Iulius Alexander und Iulius Iulianus," *Arheoloski Vestnik* 28 (1977), 153–62.

———— *Die Senatoren aus dem östlichen Teil des Imperium Romanum bis zum Ende des 2. Jh. n. Chr.*, Hypomnemata 58 (Göttingen, 1979).

Hammond, Philip "The Nabataean Bitumen Industry at the Dead Sea," *BiblArch* 22 (1959), 40–48.

———— "The Excavation of the Main Theater at Petra," *ADAJ* 8–9 (1964), 81–85.

———— *The Excavation of the Main Theater at Petra, 1961–1962* (London, 1965).

———— *The Nabataeans—Their History, Culture and Archaeology*, Studies in Mediterranean Archaeology 37 (Gothenburg, 1973).

———— "Ein nabatäisches Weiherelief aus Petra," *Bonner Jahrb.* 180 (1980), 265–69.

———— "New Evidence for the Fourth-Century A.D. Destruction of Petra," *BASOR* 238 (1980), 65–67.

Harding, G. Lankester *The Antiquities of Jordan* (2nd ed., New York, 1967).

———— "Safaitic Inscriptions from Lebanon," *ADAJ* 16 (1971), 83–84.

Horsfield, George and Agnes, "Sela-Petra, The Rock of Edom and Nabatene," *QDAP* 7 (1938), 1–42; 8 (1938), 87–115; 9 (1942), 105–204.

Husselman, E. M. *Papyri from Karanis: Third Series* (Cleveland, 1971).

Iliffe, J. H. "A Building Inscription from the Syrian Limes, A.D. 334," *QDAP* 10 (1944), 62–64.

Ingholt, H. "Deux inscriptions bilingues de Palmyre," *Syria* 13 (1932), 278–92.

Isaac, Benjamin "Milestones in Judaea, from Vespasian to Constantine," *PEQ* 110 (1978), 47–60.

———— "Legio II Traiana in Judaea," *ZPE* 33 (1979), 149–56.

———— and Israël Roll "Judaea in the Early Years of Hadrian's Reign," *Latomus* 38 (1979), 54–66.

———— "Trade Routes to Arabia and the Roman Army," *Roman Frontier Studies, 1979*, BAR International Series 71 (1980), pp. 889–901.

———— "The Decapolis in Syria, A Neglected Inscription," *ZPE* 44 (1981), 67–74.

———— "Bandits in Judaea and Arabia," *HSCP*, forthcoming.

Jameson, S. "Chronology of the Campaigns of Aelius Gallus and C. Petronius," *JRS* 58 (1968), 71–84.

Jaussen, A. and R. Savignac *Mission archéologique en Arabie* I (Paris, 1909), II (Paris, 1914).

Jones, C. P. "A Syrian in Lyon," *AJP* 99 (1978), 336–53.

Kammerer, A. *Pétra et la Nabatène* I (Paris, 1929), II (Paris, 1930).

Kennedy, D. L. "The Frontier Policy of Septimius Severus: New Evidence from Arabia," *Roman Frontier Studies, 1979*, BAR International Series 71 (1980), pp. 879–87.

———— "The Date of the Arabian Governorship of Q. Scribonius Tenax," *ZPE* 37 (1980), 24–26.

———— "*Legio VI Ferrata*: The Annexation and Early Garrison of Arabia," *HSCP* 84 (1980), 283–309.

———— *Archaeological Explorations on the Roman Frontier in North-East Jordan*, BAR International Series 134 (1982).

———— "The Date of the Arabian Governorship of L. Marius Perpetuus," *ZPE* 49 (1982), 284–86.

———— and C. M. Bennett "A New Roman Military Inscription from Petra," *Levant* 10 (1978), 163–65.

Keppie, L. J. F. "The Legionary Garrison of Judaea under Hadrian," *Latomus* 32 (1973), 859–64.

Kettenhofen, Erich "Zur Nordgrenze der *provincia Arabiae* im 3. Jahrhundert n. Chr.," *ZDPV* 97 (1981), 62–73.

Khairy, Nabil "Die unbemalte nabatäische Gebrauchskeramik," *Bonner Jahrb.* 180 (1980), 270–72.

———— "A New Dedicatory Nabataean Inscription from Wadi Musa," *PEQ* 113 (1981), 19–26.

Kindler, A. "Two Coins of the Third Legion Cyrenaica Struck under Antoninus Pius," *IEJ* 25 (1975), 144–47.

Kirkbride, D. "A Short Account of the Excavation at Petra in 1955–1956," *ADAJ* 4–5 (1960), 117–22.

Kirwan, L. "Where to Search for the Ancient Port of Leuke Kome," *Second International Symposium on the History of Arabia, Pre-Islamic Arabia*, mimeographed (Riyadh, 1979).

Kollmann, E. D. "A Soldier's Joke or an Epitaph?," *IEJ* 22 (1972), 145–47.

Kraeling, C. H. *Gerasa: City of the Decapolis* (New Haven, 1938).

Lemosse, M. "Le procès de Babatha," *The Irish Jurist* 3 (1968), 363–76.

Levi della Vida, G. "Una bilingue greco-nabatea a Coo," *Clara Rhodos* 9 (1938), 139–48.

Lewis, Naphtali "Two Greek Documents from Provincia Arabia," *Illinois Classical Studies* 3 (1978), 100–14.

———— "P. Oxy. 2820: Whose Preparations?," *GRBS* 16 (1975), 295–303.

Liebeschuetz, W. "The Defences of Syria in the Sixth Century," *Studien zu den Militärgrenzen Roms II* (1977), pp. 487–99.

——— "Epigraphical Evidence on the Christianization of Syria," *Akten des XI. Internationalen Limeskongresses* (1978), pp. 485–508.

Lindner, M. *Petra und das Königreich der Nabatäer* (3rd ed., Munich, 1968).

——— "Deutsche Ausgrabungen in Petra," *Bonner Jahrb.* 180 (1980), 253–64.

Littmann, E. *Thamūd und Ṣafā* (Leipzig, 1940).

——— and D. Meredith "Nabataean Inscriptions from Egypt," *BSOAS* 15 (1953), 1–28; 16 (1954), 24–46.

Lyon (Musée de), *Un royaume aux confins du désert: Pétra et la Nabatène* (1978–1979), Catalogue of Exhibition.

MacAdam, Henry I. "Studies in the History of the Roman Province of Arabia," diss. Univ. of Manchester, 1979.

——— "The Identity of Ammius Flaccus, Governor of Arabia," *ZPE* 38 (1980), 72–74.

——— "The Nemara Inscription: Some Historical Considerations," *Al-abḥāth* 28 (1980), 3–16.

——— and Nicholas J. Munday "Cicero's Reference to Bostra," *CP* 78 (1983), forthcoming.

Malavolta, M. "*Interiores limites* (nota ad Amm. Marc. XXIII.5,1-2)," *Ottava miscellanea greca e romana*, Istituto Italiano per la Storia Antica (1982), 587–610.

Mayerson, Philip "The Ancient Agricultural Regime of Nessana and the Central Negeb," in H. D. Colt, *Excavations at Nessana* I (Princeton, 1962), pp. 261–69.

——— "The Desert of Southern Palestine According to Byzantine Sources," *ProcPhilSoc* 107.2 (1963), 160–72.

——— "The Clysma-Phara-Haila Road on the Peutinger Table," *Coins, Culture, and History in the Ancient World: Studies in Honor of Bluma Trell* (Detroit, 1981), pp. 167–76.

Meshel, Ze'ev and Yoran Tsafrir "The Nabataean Road from ʿAvdat to Shaʿar Ramon" I, *PEQ* 106 (1974), 103–18; II, *PEQ* 107 (1975), 3–21.

Meshorer, Y. *Nabataean Coins*, Qedem 3 (Jerusalem, 1975).

——— "Was There a Mint at Eboda?," *Schweizer Münzblätter* 27 (1977), 33–36.

——— *Sylloge Nummorum Graecorum, Coll. Amer. Numis. Soc. Part 6: Palestine-South Arabia* (New York, 1981).

Metcalf, William E. "The Tell Kalak Hoard and Trajan's Arabian Mint," *Amer. Num. Soc. Museum Notes* 20 (1975), 39–108.

Milik, J. T. "Nouvelles inscriptions nabatéennes," *Syria* 35 (1958), 227–51.

——— "Inscriptions grecques et nabatéennes de Rawwafah," *Bull. Inst. Arch. Univ. London* 10 (1972), 54–59.

——— *Dédicaces faites par des dieux* (Paris, 1972).

——— "La tribu des Bani ʿAmrat en Jordanie de l'époque grecque et romaine," *ADAJ* 24 (1980), 41–48.

——— and J. Starcky "Inscriptions récemment découvertes à Pétra," *ADAJ* 20 (1975), 112–15.

——— and J. Starcky "Nabataean, Palmyrene, and Hebrew Inscriptions," in F. V. Winnett and W. L. Reed, *Ancient Records from North Arabia* (Toronto, 1970), pp. 139–63.

Miller, J. Innes *The Spice Trade of the Roman Empire* (Oxford, 1969).

Mittmann, Siegfried "Die römische Strasse von Gerasa nach Adraa," *ZDPV* 80 (1964), 113–36; also, in English, in *ADAJ* 11 (1966), 65–87.

Mougdad, Sulaiman A. *Bosra: Historical and Archaeological Guide*, trans. by H. I. MacAdam (Damascus, 1978).

Müller, Walter W. "Ergebnisse neuer epigraphischer Forschungen im Jemen," *ZDMG*, Suppl. 3.1 (1977), 731–35.

——— "Survey of the History of the Arabian Peninsula from the First Century A.D. to the Rise of Islam," *Second International* of Arabia, Pre-Islamic Arabia, mimeographed (Riyadh, 1979).

München (Stadtmuseum): *Die Nabatäer: Ein vergessenes Volk am Toten Meer*, Catalogue (1970).

Musil, Aloïs *Arabia Petraea*, 3 vols. (Vienna, 1907).

——— *The Northern Ḥeǧâz: A Topographical Itinerary* (New York, 1926).

——— *Arabia Deserta* (New York, 1927).

Negev, Avraham "Avdat, a Caravan Halt in the Negev," *Archaeology* 14 (1961), 122–30.

———. "Nabataean Inscriptions from Avdat (Oboda)," *IEJ* 13 (1963), 113–24.

———. "The Date of the Petra-Gaza Road," *PEQ* 98 (1966), 89–98.

———. "New Dated Nabataean Graffiti from the Sinai," *IEJ* 17 (1967), 251–55.

———. "Oboda, Mampsis, and Provincia Arabia," *IEJ* 17 (1967), 46–55.

———. "Seal Impressions from Tomb 107 at Kurnub (Mampsis)," *IEJ* 19 (1969), 89–106.

———. "The Chronology of the Middle Nabataean Period," *PEQ* 101 (1969), 5–14.

———. "Notes on some Trajanic Drachms from the Mampsis Hoard," *Jahrb. f. Numismatik u. Geldgeschichte* 21 (1971), 115–20; reprinted in A. Spijkerman, *The Coins of the Decapolis and Provincia Arabia* (Jerusalem, 1978), pp. 32–34.

———. "The Staircase-Tower in Nabataean Architecture," *RB* 80 (1973), 364–83.

———. "Nabataean Capitals in the Towns of the Negev," *IEJ* 24 (1974), 153–59.

———. "The Nabataean Necropolis at Egra," *RB* 83 (1976), 203–36.

———. "Permanence et Disparition d'anciens toponymes du Negev central," *RB* 83 (1976), 545–57.

———. "The Early Beginnings of the Nabataean Realm," *PEQ* 108 (1976), 125–33.

———. "Die Nabatäer," Sondernummer, *Antike Welt* (1976).

———. "The Nabataeans and the Provincia Arabia," *ANRW* II.8 (1977), 520–686.

———. "Nabataean Inscriptions in Southern Sinai," *BiblArch* 45 (1982), 21–25.

———. "Christen und Christentum in der Wüste Negev," *Antike Welt* 13 (1982), 2–33.

———. "Numismatics and Nabataean Chronology," *PEQ* 114 (1982), 119–28.

Nöldeke, Th. "Die römischen Provinzen Palaestina Salutaris und Arabia," *Hermes* 10 (1876), 163–70.

———— *Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden aus der arabischen Chronik des Tabari* (Leiden, 1879).
Parker, S. Thomas "Archaeological Survey of the *Limes Arabicus*: a Preliminary Report," *ADAJ* 21 (1976), 19–31.
———— and P. M. McDermott "A Military Building Inscription from Roman Arabia," *ZPE* 28 (1978), 61–66.
———— "The Historical Development of the Limes Arabicus," diss. Univ. of California, Los Angeles, 1979.
———— "Towards a History of the Limes Arabicus," *Roman Frontier Studies, 1979*, BAR International Series 71 (1980), pp. 865–78.
———— "The Central Limes Arabicus Project: the 1980 Campaign," *ASOR Newsletter* 8 (June 1981), 8–20.
———— "The Central Limes Arabicus Project: The 1980 Campaign," *ADAJ* 25 (1981), 171–78.
———— "The Central Limes Arabicus Project: The 1982 Campaign," *ADAJ*, forthcoming.
Parr, P. J. "Recent Discoveries at Petra," *PEQ* 89 (1957), 5–16.
———— "A Nabataean Sanctuary near Petra," *ADAJ* 6–7 (1962), 21–23.
———— "The Beginnings of Hellenisation at Petra," *VIII*[e] *Congrès International d'Archéologie Classique* (Paris, 1965), pp. 527–33.
———— "The Date of the Qasr Bint Far'un at Petra," *Ex Oriente Lux* 19 (1965–1966), 550–57.
———— "La date du barrage du Sîq à Pétra," *RB* 74 (1967), 45–49.
———— "Découvertes récentes au sanctuaire du Qasr à Pétra," *Syria* 45 (1968), 1–24; also, in English, in *ADAJ* 11–12 (1967–1968), 5–19.
———— "Exploration archéologique de Hedjaz et de Madian," *RB* 76 (1969), 390–93.
———— K. B. Atkinson, and E. H. Wickens "Photogrammetric Work at Petra, 1965–1968: An Interim Report," *ADAJ* 20 (1975), 31–45.
———— G. L. Harding, and J. E. Dayton "Preliminary Survey in N.W. Arabia, 1968," *Bull. Inst. Arch. Univ. London* 8–9 (1969), 193–242; 10 (1971), 23–61.

———— and J. Starcky "Three Altars from Petra," *ADAJ* 6–7 (1962), 13–20.

Peters, F. E. "The Nabataeans in the Hawran," *Journ. Amer. Oriental Soc.* 97 (1977), 263–77.

———— "Romans and Bedouin in Southern Syria," *Journ. Near Eastern Stud.* 37 (1978), 315–26.

———— "Regional Development in the Roman Empire: The Lava Lands of Syria," *Thought* 55 (1980), 110–21.

———— "City Planning in Greco-Roman Syria: Some New Considerations," forthcoming.

Peterson, L. "Iulius Iulianus, Statthalter von Arabien," *Klio* 48 (1967), 159–67.

Pflaum, Hans-Georg "La fortification de la ville d'Adraha d'Arabie (259–60 à 274–5) d'après des inscriptions récemment découvertes," *Syria* 29 (1952), 307–30.

Philby, H. St. J. *The Land of Midian* (London, 1957).

Pirenne, J. "L'expédition d'Aelius Gallus en Arabie du sud," in *Le royaume sud-arabe de Qatabān et sa datation* (London, 1961).

Pohlsander, H. A. "Philip the Arab and Christianity," *Historia* 29 (1980), 463–73.

Poidebard, A. "Reconnaissance aérienne au Ledja et au Safa," *Syria* 9 (1928), 114–23.

———— *La trace de Rome dans le désert de Syrie*, 2 vols. (Paris, 1934).

Polotsky, H. J. "The Greek Papyri from the Cave of the Letters," *IEJ* 12 (1962), 258–62.

———— "The Archive of Babatha" (in Hebrew), *Eretz Israel* 8 (1967), 46–50.

Préaux, C. "Une source nouvelle sur l'annexion de l'Arabie par Trajan," *Phoibos* 5 (1950–1951), 123–39.

Raschke, M. "New Studies in Roman Commerce with the East," *ANRW* II.9.2 (1978), 604–1361.

Rees, L. W. B. "Ancient Remains near Kasr Azrak," *Antiquity* 3 (1929), 89–92.

Reinhold, Robert "Uncovering Arabia's Past," *The New York Times Magazine* (Aug. 23, 1981), 16 ff.

Rey-Coquais, J.-P. "Nouvelles inscriptions grecques et latines de Bostra," *Ann. Arch. Syrie* 15 (1965), 65–86.
________ *Arados et sa Pérée aux époques grecque, romaine et byzantine* (Paris, 1974).
________ "Syrie romaine de Pompée à Dioclétien," *JRS* 68 (1978), 44–73.
Robert, Louis "L'épitaphe d'un arabe à Thasos," *Hellenica* 2 (1946), 43–50.
Romer, F. E. "Gaius Caesar's Military Diplomacy in the East," *TAPA* 109 (1979), 199–214.
Roschinski, Hans P. "Geschichte der Nabatäer," *Bonner Jahrb.* 180 (1980), 129–54.
________ "Sprachen, Schriften und Inschriften in Nordwestarabien," *Bonner Jahrb.* 180 (1980), 155–88.
Rosenthal, Franz, "Nabataean and Related Inscriptions," in Colt, *Excavations at Nessana* I (Princeton, 1962), pp. 198–210.
Rothenberg, B. "An Archaeological Survey of South Sinai," *PEQ* 102 (1970), 4–29.
________ "The 'Arabah in Roman and Byzantine Times in the Light of New Research," *Roman Frontier Studies, 1967* (1971), pp. 211–23.
Rothstein, G. *Die Dynastie der Laḫmiden in al-Ḥīra* (Berlin, 1899).
Sartre, Maurice "Nouvelles inscriptions grecques et latines de Bosra," *Ann. Arch. Syrie* (1972), 167–91.
________ "Inscriptions inédites de l'Arabie romaine," *Syria* 50 (1973), 223–33.
________ "Note sur la première legion stationnée en Arabie romaine," *ZPE* 13 (1974), 85–89.
________ "Ti. Iulius Iulianus Alexander, Gouverneur d'Arabie," *ADAJ* 21 (1976), 105–8.
________ "Le tropheus de Gadhimat, roi de Tanukh: Une survivance en Arabie d'une institution hellénistique," *Liber Annuus* 29 (1979), 253–58.
________ "Rome et les Nabatéens à la fin de la république (65–30 av. J. C.)," *REA* 81 (1979), 37–53.
________ "La frontière méridionale de l'Arabie romaine," *Géographie administrative et politique d'Alexandre à Mahomet,*

Actes du Colloque de Strasbourg, 14–16 juin 1979 (1982), pp. 77–92.
———— *Trois études sur l'Arabie romaine et byzantine*, Collection Latomus 178 (Brussels, 1982).
———— *Bostra, des origines à l'Islam*, forthcoming.
———— "Le territoire de Canatha," *Syria*, forthcoming.
Sauvaget, J. "Remarques sur les monuments omeyyades," *Journal Asiatique* 231 (1939), 1–59.
Savignac, R. "Notes de voyage: Le sanctuaire d'Allat à Iram," *RB* 41 (1932), 581–97.
———— "Le sanctuaire d'Allat à Iram," *RB* 43 (1934), 572–89.
———— "Sur les pistes de Transjordanie méridionale," *RB* 45 (1936), 235–62.
———— and G. Horsfield "Le temple de Ramm," *RB* 44 (1935), 245–78.
———— and J. Starcky "Une inscription nabatéenne provenant du Djôf," *RB* 64 (1957), 196–217.
Schlumberger, Daniel *La Palmyrène du Nord-ouest* (Paris, 1951).
Schmidt-Colinet, Andreas "Nabatäische Felsarchitektur: Bemerkungen zum gegenwärtigen Forschungsstand," *Bonner Jahrb.* 180 (1980), 189–230.
Schmitt-Korte, Karl *Die Nabatäer: Spuren einer arabischen Kultur der Antike* (Hannover, 1976).
Seeden, Helga and M. Kadour "Busra 1980: Reports from a South Syrian Village," *Damaszener Mitteilungen*, forthcoming.
Segal, A. "The Planning of Cities along the Via Nova Traiana in the Roman Period" (in Hebrew), diss. Hebrew Univ., Jerusalem (1975).
Segal, J. B. *Edessa, "The Blessed City"* (Oxford, 1970).
Seyrig, Henri "Postes romains sur la route de Médine," *Syria* 22 (1941), 218–23.
———— "Les Inscriptions de Bostra," *Syria* 22 (1941), 44–48.
———— "Épigramme funéraire du Hauran (?)," *Syria* 31 (1954), 214–17.

——— "Sur trois inscriptions du Hedjaz," *Syria* 34 (1957), 259–61.
Shahîd, Irfan "Philological Observations on the Nemāra Inscription," *JSS* 24 (1979), 33–42.
——— Review of J. S. Trimingham, *Christianity among the Arabs in Pre-Islamic Times*, *JSS* 26 (1981), 150–53.
——— *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century*, Dumbarton Oaks Monographs, forthcoming.
Smith, R. H. *Pella of the Decapolis* (Wooster, Ohio, 1973).
Sourdel, D. *Les cultes du Hauran à l'époque romaine* (Paris, 1952).
Speidel, M. "Arabia's First Garrison," *ADAJ* 16 (1971), 111–12.
——— "Exercitus Arabicus," *Latomus* 33 (1974), 934–39.
——— "The Roman Army in Arabia," *ANRW* II.8 (1977), 687–730.
Spijkerman, A. *The Coins of the Decapolis and Provincia Arabia*, Studii Biblici Franciscani Collectio Maior 25 (Jerusalem, 1978).
Starcky, J. "Un contrat nabatéen sur papyrus," *RB* 61 (1954), 161–81.
——— "The Nabataeans: a Historical Sketch," *BiblArch* 18 (1955), 84–106.
——— "Nouvelles stèles funéraires à Pétra," *ADAJ* 10 (1965), 43–49.
——— "Nouvelle épitaphe nabatéenne donnant le nom sémitique de Pétra," *RB* 72 (1965), 95–97.
——— and J. Strugnell "Deux nouvelles inscriptions nabatéennes," *RB* 73 (1966), 236–47.
——— "Pétra et la Nabatène," *SDB* 7 (1966), 886–1017.
——— and C. M. Bennett "Les inscriptions du téménos (Pétra)," *Syria* 45 (1968), 41–65; also, in English, in *ADAJ* 12–13 (1967–1968), 30–50.
——— "Le temple nabatéen de Khirbet Tannur: à propos d'un livre récent," *RB* 75 (1968), 206–35.
——— "La civilisation nabatéenne: État des questions," *IXe Congrès International d'Archéologie Classique: Rapports et Communications* (Damascus, 1969), pp. 22–29.

———— "Une inscription nabatéenne de l'an 18 d'Arétas IV," *Hommages à André Dupont-Sommer* (Paris, 1971), pp. 151–59.

———— "Allath, Athène et la déesse syrienne," *Mythologie gréco-romaine, Mythologies périphériques*, colloque du CNRS (Paris, 1981), pp. 119–30.

Stark, Jürgen Kurt *Personal Names in Palmyrene Inscriptions* (Oxford, 1971).

Stein, Arthur "Kallinikos von Petrai," *Hermes* 58 (1923), 448–56.

Stein, Aurel "Surveys on the Roman Frontier in Iraq and Transjordan," *Geographical Journal* 95 (1940), 428–37.

Stiehl, Ruth "A New Nabataean Inscription," *Beiträge zur alten Geschichte: Festschrift für Franz Altheim* II (Berlin, 1970), pp. 87–90; also in R. Stiehl and F. Altheim, *Die Araber in der Alten Welt* V.1 (1968), pp. 305–9.

Teixidor, Javier *The Pagan God* (Princeton, 1977).

Thomsen, P. "Die römischen Meilensteine der Provinzen Syria, Arabia, und Palestina," *ZDPV* 40 (1917), 1–103.

Tran Tam Tinh, V. *Le culte des divinités orientales en Campanie* (1972).

Trimingham, J. Spencer *Christianity Among the Arabs in Pre-Islamic Times* (London and New York, 1979).

van den Branden, A. *Histoire de Thamud* (Beirut, 1966).

Weder, Marcus "Zu den Arabia-Drachmen Traians," *Schweizer Münzblätter* 27 (1977), 57–61.

Weippert, Manfred "Nabatäisch-römische Keramik aus Ḫirbet-Dōr im südlichen Jordanien," *ZDPV* 95 (1979), 87–110.

Wellesley, Kenneth "The Fable of the Roman Attack on Aden," *ParPass* 9 (1954), 401–5.

West, J. M. I. "Uranius," summary of Harvard diss., *HSCP* 78 (1974), 282–84.

Winnett, F. V., and W. L. Reed *Ancient Records from North Arabia* (Toronto, 1970).

———— "The Revolt of Damasī: Safaitic and Nabataean Evidence," *BASOR* 211 (1973), 54–57.

———— and G. L. Harding *Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns* (Toronto, 1978).

Wissmann, H. von "Die Geschichte des Sabäerreichs und der Feldzug des Aelius Gallus," *ANRW* II.9.1 (1976), 308–544.
Wolff, Hans Julius "Römisches Provinzialrecht in der Provinz Arabia," *ANRW* II preprint (1972), 1–44 (in II.13 [1980], 763–806). Cf. "Le droit provincial dans la province romaine d'Arabie," *RIDA* 23 (1976), 271–90.
Wright, G. R. H. "Structure of the Qasr Bint Far'un: A Preliminary Review," *PEQ* 93 (1961), 8–37.
——— "The Khazneh at Petra: A Review," *ADAJ* 6–7 (1962), 24–54.
——— "Structure et date de l'arc monumental de Pétra," *RB* 73 (1966), 404–19.
——— "Strabo on Funerary Customs at Petra," *PEQ* 101 (1969), 112–16.
——— "The Date of the Khaznet Fir'aun at Petra in the Light of an Iconographic Detail," *PEQ* 105 (1973), 83–90.
Yadin, Y. "Expedition D—The Cave of the Letters," *IEJ* 12 (1962), 227–57.
——— "The Nabataean Kingdom, Provincia Arabia, Petra and En-Geddi in the Documents from Nahal Hever," *Ex Oriente Lux* 17 (1963), 227–41.
——— "The Life and Trials of Babata," in *Bar Kokhba* (New York, 1971), 222–53.
Yehya, Lutfi A.-W. *al-'arab fi al-'uṣūr al-qadima* (Beirut, 1978).
Zayadine, Fawzi "Deux inscriptions grecques de Rabbat Moab (Areopolis)," *ADAJ* 16 (1971), 71–76.
——— "Photogrammetrische Arbeiten in Petra," *Bonner Jahrb.* 180 (1980), 237–52.
Zetzel, J. E. G. "New Light on Gaius Caesar's Eastern Campaign," *GRBS* 11 (1970), 259–66.

MEDITERRANEAN SEA

Damascus
LEJA'
JEBEL DRŪZ
SAFĀ
Jordan R.
Jerusalem
'Ammān
DEAD SEA
Gaza
NEGEV
SHARĀ
SINAI
'Aqaba
GULF OF SUEZ
GULF OF AQABA
HISMĀ
RED SEA
Elevations are in meters

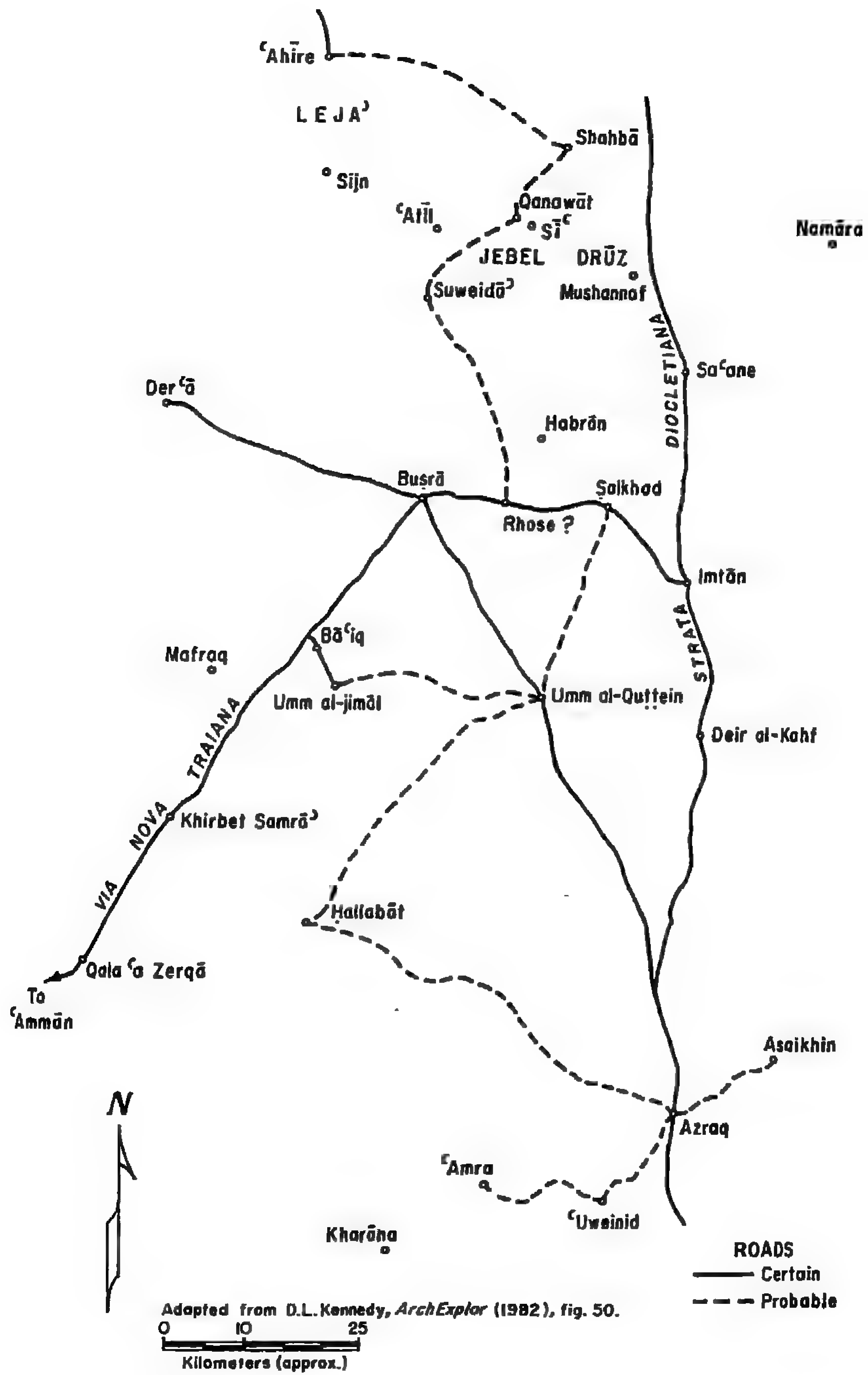

ʿAhire
LEJAʾ
Shahbā
Sijn
ʿAtil
Qanawāt
Sīʿ
JEBEL DRŪZ
Namāra
Suweidāʾ
Mushannaf
DIOCLETIANA
Saʿane
Derʿā
Habrān
Busrā
Ṣalkhad
Rhose ?
Imtān
STRATA
Bāʿiq
Mafraq
Umm al-jimāl
Umm al-Quṭṭein
Deir al-Kahf
VIA NOVA TRAIANA
Khirbet Samrāʾ
Hallabāt
Qalaʿa Zerqā
To ʿAmmān
Asaikhin
N
Azraq
ʿAmra
ʿUweinid
Kharāna
ROADS
Certain
Probable
Adapted from D.L. Kennedy, ArchExplor (1982), fig. 50.
0 10 25
Kilometers (approx.)

PLATE 14



The Latin inscription from Jawf
(Photograph by Mahmud Ghul)

المؤلف فى سطور :

جيلين و.بورسوك

- تخرج من جامعة هارفارد عام ١٩٥٦ ، حصل على درجة الدكتوراه من جامعة أوكسفورد البريطانية عام ١٩٦٢ . منح درجة الدكتوراه الفخرية فى الجامعات التالية :
- جامعة استراسبورج – النمسا – عام ١٩٩٠ .
- مدرسة الدراسات المتقدمة Ecole Pratique des Haute Etudes Paris عام ١٩٩٩
- جامعة أثينا عام ٢٠٠٥ .
- العضوية الشرفية لكلية باليول Balliol College جامعة أوكسفورد عام ٢٠٠٤ .
- عمل بورسوك أستاذًا للتاريخ القديم بجامعة هارفارد فى الفترة من ١٩٦٢–١٩٨٠ ، ورئيسًا لقسم الدراسات الأوروبية القديمة فى جامعة هارفارد فى الفترة من ١٩٧٢–١٩٧٧ ، وعميد كلية الآداب والعلوم جامعة هارفارد ١٩٧٧–١٩٨٠ ، وأستاذ التاريخ القديم فى معهد الدراسات المتقدمة جامعة برنستون ، ١٩٨٠ – ٢٠٠٦ .

وأستاذًا زائرًا فى الجامعات التالية :

جامعة أوكسفورد ١٩٦٦ ، الجامعة الوطنية فى أستراليا ١٩٧٢ ، كوليج دى فرانس ١٩٩٧ ، جامعة ميتشيجان والأكاديمية الأمريكية بروما ١٩٨٩ ، جامعة كاليفورنيا فى بيريكلى ١٩٩١–١٩٩٢ ، كلية بومونا ١٩٩٣ Pomona ، كلية الملكة فى بلفاست ١٩٩٣ .

وقام بإلقاء محاضرات فى الدول التالية :

● أستراليا ، البحرين ، كندا ، إنجلترا ، فنلاند ، فرنسا ، ألمانيا ، اليونان ، أيرلندا ، إسرائيل ، إيطاليا ، الأردن ، لبنان ، نيوزيلند ، النرويج ، روسيا ، إسبانيا ، السويد ، سويسرا ، سوريا ، تركيا ، الولايات المتحدة .

الجمعيات العلمية :

الأستاذ بورسوك حاصل على عضوية أكثر من عشرين مؤسسة وجمعية ومجلة علمية فى جميع أنحاء العالم ، من أهمها : الأكاديمية الأمريكية للآداب والعلوم ، والأكاديمية الروسية للعلوم ، والمعهد الفرنسى للنقوش والكتابات ، وعضو فى المجلس الاستشارى لمجلة الآثار والنقوش العربية Arabian Archaeology and Epigraphy التى تصدر فى كوبنهاجن .

المؤلفات والأبحاث :

له أكثر من ثلاثمائة بحث وكتاب منشور، وله ستة عشر كتابًا رئيسيًا منها الكتاب الذى بين يدى القارئ الذى أعيدت طباعته فى أغسطس عام ١٩٩٨ ، ومنها الآتى:

● Augustus and the Greek World (Oxford ,1965)

● Edward Gibbon and the Decline and Fall of the Roman Empire ,ed. With J.L.Clive and S.R.Graubard(Harvard, 1977)

● Hellenism in Late Antiquity (Michigan and Cambridge 1990) ترجم إلى اليونانية والإيطالية .

● Fiction as History,from Nero to Julian ,California 1994 ترجم إلى الإيطالية عام ٢٠٠٠ .

المترجمة فى سطور

آمال الروبى

– حصلت على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة ١٩٧٦ فى التاريخ القديم : اليونانى الرومانى ، وعلى منحة المجلس الثقافى البريطانى للدراسة فى مرحلة الدكتوراه عام ١٩٧٣ حيث درست فى هذه الفترة فى جامعة كمبريدج البريطانية .

– حصلت على ماچستير التاريخ اليونانى الرومانى من جامعة القاهرة ١٩٧١ ، وعلى الليسانس من الجامعة نفسها عام ١٩٦٣ .

– كانت أول معيدة تعين فى قسم التاريخ منذ إنشائه ، وأول سيدة فى مجال تخصص التاريخ اليونانى الرومانى .

– قامت بالتدريس فى جامعة القاهرة منذ تخرجها حتى حصولها على درجة أستاذ مساعد ١٩٨٦ .

– تم انتدابها للعمل فى جامعة الملك عبد العزيز – كلية الآداب – جدة ، ورأست قسم التاريخ – قسم الطالبات – فى الفترة من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٧ ، ومازالت تعمل هناك حتى الآن .

– لها أربعة كتب منشورة فى مجال التخصص وهى :

١ – مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الوثائق البردية ، القاهرة ١٩٨٠ ، جدة ١٩٨١ .

٢ – نظم الحكم من ٥١٠ إلى ٢٣ ق.م ، جدة ١٩٨٧ .

٣ – الحياة الاجتماعية فى عصر الرومان ، القاهرة ١٩٧٧ .

٤ – هرموبوليس ماجنا فى العصر الرومانى ، القاهرة ١٩٧٢ .

وقامت بترجمة كتابين والتعليق عليهما وهما :

١ – تجارة مكة وظهور الإسلام، تأليف باتريشيا كرون، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥ .

٢ – الحياة اليومية فى مصر الرومانية، نافتال لويس، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٦ .

– لها عدة أبحاث منشورة فى المؤتمرات العالمية والعربية التى شاركت فيها من أهمها :

١ – معركة بدر فى ضوء وثيقة بردية ، مجلة جمعية التاريخ والآثار ، الدوحة – قطر ٢٠٠٤ .

٢ – شبه الجزيرة العربية فى كتابات الكتاب الإغريق والرومان وظهور مكة مدينة مقدسة فى القرن الرابع ، مجلة جمعية التاريخ والآثار ، الرياض ٢٠٠٥ .

٣ – "Ουλης" العلامات المميزة فى مصر فى العصر الرومانى . مؤتمر سالونيك – اليونان ١٩٨٠ .

شاركت فى المؤتمرات :

أ – مؤتمر البردى العالمى الثالث عشر ، أكسفورد ١٩٧٥ .

ب – مؤتمر سالونيك للدراسات اليونانية والعربية ١٩٨٠ .

جـ – مؤتمر جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجى : مسقط عمان ٢٠٠١ ، والشارقة – الإمارات ٢٠٠٢ ، والدوحة – قطر ٢٠٠٤ ، البحرين ٢٠٠٥ .

تجيد الإنجليزية – الفرنسية – اليونانية القديمة – اللاتينية .

– عضو لجنة موسوعة جدة .

المراجع فى سطور

محمد إبراهيم بكر

أستاذ التاريخ القديم والآثار

عميد ومؤسس المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم ١٩٨٧ - ١٩٩٤ كأول معهد من نوعه فى مصر، ويضم قسماً خاصاً بالجزيرة العربية (تاريخ وآثار ولغات).

عميد كلية الآداب جامعة الزقازيق ١٩٨٠ - ١٩٨٦ .

رئيس مجلس إدارة هيئة الآثار المصرية ١٩٩١ - ١٩٩٣ .

عضو المجمع العلمى المصرى .

عضو المجالس القومية المتخصصة .

رئيس اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين فى الآثار والتاريخ القديم .

مؤسس متحف آثار جامعة الزقازيق كأول متحف نوعى للموقع .

قام بتدريس مواد التاريخ القديم والآثار فى جامعات : مصر والسودان وليبيا وعمان وقطر والسعودية .

قام بإلقاء محاضرات فى ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا والنرويج وفرنسا واليابان .

قام بإجراء حفائر أثرية فى منطقتى آثار تل بسطة وكفور نجم بالشرقية .

أشرف على إنشاء وتجديد عدد من المتاحف الأثرية والقصور والمبانى التاريخية فى القاهرة والإسكندرية وباقى أنحاء مصر، وأنشأ متحف الوادى الجديد وامتداد متحف الأقصر (متحف الخبيئة) .

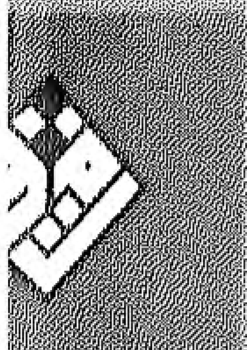
حاصل على بعض الأوسمة وشهادات التقدير من هيئات مصرية وعالمية .

وله عدة مؤلفات وأبحاث منها الكتب التالية :

* أصل الحضارة السودانية بالألمانية ١٩٦٢ .
* تاريخ السودان القديم - ١٩٧١ .
* صفحات مشرقة فى تاريخ مصر القديمة - ١٩٩٠ .
* حفائر أثرية فى تل بسطة ١٩٩٢ بالإنجليزية .
* قراءات فى تاريخ الإغريق القديم - ٢٠٠٠ .

التصحيح اللغوى : عـــــــايـدة زهـران
الإشــراف الفنى : حـــــسن كـــــامـل





يتناول هذا الكتاب تاريخ العرب الأنباط وحضارتهم منذ استقرارهم فى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، فى المنطقة الممتدة من خليج العقبة إلى صحراء النقب جنوب سوريا وشرق الأردن وغزة والعريش، إلى عام ١١٣م عندما دخل فى حوزة الإمبراطورية الرومانية باسم الولاية العربية. تمكن الأنباط من المحافظة على استقلالهم بين القوى المتصارعة على المنطقة، وامتدت دولتهم فى ذروة توسعها إلى مدائن صالح فى شمال غرب المملكة العربية السعودية، واحتلت دمشق عدة سنوات خلال القرن الأول قبل الميلاد.

اعتمد الأستاذ بورسوك - الذى يعد واحداً من كبار الباحثين فى التاريخ القديم - فى دراسته للموضوع على المصادر الأصلية: اليونانية واللاتينية، و النقوش المعاصرة (الصفوية - النبطية - الآرامية - العبرية)، والعملة النبطية إلى جانب المصادر العربية، ولم يغفل مصدراً منها؛ لذلك لا عجب أن تستغرق الدراسة منه أربعة عشر عاماً.

وعلى الرغم من أن الموضوع شائك، ويدور فى جزء كبير منه حول العلاقات بين الأنباط واليهود، فقد تناوله بحياد كبير واستعرضه بطريقة منهجية بالغة الدقة بعيداً عن الهوى مما يضاعف من قيمته؛ لذلك كان جديراً بتقديمه إلى المكتبة العربية.



الغلاف إعداد: عماد أبو غازي